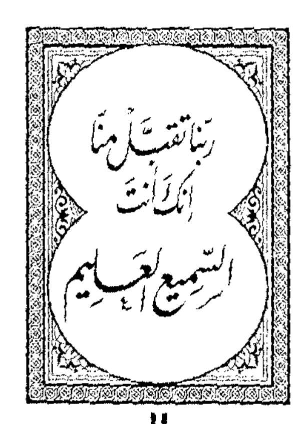

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
مواقف إيمانية
للمرأة
المسلمة
الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
مكتبة الصفا

مواقف إيمانية

للمرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١١٦٥٩

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ / الفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

مواقف إيمانية للمرأة المسلمة

محمود المصري
أبو عمار




بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾(٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

ففى زمن الغربة الثانى الذى كثرت فيه الفتن وعمَّت فيه البلايا كان لابد من أن تجد المسلمة طوقًا للنجاة حتى تخرج من تلك الفتن إلى شاطئ الأمان حيث التوحيد والطاعة والإيمان.

وكان من أهم أسباب النجاة من تلك الفتن أن تتخذ المسلمة قدوة صالحة تسير وراءها لتصل إلى مرضاة الله (جل وعلا) ولتنجو بنفسها ودينها فى هذا الزمان الذى ضاعت فيه القدوات.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

والأخت المؤمنة تعلم أن الله ﷻ سيجزل لها الأجر والمثوبة بتمسكها بدينها فى زمن الغربة الذى نعيشه الآن فقد قال ﷺ: «**يأتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، للمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا مِنْكُمْ**»[(٢)].

وها أنا أسوق لأختى المسلمة باقة عطرة من القدوات الصالحات، لتعلم الأخت المسلمة أنها ستجد من تقتدى بها إذا تزوجت أو أنجبت أو طلبت العلم أو أرادت أن تدعو إلى الله، أو أرادت أن تخدم دين الله ﷻ... ستجد من تقتدى بها فى العبادة، وفى التوبة، وفى البذل والتضحية، والثبات على دين الله، وفى الصبر والعفاف، والتوكل والجود والكرم.

وها أنا أسوق كل هذا الخير لأخواتى الفاضلات من خلال تلك المواقف الإيمانية لنساء سلفنا الصالح... سائلًا ربى ﷻ أن ينفع بها كل مسلمة فى هذا الكون وأن يرزق أخواتى الفاضلات صُحبة أمهات المؤمنين فى الفردوس الأعلى ... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



(١) صحيح بشواهده: رواه الترمذى (٢٢٦٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله وقال: صحيح بشواهده الكثيرة - انظر السلسلة الصحيحة (٩٥٧)، وصحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٨٢، رقم ١٠٣٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

تكريم الإسلام للمرأة المسلمة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيرُ مَتَاعِ الدُّنْيا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[(١)].

أى تكريم للمرأة أرفع من تكريم الإسلام!! حين يصوِّر بيتها تصويرًا رفَّافًا شفيفًا؛ يشعُّ منه التعاطف، وترفُّ فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير!! أى تكريم للمرأة فوق أن يُسمِّى الله سورة من القرآن باسم النساء، وسورة أخرى باسم امرأة «مريم»، أى تكريم أجلُّ من أنَّ القرآن كان ينزل فى مخدع عائشة!! أى تكريم أعلى من أنَّ الله ينزل قرآنًا فى براءة امرأة!! وأى تكريم أجلُّ من أن يتولَّى الله تزويج امرأة بنفسه!!

فلا التأنيث لاسمِ الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخرٌ للرجال

لقد أشرقت شمس الإسلام فمسحت عن جبين المرأة غبار الجاهلية الجاثم على الصدور... فبعد أن كانت المرأة تُحْرَم من الميراث قرر الإسلام حقها فى الميراث، فقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[(٢)]... وبعد أن كان وليُّها يستحوذ على مهرها جاء الإسلام فقرر حقها فى المهر... قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[(٣)]...

بل لقد أعطى الإسلام للمرأة حق التملك وكان هذا لا يحل لها قبل

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٧) كتاب الرضاع.

(٢) سورة النساء: الآية (٧).

(٣) سورة النساء: الآيتان (٢٠-٢١).

الإسلام... بل لقد حرّم الحق ﷻ وأد البنات موضحًا أن الذكور والإناث هبة من الله وليس من حق المسلم أن يعترض على تلك الهبة؛ لأنه ابتداءً وانتهاء ليس له حق في تلك الهبة وإنما هو محض فضل الله...

قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1] ...

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾[2]

فكان الإسلام -وما زال- هو طوق النجاة لتلكم المرأة المسكينة التي كانت تتقاذفها أمواج الضلال والجاهلية... فلم يعتبرها الإسلام جرثومة خبيثة كما اعتبرتها اليهودية والنصرانية بل اعتبرها جوهرة مكنونة يجب أن نحافظ عليها... فالمرأة ما هي إلا أمي وأختي وزوجتي وابنتي وهي مربية الأجيال وصانعة الرجال والأبطال.

المرأة آية من آيات الله

بل أصبحت المرأة في ظل الإسلام آية من آيات الله، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ... فجعلها آية بل ونعمة من النعم التي يجب على الرجال أن يشكروا الله عليها، بل لقد كرم الإسلام المرأة قبل ولادتها بأن أوصى أباها أن يحسن اختيار أمها... وكرمها بعد ولادتها بأن أوصى أباها أن يحمد الله على تلك النعمة ولا يسخط لأنها أنثى وأن يؤذِّن في أذنها اليمنى ويقيم الصلاة في أذنها اليسرى فبذلك تسمع أول ما تسمع كلمة التوحيد لله - جل

(١) سورة الشورى الآيتان (٤٩-٥٠).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٧٢).

(٣) سورة الروم: الآية (٢١).

وعلا- ثم يذبح ويعق عنها «العقيقة»... بل لقد أجزل الحق - جل وعلا - الأجر والمثوبة لكل من صبر على تربية البنات على شرع الله وأحسن إليهنَّ فقال ﷺ: «**من ابتُلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له سترًا من النار**»[1]... بل يحث النبى ﷺ على الإحسانِ إليهن حتى يكبرن فيقول: «**من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين**»[2]... وإذا بلغت المرأة سن الزواج جعل الإسلام للمرأة الحق فى اختيار زوجها ولم يُبح زواجها بغير رغبتها، فقال ﷺ: «**لا تُنكَح الثيب حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن وإذنها الصموت**»[3].

- بل لقد رغَّب الإسلام فى نكاح الطاهرات فقال ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[4].

وذلك لتيسير زواج الصالحات ولتنقية المجتمع المسلم من المفسدات... لأنه إذا نظرت المرأة الغير صالحة فوجدت أن الشباب المسلم لا يبحث إلا عن الصالحات لكان ذلك حاديًا لها - بعد حبها لله جل وعلا- لأن تسلك درب الصالحات القانتات وبذلك تنحصر وتنعدم دائرة الفساد فى المجتمع المسلم.

- ثم نجد بعد ذلك أن النبى ﷺ: يوصى بالنساء خيرًا فيقول: «**خياركم خيركم لأهله**»[5][6].

❀ ❀ ❀

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٨) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة والآداب.

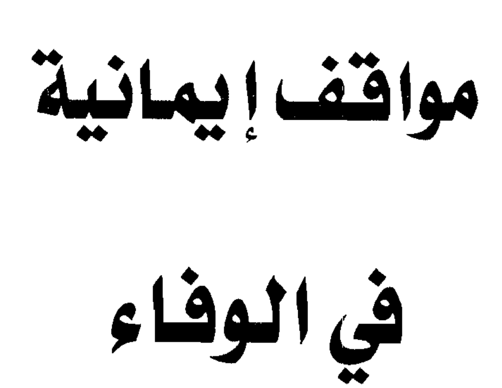
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه، عن أبى هريرة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى كبشة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٦٦).

(٦) كتاب (إنها الجنة يا أختاه) / للمصنف (ص: ٢٠-٢٢).




مواقف إيمانية
في الوفاء



فى رحاب الوفاء

إن الوفاء نعمة جليلة يمتن الله بها على من يشاء من عباده... فمن أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات والعبادات ولذا قال رب الأرض والسموات - جل وعلا-: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾[١].

وأهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى فلقد وصف الحق -جل وعلا- أهل البر فكان من بين أوصافهم ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[٢].

وأهل الوفاء هم أهل الفردوس الأعلى فلقد وصف الله عباده المؤمنين بصفات جليلة وكان من بينها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٣] ثم قال بعدها ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[٤].

أنواع الوفاء

۞ والوفاء ثلاثة أنواع:

١- الوفاء مع الله ﷻ: وذلك بأن يحقق العبد التوحيد لله -جل وعلا- وأن يخلص النية فى أعماله التى يتقرب بها إلى الله وأن ينفذ كل أوامر الحق -جل وعلا- وأن ينتهى عن كل ما نهى الله عنه.

٢- الوفاء مع رسول الله ﷺ: وذلك بأن يحقق العبد الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ وذلك بأن يقتدى ويتأسى بالنبى ﷺ فى كل أقواله وأفعاله.

---

(١) سورة النحل: الآية (٩١).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٨).

(٤) سورة المؤمنون: الآيتان (١٠-١١).

٣- الوفاء مع الناس: وذلك بأن يكون وفيًّا مع كل من حوله في العهود والعقود والوعود وأن يكون وفيًّا مع كل من أحسن إليه وذلك من باب قول النبي ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»[١].

الوفاء من صفات الأنبياء

وإن أنبياء الله -صلوات ربي وسلامه عليهم- لهم الحظ الأوفى من الوفاء فلقد وصف الله خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾[٢] أي: وفَّى بكل شيء وكمَّل العبودية لله -جل وعلا-.

۞ وقال -جل وعلا- عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٣].

۞ بل ها هو موسى عليه السلام الذي لما لقي الرجل الصالح من أهل مدين وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده برعي الغنم ثماني سنين أو عشرًا فما كان من موسى عليه السلام إلا أن وفَّى بأكمل وأفضل الأجلين مع أن الأمر كان على الخيار.

روى البخاري: عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أَقْدُم على حَبر العرب فأسأله. فقَدِمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٢) سورة النجم: الآية (٣٧).

(٣) سورة مريم: الآية (٥٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨٤) كتاب الشهادات.

في رحاب سيد الأوفياء ﷺ

لقد كان النبي ﷺ سيد الأوفياء وكان يحض الأمة على الوفاء في كل شيء فكان يُعلم الأمة كيف يكون الوفاء مع الله ﷻ أولًا.

۞ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»؟!![1].

۞ وكان يرتقي بأرواح المؤمنين إلى جنة رب العالمين - جل وعلا-.

فها هو ﷺ يقول: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة** -وكان من بينها- **وأوفوا إذا وعدتم**»[2].

۞ وكان ﷺ يحذر من الغدر ونقض العهود والوعود فقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» زاد في رواية لمسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[3].

۞ ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ وكان أبو سفيان وقتها على الشرك... فقال له هرقل: فماذا يأمركم؟ -يعني: النبي ﷺ- فقال أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة[4].

۞ وكان النبي ﷺ ينهى عن الغدر حتى في الحروب...

روى مسلم أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على سرية أمره في نفسه بتقوى الله

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٣٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

ثم قال: «**اغزوا باسم الله وفى سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا لا تغلُّوا ولا تغدروا...**»[١].

صور مضيئة من وفائه ﷺ

عن أبى رفع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثتنى قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلقى فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إنى والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لا أخيس[٢] بالعهد، ولا أحبس البُرد[٣]، ولكن ارجع، فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن، فارجع**» قال: فذهبت، ثم أتيت النبى ﷺ فأسلمت[٤].

۞ عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا... نفى لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»[٥].

۞ وها هو المغيرة بن شعبة الذى كان قد صحب قومًا فى الجاهلية فشربوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطى المال للنبى ﷺ فقال له النبى ﷺ: «**أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء**»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) أخيس: أنقض.

(٣) البُرد: جمع بريد وهو الرسول.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨) كتاب الجهاد، وأحمد (٢٣٣٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٧٠٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

وذلك لأنه أُخذ غدرًا.

❁ عن جبير بن مطعم بن عدى رضي الله عنه أنه قال: إن النبى ﷺ قال فى أُسارى بدر: «**لو كان المطعم بن عدى حيًّا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتنى**[١] **لتركتهم له**»[٢].

❁ وإنما قال النبى ﷺ ذلك اعترافًا منه بالجميل لما أدخله فى جواره بعد أن ردَّه أهل الطائف.

وفاء النبى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم

وكان النبى ﷺ سيد الأوفياء لكل من حوله... وكان أقرب الناس إلى قلبه هم أصحابه رضي الله عنهم الذين كانوا عونًا له ﷺ على حمل أمانة هذا الدين فضحَّوا من أجله بالغالى والنفيس وبذلوا أموالهم ودماءهم لإعلاء كلمة: لا إله إلا الله..

ولم ينسَ لهم النبى ﷺ ذلك فأوصى الأمة المسلمة بأصحابه ليعرفوا قدرهم ومكانتهم.

❁ عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه**»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) المراد بهم أسرى بدر من المشركين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، و(٤٠٢٤) كتاب المغازى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٤١) كتاب فضائل الصحابة.

النبى ﷺ يعلمنا الوفاء من قصص الأمم السابقة

وكان النبى ﷺ يقص على أصحابه - والأمة من بعدهم - بعض القصص من الأمم السابقة ليرسخ فى القلوب معنى الوفاء وقُبح الغدر.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى

هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ ﷻ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٩٦٤) كتاب الزهد والرقائق.

أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

۞ لقد كانت أمنا الغالية يُضرَب بها المثل فى الوفاء حتى أصبحت رمزًا للوفاء فى كل زمانٍ ومكانٍ.

۞ وها هى تقف وقفة تاريخية عندما نزل الوحى على النبى ﷺ لأول مرة، وعاد النبى ﷺ إلى خديجة وهو فى قمة الخوف والفزع وهو يقول: «**زمّلونى زمّلونى**»[١].

فقامت أمنا خديجة لتغطيه وتُهدئ من روعه.

وبدأت خديجة تسأله عما حدث.. فأخبرها النبى ﷺ بما حدث ثم قال لها: «**لقد خشيت على نفسى**».

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ[٢]، وتكسب المعدوم[٣]، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق[٤]، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى (ابن عم خديجة)، وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربى، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة:

---

(١) أى: غطونى.

(٢) تحمل الكَلَّ: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكَل: أصله الثقل والإعياء.

(٣) تكسب المعدوم: تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

(٤) تعين على نوائب الحق: أى: إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل.

هذا الناموس - أي: جبريل أو الوحى - الذى نزّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا - شابًّا قويًّا- ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك.

فتعجب النبى ﷺ وقال: «أَوَمُخرجيَّ هم؟».

فقال له ورقة: نعم.. لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به، إلا عُودي وإن يدركني يومك، أنصرك نصرًا مؤزرًا[1].

۞ وعاد النبى ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقة بن نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداثًا عظيمة.. ولكنه كان على يقين وثقة أن الله لا يخذله.

أول من صلّت مع النبى ﷺ

ذكر رواة السيرة النبوية أن الله ﷻ فرض على رسوله ﷺ صلاة أول ما أوحى إليه، وكان لخديجة رضوان الله عليها فضيلة السبق إلى الصلاة، وامتثال أمر الله ﷻ فكانت أول مَن صلَّت مع النبى ﷺ.

ذكر بعض أهل العلم أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى، فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر ليُريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل يتوضأ، ثم قام جبريل فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل.

فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ، ثم صلى بها رسول الله، كما صلى به جبريل فصلَّت بصلاته[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

(٢) نساء أهل البيت (ص: ٥٦).

صبرٌ واحتساب

وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترى ما كان يتعرض له الحبيب ﷺ من الإيذاء والسخرية فتواسيه وتثبته وتخفف عنه وتُهوِّن عليه أمر الناس.. فكانت بذلك مثلًا عظيمًا وفريدًا بل وقدوة لكل أخت مسلمة زوجها داعية إلى الله تعالى لتخفف عنه ما يراه من الابتلاءات التى تجعل الحليم حيرانًا.

❀ ❀ ❀



الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة

ولما تعاقدت قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب وبنى عبد مناف، وكتبوا بذلك تلك الصحيفة الظالمة...

وحُبس النبى ﷺ ومَن معه فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات ... فقد منع المشركون عنهم الطعام فلم يكن لهم طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم وبلغ بهم الجهد مبلغًا شديدًا حتى كان الناس يسمعون صوت بكاء الأطفال وصُراخ النساء من وراء الشِّعب.

۞ وكانت أمنا خديجة مع النبى ﷺ فى ذلك الشِّعب.

وظلت الطاهرة أمنا خديجة رضوان الله عليها من وراء رسول الله ﷺ تشد أزره، وتشاركه فى حمل الأذى من قومه بنفسٍ راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله تعالى قضاءه فى هذه المقاطعة الظالمة المريرة.

۞ انتهى الحصار، وخرجت الطاهرة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها من الحصار ظافرة بثمرة صبرها لتتابع مع رسول الله ﷺ سيرها فى الحياة زوجة أمينة مستظلة بظل الوفاء وصدق الإيمان وحسن الصبر،... وفى ثبات المسلمين على هذه الشدة الرهيبة جعلهم الله من أصحاب المقام الرفيع فى الآخرة، وجعلهم سادة الأرض فى الدنيا، وذاك جزاء الصابرين، وأجر الشاكرين.

الله سبحانه يُقرئ خديجة السلام

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ وعنده خديجة فقال: «**إن الله يُقرئ خديجة السلام**» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) رواه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٥٤): وإسناده حسن.

فيا لها من أُمٍّ فقيهة ذكية تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت النبي ﷺ الذي جمع الله له كل الفضائل والمناقب والمكارم فقال (جل وعلا): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب[٢] لا صَخَب فيه ولا نَصَب**»[٣].

❀ ❀ ❀

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) القصب: هو اللؤلؤ المجوف.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

وفاء النبي ﷺ لأمنا خديجة رضي الله عنها

وبعد خروج النبى ﷺ وأصحابه من شِعب أبى طالب بعدة أشهر توفيت أمنا خديجة بعد رحلة طويلة من البذل والعطاء والتضحية والفداء.

وحزن النبى ﷺ لموتها حزنًا شديدًا فلقد كانت نِعم الزوجة الصابرة المخلصة التى آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نُصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبى ﷺ أن ينساها أبدًا وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه.

فها هو الحبيب ﷺ يُثنى عليها ويقول: «**كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران - وخديجة بنت خويلد - وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[(١)].

۞ وقد علَّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليقًا لطيفًا فقال: من الموافقات اللطيفة التى جمعت الثلاث فى نسقٍ واحد أن كل واحدة منهن كفلت نبيًّا مُرسَلًا، وأحسنت صحبته وآمنت به، فآسيا ربَّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربَّته، وصدقت به حين أُرسل، وخديجة رغبت فى النبى وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدَّقه حين نزل عليه الوحى.

ولم يتزوج النبى ﷺ امرأة قبلها أبدًا.. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يتزوج النبى ﷺ على خديجة حتى ماتت [(٢)].

۞ وعن أنس رضي الله عنه أن النبى قال: «**حسبُك من نساء العالمين مريم ابنة عمران**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة.

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»[١].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون**»[٢].

هكذا يكون الوفاء

والله ... لقد حزن النبى ﷺ لموتها حزنًا شديدًا فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التى آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نُصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبى ﷺ أن ينساها أبدًا وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه.

۞ ومن الدلائل الرائعة على وفائه ﷺ للطاهرة **خديجة**، ما حدث فى غزوة بدر الكبرى، إذ أُسر أبو العاص بن الربيع صهر الرسول الحبيب ﷺ وزوج ابنته زينب ابنة زوجه الوفية الكريمة خديجة، فأرسلت الوفية زينب فداءً لزوجها أبى العاص؛ ومن ضمن الفداء قلادة كانت قلَّدتها بها والدتها المعطاء خديجة رضي الله عنها ليلة زفافها، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة، وتذكَّر زوجته المباركة الوفية خديجة، وقال لأصحابه: «**إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا**»[٣].

فما كان من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم إلا أن سارعوا بالاستجابة للنبى الكريم ﷺ الذى حركته مشاعر الذكرى للصدِّيقة الوفية الطاهرة -

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٧٨) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٤٣).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٤١٥، رقم ١٢١٧٩)، وفى الأوسط (٢/ ٢٣، رقم ١١٠٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٢٤).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٢٦٩٢) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١٢١٦/ ٢).

رضوان الله عليها - خديجة أم المؤمنين!... فلله هذه الطاهرة المعطاء أمنا خديجة التى لها دَينٌ كبير فى عنق كل مسلم ومسلمة، رضى الله عنها وأرضاها[١].

غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنهما

وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ثم تزوج عائشة رضي الله عنها فكانت أمنا عائشة تشعر بشيء من الغيرة لكثرة ثناء النبى ﷺ على خديجة وذِكْرِه إياها - وذلك لفرط محبة أمنا عائشة لرسول الله ﷺ.

عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجة وإنى لم أدركها قالت وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «**إنى قد رُزقت حبها**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبى ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجنى .. لِمَا كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن[٣].

وفى رواية للبخارى[٤].. وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «**إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد**».

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٣١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة وأخرجه البخارى مختصرًا (٥٢٢٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٦) كتاب المناقب. ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة والترمذى (٣٨٧٥).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب.

۞ وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها؟ قال: «**أبدلني الله خيرًا منها!! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها، وحرمني أولاد الناس**»[(١)].

۞ وفي بيت عائشة كرامات أخرى للطاهرة خديجة، فقد جاءت النبي ﷺ ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات الطاهرة خديجة فأحسن لقاءها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: «**إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان**»[(٢)].

۞ ۞ ۞

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٢٨١) رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات، السير (٢/ ١٦٥).

وفاء النبي ﷺ لمرضعته حليمة السعدية رضي الله عنها

۞ لقد كانت حليمة السعدية رضي الله عنها هى التى أرضعت النبى ﷺ فى صغره ولم ينسَ النبى ﷺ لها ذلك أبدًا.

وعاشت حليمة السعدية حتى رأت الحبيب ﷺ رسولًا للبشرية كلها ومُعلمًا للكون كله فامتلأ قلبها فرحًا وسعادةً وسرورًا.

وفى يوم من الأيام تذهب حليمة رضي الله عنها إلى الحبيب ﷺ وأقدامها تسابق الريح... وما أن رآها الحبيب ﷺ حتى خلع رداءه وبسطه تحتها وأكرم وفادتها أبلغ الإكرام فتعجب بعض الصحابة الذين لا يعرفونها فسأل واحد منهم وقال لمن حوله: من هذه؟ فقالوا: أمه التى أرضعته[1].

هكذا كان وفاء الحبيب ﷺ لأمه التى أرضعته ... وهكذا كان حبه لها .. وهكذا كان تقديره لتلك الأم الرحيمة الحليمة.

۞ وفى يوم من الأيام كان النبى ﷺ جالسًا مع أمنا خديجة رضي الله عنها فجاءت مولاة خديجة وقالت:

إن حليمة السعدية تود الدخول، ولما سمع رسول الله ﷺ بحليمة السعدية، خفق قلبه الشريف حنانًا، وراحت الذكريات الحبيبة والحانية الدافئة تطفو على سطح ذهنه،... ذكريات حبيبة إلى نفسه،... تذكَّر بيداء بنى سعد ورضاعته هنالك، كانت لحظة مُفعمة بالمشاعر الناعمة،.. لحظة أحيت - فى مثل لمح البصر أو أسرع - أيام طفولته، وأيام نشأته بين ذراعى حليمة، وفى أحضانها.

قامت خديجة رضي الله عنها لتُدخل حليمة، فطالما حدَّثها عنها حديثًا يقطر حبًّا ورحمة ودفئًا وكرامة، وعندما وقع بصره الشريف عليها، مَسَّ سمع خديجة

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع (١٥٤١٣): رواه الطبرانى ورجاله وثقوا.

صوته اللطيف وهو ينادى فى لهفة وحنان «أمى، أمى».

نظرت خديجة إلى رسول الله ﷺ فوجدته قد فرش لها رداءه، ومرَّر يده عليها فى حنانٍ دافق، وقد ترقرقت فى وجهه سعادة عارمة، وتألق فى عينيه فرحٌ فياض، لكأنما كان يحتوى فى أحضانه أمه آمنة بنت وهب، وقد بُعثت من مرقدها.

وفى غمرة اللقاء الحار بين رسول الله ﷺ وحليمة، سألها عن حالها، فراحت تشكو إليه قسوة الحياة والجدب الذى نزل ببادية بنى سعد، ثم شكت ضيق العيش، ومرارة الفقر، فأفاض عليها من كرمه.

وبعد ذلك حدث النبى ﷺ زوجه خديجة فى تأثر واضح بما ألَمَّ بمرضعته حليمة من ضيق، وما حاق بها وبقومها من كرب، فتدفقت كنوز فؤاد خديجة بالعطف والرحمة، وأعطتها عن طيب خاطر أربعين رأسًا من الغنم، كما وهبتها بعيرًا يحمل الماء، وزودتها بما تحتاجه فى رجوعها إلى باديتها، وكانت خديجة رضي الله عنها متأهبة على الدوام لتجود بكل أموالها، إرضاءً لزوجها محمد ﷺ، فشكر لها كرمها، ثم انطلق ليضع بين يدى مرضعته ما جادت به خديجة[١].

❀ ❀ ❀

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣١- ٣٢).

وفاء النبي ﷺ لحاضنته أم أيمن رضي الله عنها

إنها حاضنة الحبيب ﷺ التى كانت له أمًا بعد أمه... إنها أم الشهيد (أيمن) الذى شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ... إنها زوجة الحِب (زيد بن حارثة) وأم الحِب ابن الحِب (أسامة بن زيد)... إنها المرأة التى عاشت مراحل النبوة كلها وعاصرت أحداثها بكل ما فيها من جراحٍ وأفراح... إنها أم أيمن رضي الله عنها التى قال عنها أبو نعيم:

أم أيمن المهاجرة الماشية الصائمة الطاوية الناحبة الباكية سُقيت من غير راوية شربة سماوية كانت لها شافية كافية[1].

ولقد تبوأت أم أيمن مكانة عظيمة فى قلب رسول الله ﷺ فلم ينسَ أبدًا أنها كانت أُمًّا له بعد أمه وأنها كانت تُؤْثِره على نفسها بل كانت تشمله بعطفها وحنانها ورحمتها.

عن أنس بن مالك. قال: لما قدم المهاجرون، من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شىء. وكان الأنصار أهل الأرض والعقار. فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم، كل عام. ويكفونهم العمل والمؤونة. وكانت أم أنس بن مالك، وهى تُدعى أم سليم، وكانت أم عبد الله بن أبى طلحة، كان أخا لأنس لأمه، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقًا لها. فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن، مولاته، أم أسامة بن زيد.

قال ابن شهاب: فأخبرنى أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر. وانصرف إلى المدينة. رَدَّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم.

(١) الحلية (٢/ ٦٧).

قال: فردَّ رسول الله ﷺ إلى أمى عِذاقها. وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه(١).

وفى رواية عن أنس: أن الرجل كان يجعل للنبى ﷺ النخلات من أرضه. حتى فُتحت عليه قريظة والنضير، فجعل - بعد ذلك - يرد عليه ما كان أعطاه. قال أنس: وإن أهلى أمرونى أن آتى النبى ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه أو بعضه.

وكان نبى الله ﷺ قد أعطاه أم أيمن. فأتيت النبى ﷺ فأعطانيهن. فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وقالت: والله ! لا نعطيكهن وقد أعطانيهن. فقال نبى الله ﷺ: «**يا أم أيمن ! اتركيه ولك كذا وكذا**». وتقول: كلا. والذى لا إله إلا هو! فجعل يقول كذا حتى أعطاها عشرة أمثاله، أو قريبا من عشرة أمثاله(٢)(٣).

❁ بل كان ﷺ يفرح بأى شىء يُدخل الفرح على أم أيمن.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علىَّ قائفٌ، والنبى ﷺ شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض قال: فَسُرَّ بذلك النبى ﷺ وأعجبه، فأخبر به عائشة(٤).

بل لقد كان النبى ﷺ مع حُبه الشديد لأسامة بن زيد وأبيه رضي الله عنهما وأمه

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٦٣٠) كتاب الهبة، ومسلم (١٧٧١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (١٧٧١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) قال الإمام النووى: قوله فى قصة أم أيمن أنها امتنعت من رد تلك المنائح حتى عوضها عشرة أمثاله. إنما فعلت هذا لأنها ظنت أنها كانت هبة مؤبدة، وتمليكًا لأصل الرقبة، وأراد النبى ﷺ استطابة قلبها فى استرداد ذلك فما زال يزيدها فى العوض حتى رضيت، وكل هذا تبرع منه ﷺ وإكرام لها لما لها من حق الحضانة والتربية. [مسلم بشرح النووى (١٢/ ١٤٣، ١٤٤)].

(٤) **متفق عليه:** أخرجه البخارى (٣٧٣١) كتاب المناقب، ومسلم (١٤٥٩) كتاب الرضاع.

قال النووى رحمه الله (٣/ ٦٤١): قال القاضى: قال المازرى: وكانت الجاهلية تقدح فى نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض، فلما قضى هذا القائف بإلحاق نسبه مع اختلاف اللون، وكانت الجاهلية تعتمد قول القائف فرح النبى ﷺ لكونه زاجرًا لهم عن الطعن فى النسب.

(أم أيمن) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد كان ﷺ يحب ذرية - أم أيمن - الذين رآهم والذين لم يرهم.

فعن حرملة مولى أسامة بن زيد أنه بينما هو مع عبد الله بن عمر إذ دخل الحجاج بن أيمن فلم يتم ركوعه ولا سجوده، فقال: أَعِدْ ... فلما ولَّى قال لي ابن عمر: من هذا ؟ قلت: الحجاجُ بن أيمن ابن أم أيمن. فقال ابن عمر: لو رأى هذا رسول الله ﷺ لأحبَّه... فذكر حبه وما ولدتُه أمُّ أيمن[1][2].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٣٧) كتاب المناقب.

(٢) صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف (٣٣١-٣٣٣).

وفاء النبي ﷺ لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها

وهى أم الفارس الغالب (على بن أبى طالب) رضي الله عنه وهو رابع الخلفاء الراشدين.. وهى جدة سيدى شباب أهل الجنة (الحسن والحسين) رضي الله عنهما وهى أم الشهيد الذى رآه النبى ﷺ يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة (جعفر بن أبى طالب) رضي الله عنه - أحد الأمراء الثلاثة فى سرية مؤتة.. وهى أيضا حماة سيدة نساء العالمين فى زمانها بنت رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها.

كان الحبيب ﷺ يتيمًا فكفله جده (عبد المطلب) وكان يحبه حبًّا شديدًا... وبعد فترة من الزمن أحس عبد المطلب بدنو أجله فأوصى ولده أبا طالب بأن يكفل الحبيب ﷺ وأوصاه به خيرًا وذلك لأن عبد الله (والد رسول الله ﷺ) وأبا طالب أخوان لأبٍّ وأم ... فأمهما هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ.. وكذلك فإن عبد المطلب كان يشعر بأنه لن يحافظ على الحبيب ويحوطه بالرحمة والحنان إلا زوجة أبى طالب لما كان يشعر من الرحمة التى تتدفق من قلبها.

ومات عبد المطلب وانتقل الحبيب ﷺ إلى بيت أبى طالب فوجد فى بيته أما رحيمة جعلته يشعر بأنها أمه بعد أمه التى ماتت.

وكانت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها تحوطه برعايتها وتشمله برحمتها حتى إنها كانت تخاف عليه أكثر من خوفها على أولادها.

ويزداد الحب يومًا بعد يوم

لما دخل النبي ﷺ بيت عمه أبي طالب حلّت بركة النبي ﷺ في ذلك البيت.. حتى أنه كان أبناء أبي طالب لا يشبعون إذا أكلوا وحدهم، فإذا أكل معهم النبي ﷺ كانوا يشبعون بل ويفيض الطعام .. وكانت البركات تزداد يومًا بعد يوم...

وكانت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ترى كل هذه البركات التى دخلت بيتها لأول مرة وهى لا تكاد تصدق نفسها فكانت تزداد حبًّا للنبى ﷺ يومًا بعد يوم حتى كان الحبيب ﷺ يشعر بأن الله رزقه بتلك الأم الرحيمة ليعوضه عن موت أمه.. فها هى ترعاه فى طفولته وشبابه وتخصه بالتقدير والاحترام وتشمله بعطفها وحنانها وظلت ترعاه إلى أن تزوج بخديجة رضي الله عنها .

وحان وقت الرحيل

وظلت فاطمة رضي الله عنها تعيش فى ظل الإيمان والتوحيد عابدة صائمة قائمة إلى أن جاء اليوم الذى نامت فيه على فراش الموت لتلقى ربها عز وجل فيكافئها على صنيعها مع الحبيب ﷺ.

وماتت رضي الله عنها ودُفنت بالمدينة المنورة وأكرمها الله عز وجل بأن نزل الحبيب ﷺ فى قبرها ليدفنها.

ذكر السمهودى أن النبى ﷺ، لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بمكة، وأربع بالمدينة: قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى ﷺ وتربيته، وقبر عبد الله المزنى الذى يقال له ذو البجادين، وقبر (أم رومان) أم عائشة بنت أبى بكر الصديق، وقبر فاطمة بنت أسد[١] رضي الله عنهم جميعًا.

هذا هو الوفاء .... وتلك هي الكرامة

وها هو الحبيب ﷺ صاحب القلب الوفى لم ينسَ أبدًا هذه المرأة الصالحة التى كانت له أمًّا بعد أمه فنزل فى قبرها ليدفنها فكان فى هذا كرامة لها - رضى الله عنها وأرضاها -.

---

(١) وفاء الوفا للسمهودى (٣/ ٨٩٧).

عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال:

«**رحمك الله يا أمى، كنت بعد أمى تجوعين وتُشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينى، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**»، ثم أمر أن تُغسَّل ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور، سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفَّنها ببُردٍ فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال: «**الله الذى يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقِّنها حُجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين قبلى فإنك، أرحم الراحمين**»، وكبَّر عليها أربعًا، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ»[1].

۞ **وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال:**

لما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب، خلع النبى ﷺ قميصه وألبسها إياه، واضطجع فى قبرها، فلما سوَّى عليها التراب قال بعضهم: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئًا لم تصنعه بأحد !! فقال: «**ألبستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت معها فى قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت من أحسن خلق الله إلىَّ صنيعًا بعد أبى طالب**»[2][3].

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٥٣٩٩): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه: روح بن الصلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٥٤٠٠): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه: سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) صحابيات حول الرسول ﷺ للمصنف (٣٤٥-٣٤٧).



صور مشرقة من وفاء المرأة لزوجها

❁ إن من أعظم وأجمل الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها كل زوجة مسلمة صفة الوفاء.... فالوفاء من أعظم الصفات التي تحلى بها النبي ﷺ وأصحابه.... بل وتحلَّت بها كل نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة رضي الله عنهن... ولهذا «دَرَجَتْ المرأة المسلمة على مواتاة زوجها ومصافاته، واستخلاص نفسها له، واحتمال نَبوة الطبع منه، وأكثر ما كان صفاء نفسها، وسماح خُلقها وعذوبة طبعها، إذا استحال الدهر بالرجل فرزأهُ فى ماله، أو نكبه فى قُوته، أو بدَّله بكرم المنصب، وروعة السلطان، أعرافًا من السجن، وأصفادًا من الحديد.

بل لقد كان وفاؤها له بعد عفاء أثره، وامِّحاء خبره، عديل وفائها له وهى بين أفياء نعمته، وأكناف داره، وكان إيثار الإسلام له بمدِّ حدادها عليه أربعة أشهر وعشرة أيام، لا تتجمل فى أثنائها، ولا تزدان، ولا تفارق داره إلى دار أبيها - سُنة من سنن هذا الوفاء، وآية من آياته- لذلك كانت المرأة المسلمة ترى الوفاء لزوجها بعد الموت، آثر مما تراه لأبيها وأمها وذوى قرابتها، فكانت تُؤْثِر فضائله، وتذكر شمائله فى كل موطن ومقام، بل ربما عرض ذكره وهى بين خليفته من بعده، فلا تتحرج فى ذكر فضائله وتفضيله إن كانت ترى الفضل له»[(١)] .

ومن ذلك أيضًا ما رُوى من أن النساء قُمن حين رجع رسول الله ﷺ من أُحد يسألن الناس عن أهلهن، فلم يخبرن حتى أتين رسول الله ﷺ، فلا تسأله واحدة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش، فقال: «**يا حمنة، احتسبى أخاك عبد الله بن جحش**»، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله، وغفر له، ثم قال: «**يا حمنة، احتسبى خالك حمزة بن عبد المطلب**» قالت: إنا لله، وإنا إليه راجعون، رحمه الله، وغفر له، ثم قال: «**يا حمنة احتسبى زوجك مُصعب بن عمير**»، فقالت: ياحرباه[(٢)] ،

(١) المرأة العربية (٢/ ٩٨).

(٢) الحَرَبُ: السَّلَب، وفى لفظ ابن ماجه: قالت: «واحزناه».

قال النبى ﷺ: «**إن للمرأة لشُعبة من الرجل ما هى له فى شىء**»[١]، ولعمرك إن فى قول رسول الله ﷺ لبلاغًا لما أوثرت المرأة به، وأبرَّت فيه من فرط الحنو على زوجها، وفضل الوفاء له بعد موته[٢].

۞ وأوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تُغسله أسماء بنت عميس رضي الله عنها، ففعلت، وكانت صائمة، فسألت من حضر من المهاجرين: وقالت: إنى صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل علىَّ من غُسل؟، فقالوا: لا، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد عزم عليها[٣] لما أفطرت، وقال: هو أقوى لك، فذكرت يمينه فى آخر النهار، فدعت بماء، فشربت، وقالت: «والله لا أُتبعه اليوم حِنثًا»[٤].

۞ ومن حديث ذلك أن أسماء بنت عُميس كانت لجعفر بن أبى طالب، ثم لأبى بكر من بعده، ثم خلفهما على رضي الله عنه، فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر، كلٌّ يقول: أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك، فقال لها علىٌّ: اقضى بينهما يا أسماء، قالت: ما رأيت شابًّا من العرب خيرًا من جعفر، ولا رأيت كهلًا خيرًا من أبى بكر، فقال على: ما تركتِ لنا شيئًا، ولو قلتِ غير الذى قلت لمَقتُّكِ![٥] فقالت أسماء: إن ثلاثًا أنت أقلُّهم لخيار[٦].

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه رقم (١٥٩٠) بلفظ: «**إن للزوج من المرأة لشُعْبَةً، ما هى لشىء**»، وكذا ابن سعد فى «الطبقات» (٨/ ٥٧١)، وابن إسحاق فى السيرة بلفظ: «**إن زوج المرأة منها لبمكان**»، وضعفه الألبانى فى «ضعيف ابن ماجه» رقم (٣٤٧) ص (١٢٠)، وكذا فى «ضعيف الجامع» رقم (١٩٦٠).

(٢) ومن ثم قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله: «ولا ينبغى لوالدى المرأة، ولا لجميع أهلها أن يطلبوا منها الميل إلى إيثارهم أكثر من ميلها إلى زوجها، فإنها تميل إلى زوجها بالطبع، وقد أخبر عنها الشارع بذلك، فلتُعذَر فى ذلك» اهـ. من «أحكام النساء» ص (٧٠).

(٣) أى: أقسم عليها.

(٤) رواه ابن سعد فى «الطبقات» (٨/ ٢٠٨).

(٥) وقيل: لعلها: لومقتك أى: أحببتك!

(٦) رواه ابن سعد فى «الطبقات» (٨/ ٢٠٨-٢٠٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٧٦)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبى. اهـ. من «الإصابة» (٧/ ٤٩١).

ولما تسوَّر المجرمون الفسقةُ على أمير البررة، وقتيل الفجرة، عثمان رضي الله عنه، وتبادروه بالسيوف، ألقت زوجته نائلة بنت الفرافِصة بنفسها عليه حتى تكون له وقاءً من الموت، فلم يرعَ القتلةُ الأثمة حرمتها، وضربوها بالسيف ضربة انتظمت أصابعها، ففصلتهن عن يدها، ونفذت إليه، فجندلته، ثم ذبحوه رضى الله تعالى عنه(١)، ولما خطبها أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه، أبت، وقالت: والله لا قعد أحد منى مقعدَ عثمان أبدًا(٢).

۞ كانت تُمسك عن الزواج بعد موت زوجها لتكون زوجته في الجنة:

وكان من صور الوفاء التى تُنقش على القلوب بماء الذهب أن الواحدة من نساء السلف كانت إذا مات زوجها تُمسك عن الزواج من بعده لتكون زوجة له فى جنة الرحمن - جل وعلا -.

۞ عن عكرمة: أن أسماء بنت أبى بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: «يا بنية اصبرى، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تَزوَّج بعده جُمع بينهما فى الجنة»(٣).

۞ وعن جبير بن نفير، عن أم الدرداء، أنها قالت لأبى الدرداء: «إنك خطبتنى إلى أبوى فى الدنيا، فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك فى الآخرة»، قال: «فلا تنكحين بعدى»، فخطبها معاوية، فأخبرته بالذى كان، فقال: «عليكِ بالصيام»(٤) ....أى: حتى لا تحتاج إلى الزواج.

---

(١) «الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور» ص (٥١٧)، «المرأة العربية» (٢/ ١١٧).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه، كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن (ج٣)، و«الأعلام» (٧/ ٣٤٣).

(٣) صحيح: صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٨١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).

وعن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه أم الدرداء، فأبت أن تزوَّجَه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «**المرأة فى آخر أزواجها**، أو قال: **لآخر أزواجها**»(١).

۞ وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لزوجته: «إن شئتِ أن تكونى زوجتى فى الجنة، فلا تزوجى بعدى، فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها فى الدنيا»(٢).

۞ صورة للوفاء تفوق الخيال:

۞ وهذه صورة للوفاء تفوق الخيال يعجز القلم عن وصفها فتأملى أيتها الأخت الفاضلة كيف كان حال نساء سلفنا الصالح مع نعمة الوفاء.... وخلاصة هذه الصورة التى تفوق الخيال:

«إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كان لأبيها - يوم تزوجت- السلطان الأعظم على الشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند وقفقاسيا والقريم وما وراء النهر إلى نجارا وجنوة شرقًا، وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وإسبانيا غربًا، ولم تكن فاطمة هذه بنت الخليفة الأعظم وحسب، بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام وهم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول، وهو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

بنت الخليفة، والخليفة جَدُّها أخت الخلائف، والخليفة زوجها(٣)

وهذه السيدة التى كانت بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من

(١) الحديث صححه الألبانى فى الصحيحة بشواهده (١٢٨١).

(٢) أخرجه البيهقى فى «سننه» (٧/ ٦٩، ٧٠) وتتمته: «فلذلك حرم الله على أزواج النبى ﷺ أن ينكحن بعده، لأنهن أزواجه فى الجنة»، وفيه أبو إسحاق السبيعى.

(٣) البداية والنهاية (٩/ ١٩٣).

الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زُفَّت إليه وهى مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحُلى والمجوهرات، ويقال إن من هذه الحلى قرطى مارية[١] اللذين اشتهرا فى التاريخ، وَتغنَّى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزًا.

ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبد العزيز كانت فى بيت أبيها تعيش فى نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى فى الدنيا لذلك العهد، ولو أنها استمرت فى بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملأ بطنها فى كل يوم، وفى كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها، وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذى عرفه البشر، لاستطاعت ذلك... إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز اختار- فى الوقت الذى كان فيه أعظم ملوك الأرض- أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم فى اليوم[٢]، ورضيت بذلك زوجة الخليفة التى كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء فكانت مغتبطة بذلك لأنها تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج من هذه الألاعيب والسفاسف التى كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصميها، مما لا يُسمن، ولا يغنى من جوع، ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجابت له، واستراحت من أثقال الحلى والمجوهرات واللآلئ والدرر التى حملتها معها من

(١) وكان أبوها عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ قد أعطاها قُرْطى مارية، والدُّرَّةَ اليتيمة، وكانت أحبَّ أخواتها إليه، وكان قد دعا لها قائلًا: «اللهم احفظنى فيها» فتزوجها ابن عمها عمر بن عبد العزيز اهـ من «البداية والنهاية» (٩/ ٦٧).

(٢) وقد خيَّرها عقب توليه الخلافة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت، وبكى جواريها لبكائها، فسُمِعَت ضجة فى داره، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله اهـ من «البداية والنهاية» (٩/ ١٩٨).

بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفى عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا، فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتى لا تزال كما هى، وإنى اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك فى إحضارها.

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت: وما كنت لأطيعه حيا، وأعصيه ميتًا.

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة، فى الوقت الذى كانت محتاجة فيه إلى دريهمات، وبذلك كتب الله لها الخلود، وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور رَحِمَهَا ٱللَّهُ وأعلى مقامها فى جنات النعيم»[1].

---

(١) مقدمة «آداب الزفاف فى السنة المطهرة» للألبانى ص (٨٤ - ٨٨) بقلم الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى طبعة سنة (١٤٠٩ هـ).

الرباب بنت امرئ القيس

❁ أجمع كلُّ مَنْ عرف الرَّباب بنت امرئ القيس أنَّها من خيار النسوة، ومن فضليات التَّابعيات اللاتى تركن مجدًا مؤثلًا من الفضائل والوفاء والإخلاص. فقد كانت الرَّباب فتاة تبدو عليها ملامح الذكاء والفطنة، وتسيلُ على لسانها نفحات من الشِّعر ورقائق من الأدب، وقد حباها الله ﷻ مسحةً من الوضاءة والجمال، وجمعت من كلِّ فضلٍ من الفضائل بطرف، مما جعلها أثيرةً لدى زوجها الحُسين بن على رضي الله عنهما[1].

❁ ولما قُتل الحسين رضي الله عنه فى أرض كربلاء حزنت الرباب عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبها.

❁ وفى المدينة المنورة، أقامتِ الرَّبابُ بنت امرئ القيس، ولما انتهت عدتها، توافدَ الأشرافُ من قريش لخطبتها، لِمَا عهدوا عندها من صفاتٍ كريمةٍ لا تتوافر إلا فى قليلاتٍ من بناتِ جنْسِها، ولكن أنَّى لهم ذلك؟!!

وقد عقدت الرَّباب حلفًا وثيقًا مع الوفاء عنوانه: الوفاء للحسين، وأبَتِ الزواج بعده، وردَّتِ الخاطبين ردًّا جميلًا، وقالت لهم قولتها المشهورة التى تدلُّ على حُسْنِ وفائها وأدبها:

واللهِ ما كنتُ لأتخذَ حموًا بعد رسول الله ﷺ[2] ... وأبت رحمها الله أن تستبدلَ بالحسين زوجًا، وبالنبى ﷺ صهرًا.

واللهِ لا أَبْتَغِى صِهْرًا بصهركم ... حتى أُغيَّبَ بين الرَّمل والطِّين

ولذلك قال عنها هشام بن السَّائب الكلبى رحمه الله[3]: كانتِ الرَّباب من خيار

(١) نساء من عصر التابعين / أ. أحمد خليل جمعة (ص/ ٦١).

(٢) الأغانى (١٤/ ١٥٨)، والكامل فى التاريخ (٤/ ٨٨).

(٣) هشام بن محمد بن السائب الكلبى، أبو المنذر، مؤرِّخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير

النساء وأفضلهن.

قال الزركلى رَحِمَهُ اللَّهُ **فى الأعلام**[١]: بقيتِ الرَّباب بعد الحسين سنة لم يظلها سقفُ بيتٍ حتى بليتْ، وماتتْ كمدًا رَحِمَهَا اللَّهُ.

۞ وحدّدَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وفاة الرَّباب فى سنة (٦٢ هـ) وقال: وفيها توفيتِ الرَّبابُ امرأة الحسين بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢].

۞ وهكذا فقد عاشت الرَّباب بعد زوجها الحسين قرابة عام، ثم توفيت حزنًا عليه، وعلىٰ ابنها عبد الله الذي قُتل صغيرًا مع أبيه[٣].

۞ ۞ ۞

= التَّصانيف بين أهل الكوفة، له نيفٌ ومائة وخمسون كتابًا، منها: «جمهرة الأمثال» و«الأصنام» و«ألقاب قريش»، و«أسواق العرب» وغيرها. توفى هشام بالكوفة سنة (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ (الأعلام ٨/ ٨٧).

(١) الأعلام (٣/ ١٣)، وانظر الخبر بشكل أوسع فى الكامل لابن الأثير (٤/ ٨٨).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٢٢٠).

(٣) نساء من عصر التابعين / أ. أحمد خليل جمعة (ص/ ٦٤-٦٥).

من ثمرات الوفاء

وهذه باقة عطرة من ثمرات الوفاء التى لا تنتهى أبدًا:

(١) من أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له، أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات وأسباب العبادات.

(٢) الذين يوفون بعهد الله، هم أولوا الألباب وهم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله فوعدهم بأن لهم الجنة ومن أوفى بعهده من الله؟

(٣) مدح الله الموفين بعهودهم كثيرًا فى القرآن.

(٤) الوفاء صفة أساسية فى بنية المجتمع الإسلامى، حيث تشمل سائر المعاملات، إذ كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود تتوقف على الوفاء، فإذا انعدم الوفاء انعدمت الثقة، وساء التعامل وساد التنافر.

(٥) من أهم أنواع الوفاء، الوفاء بالعهود من بيعة وبيع ودَين ونذرٍ وشروطٍ تتعلق بالمعاملات المالية والاجتماعية.

(٦) المسلم المتمسك بالوفاء فى كل أحواله يجد فى نفسه سعادة عظيمة عندما يوفى حقوق الله - عز وجل - كاملة وحقوق إخوانه المسلمين. ولا ينسى حق أهله ونفسه عليه فيعطى كل ذى حقٍّ حقه [١].

أين نحن من الوفاء

وأخيرًا: أين نحن من خُلق الوفاء؟ أين الوفاء مع الله؟ هل حققنا العبودية لله- جل وعلا- أم أننا عشنا من أجل جمع حُطام الدنيا الزائل؟

- أين الوفاء مع رسول الله ﷺ؟ هل عشنا على سنته أم أننا ذهبنا نتشبه بالشرق والغرب وتركنا مصدر عزنا ومعين كرامتنا ووجودنا؟

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣٦٦٨).

- أين الوفاء مع الوالدين؟ أما سمعنا قول الله - جل وعلا-: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ ﴾[1].

- أين الوفاء مع كل من علمنا علمًا نتقرب به إلى الله ﷻ؟.

لقد كان الإمام أحمد يستغفر للإمام الشافعى طوال حياته حتى لقى ربه ﷻ وفاءً له.

- أين الوفاء مع كل من أحسن إلينا؟.

إننا فى حاجة إلى أن نُعلم الكون كله أن الإسلام هو دين الوفاء وأن رسولنا ﷺ هو سيد الأوفياء.

۞ فأسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا خُلق الوفاء.

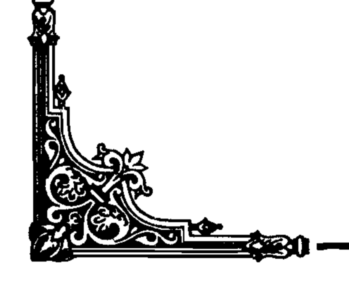
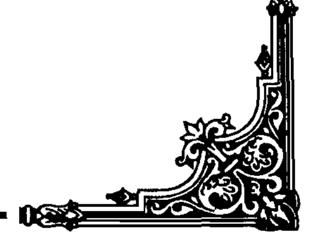
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

مواقف إيمانية في الصبر



فضل الصبر

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[١].

وقال ﷺ: «....والصبر ضياءٌ..»[٢].

وقال رسُولُ الله ﷺ: «عجبًا لأمر المُؤمن إن أمرهُ كُلهُ لهُ خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤمن: إن أصابتهُ سراءُ شَكَر فكان خيرًا لهُ، وإن أصابتهُ ضراءُ صَبَر فكان خيرًا لهُ»[٣].

۞ وفي رواية لُمسلمٍ: «تبكي على صبيٍّ لها».

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المُؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ من أهل الدُّنيا ثُم احتسبهُ إلا الجنة»[٤].

۞ وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهُما الجنة»[٥] يُريدُ: عينيه.

۞ وعن أبي سعيد وأبي هُريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يُصيبُ المُسلم من نَصَبٍ ولا وصَب ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكُها إلا كفر الله بها من خطاياه»[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب. - والوصب: المرض.

۞ وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُصب منه»[١].

۞ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العُقُوبة فى الدُّنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنهُ بذنبه حتى يُوافَى به يوم القيامة»[٢].

۞ وقال النبى ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهُم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فلهُ السُّخطُ»[٣].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاءُ بالمُؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[٤].

۞ وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبتلى العبد فيما أعطاهُ، فإن رضى بما قسم اللهُ لهُ بورك لهُ فيه ووسَّعهُ، وإن لم يرضَ لم يُبارَك لهُ، ولم يزد على ما كُتب لهُ»[٥].

فضل مَن صبرت عند الصدمة الأولى

۞ عن أبى أُمامة عن النبى ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ لك ثوابًا دون الجنة»[٦].

۞ وعن أنس قال: مَرَّ النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر فقال: «اتقى الله واصبرى» قالت: إليك عنى فإنك لم تُصَب بمصيبتى ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبى ﷺ. فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٧].

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٥) كتاب المرضى.
(٢) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٨).
(٣) حسن: رواه الترمذى وابن ماجه، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).
(٤) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨١٥).
(٥) صحيح: رواه أحمد والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٦٩).
(٦) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٨).
(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

أمنا عائشة رضي الله عنها وصبرها في حادثة الإفك

لم تسترح نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يومًا بعد يوم، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا بزعمهم أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبى الكريم ﷺ، فرموا أمنا الطاهرة الصدِّيقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

وكان عبد الله بن أُبى ابن سلول قد تولَّد النفاق والحسد فى قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام وطفق يكيد للنبى ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تُلجمهم وتكبتهم.

نعم إن الابتلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير... ولكن الابتلاء الذى تعرضت له أمنا عائشة رضي الله عنها كان ابتلاءً يُفتت الصخور والجبال ويعصف بالقلوب، فلقد اتُهمت فى أعز شىء تملكه المرأة - اتُهمت فى عِرضها -!!!. إن هذا لهو البلاء العظيم.. عائشة رضي الله عنها تُتهم فى عرضها، وهى الزهرة التقية النقية التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى... ورسول الله ﷺ يُتهم فى عرضه وهو القائم على صيانة حُرمات الأمة وأعراض المسلمين... والصدِّيق رضي الله عنه يُتهم فى عرض ابنته الغالية !!!.

وكان لحديث الإفك وَقْعٌ أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ... ومرت عليها وعلى البيت النبوى الطاهر والبيت البكرى الصادق أوقات قاسية حرجة، امتدت إلى شهر من الزمن، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصدِّيقة بنت الصدِّيق، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذى رُمى بالحديث الآثم، كما وسمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذى ظل يلاحقهم إلى النهاية[١] .

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ١٨٠) بتصرف.

أم سلمة وصبرها على فراق زوجها وابنها رضي الله عنهم

لقد تحملت أم سلمة رضي الله عنها الإيذاء الشديد عند هجرتها مع زوجها إلى المدينة المنورة فصبرت واحتسبت ذلك كله عند الله - جل وعلا -.

والآن، دعونا نعيش ثانيةً رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة مع الأسرة الصابرة.

۞ وها هى أم سلمة رضي الله عنها تحكى قصة هجرتها إلى المدينة المنورة وتحكى قصة الابتلاء الشديد الذى تعرضت له عند الهجرة وتقول: لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة، (أى فى الهجرة)، رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سلمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابنى «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففُرّق بينى وبين ابنى وبين زوجى.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس فى الأبطح، فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبًا منها، حتى مَرّ بى رجل من بنى عمى (أحد بنى المغيرة) فرأى ما بى، فرحمنى.

فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئتِ.

قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذت ابني، فوضعته في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أَوَ مَا معك أحد ؟ قلت: ما معي إلا الله وبنَيَّ هذا.

فقال: والله ! ما لك من مَترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ! ما صحبتُ رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدَّمه فرحَّله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلًا - فادخليها على بركة الله.. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٦٩)، ابن هشام (٢/ ٧٥، ٧٦).



صبر أم سلمة على وفاة زوجها والفوز بأعظم مكافأة



لما نام أبو سلمة على فراش الموت دار بينه وبين زوجه أم سلمة رضي الله عنها هذا الحوار الروحانى.

قالت أم سلمة لأبى سلمة: بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تُزوَّج، إلا جمع الله بينهما فى الجنة. فتعالَ أُعاهدك ألا تتزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك. قال: أتطيعيننى؟ قالت: نعم. قال: إذا مِتُّ تزوجى. اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلًا خيرًا منى، لا يُحزنها ولا يؤذيها.

ودخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**» فضجَّ ناسٌ من أهله فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون**» ثم قال: «**اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونوِّر له فيه**»(١).

الزواج المبارك

وتأتى المنحة الربانية لتتنزل على أم سلمة فتصبح - بفضل الله - إحدى أمهات المؤمنين لتغدو من البيت الطاهر الكريم... ويا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مُسلم تُصيبه مُصيبةٌ فيقول ما أمره الله: (إنَّا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجُرنى فى مُصيبتى وأخلف لى خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها**».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز.

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خيرٌ من أبى سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ[١]... ثم إنى قلتها، وأردت أن أقول: «**وأبدلنى خيرًا منها**» فقلت: ومن خير من أبى سلمة؟ فلم أزل حتى قلتها، فلما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردَّته، وخطبها عمر فردَّته، فبعث إليها النبى ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله... ثم قالت لرسول رسول الله ﷺ: أخبر رسول الله ﷺ أنى غَيرَى (أى كثيرة الغيرة) وأنِّى مُصبية (أى ذات صبيان وأولادٍ صغار) وليس أحدٌ من أوليائى شاهدًا. فبعث إليها النبى ﷺ.

وقال لها: «**أمَّا ما ذكرتِ من غيرتك فإنى أدعو الله ﷻ أن يُذهبها عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك، وأما ما ذكرت من العيال، فإنما عيالك عيالى وأما الأولياء فليس أحدٌ منهم إلا سيرضى بى**»[٢].

ثم تزوج رسول الله ﷺ من أم سلمة؛ فاستجاب الله دعاءها وأخلفها خيرًا من أبى سلمة.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

(٢) التخريج السابق.



حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وصبرها على قتل زوجها خُنيس

❁ لما اشتدَّ أذى قريش للمؤمنين، كان خُنيس ممَّنْ توجَّهَ تلقاء الحبشة فهاجر إليها مع مَنْ هاجر، ثم عاد إلى مكةَ وهاجر إلى المدينة ومعه حفصة زوجه، ونزل على رفاعة بن عبد المنذر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى عَبْس بن جبر،... فخُنيس رضي الله عنه من أصحاب الهجرتين.

❁ وحينما كانت غزوة بدر[1] العظمى شَهِدَها خُنيس، ولم يشهد من بنى سَهْمٍ بدرًا غيره، فكانَ مِنْ أبطالها المجاهدين الذين قاتلوا لتكون كلمةُ الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السُّفلى وأصيب بالجراح فى مواضعَ من جسده، لكنَّه ظلَّ يجالدُ إلى أن انتهتِ المعركةُ بنَصْر المسلمين،... ولما عاد المسلمون إلى المدينة المنورة مات خُنيس رضي الله عنه متأثرًا بجراحه، وصلَّى عليه رسول الله ﷺ ودفنه بالبقيعِ إلى جانب قبرِ عثمانَ بن مظعون رضى الله عنه وأرضاه.

❁ وترمّلَت حفصةُ بنتَ عمر وهى ما تزال فى ريعان شبابها، وحزنت لوفاة زوجها حزنًا شديدًا ظهرت آثاره على قَسَمَات وجهها، لكنَّها تذرعت بالصَّبر والإيمان، وكان أبوها يزورها ويخففُ من آلامها وأحزانها[2].

❁ ولكن الله (جل وعلا) عوَّضها بأعظم شىء تتمناه أى امرأة فى الكون كله... فلقد تزوجها رسول الله ﷺ وأصبحت أمًّا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

(١) من الأخبار السارة المباركة التى تضاف إلى مكارم أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، أن سبعة من أهلها شهدوا بدرًا، وأبلوا بلاءً حسنًا وهم: أبوها عمر، وعمها زيد، وزوجها خُنيس، وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة، والسائب بن عثمان ابن خالها.

(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص ٣٢٥-٣٢٦).



صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ومقتل أخيها أسد الله حمزة رضي الله عنه

لما انهزم المسلمون بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ بالثبات سواء كان النصر أم كانت الأخرى، وانفضَّ أكثر الناس عن رسول الله ﷺ ولم يبقَ حوله سوى القلائل من أصحابه قامت «صفية» رضي الله عنها وبيدها رمح تضرب به فى وجوه الناس الفارين المنهزمين، والأعداء المشركين، وتقول لهم: انهزمتهم عن رسول الله! فلما رآها رسول الله ﷺ أشفق عليها فقال لابنها الزبير بن العوام: «**القها فأرجعها، لا ترى ما بشقيقها** – أى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه –».

فلقيها الزبير فقال: يا أُمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى، فقالت صفية: ولِمَ؟ فقد بلغنى أنه مُثِّلَ بأخى، وذلك فى الله عز وجل قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى.

وعاد الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال ﷺ: «خَلِّ سبيلها» وأتت صفيةُ حمزةَ فنظرت إليه، وصلَّت عليه واسترجعت، واستغفرت، ثم أمر رسول الله ﷺ به فدُفن[1].

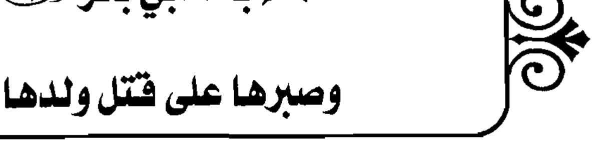
فهذا موقف إيمانى من عَمَّةِ النبى ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، وقد رأت أباها وقد مَثَّلَ به المشركون، ومع ذلك صبرت واحتسبت ... فلله درها وعلى الله تعالى أجرها، ... والمواقف العظيمة يوفق لها العظماء، وقريش هى قريش، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وصفية هى أم الأسد المغوار حوارى رسول الله ﷺ وفارس الإسلام الزبير بن العوام رضي الله عنه، وسوف يأتى موقف آخر لأسماء زوجة الزبير شبيه بهذا الموقف، فلله هذه القمم الشامخة[2].

---

(١) نقلًا عن عودة الحجاب (٢/ ٥٥٠) للدكتور محمد بن إسماعيل المقدم.

(٢) مواقف إيمانية / د. أحمد فريد (ص٣١٦-٣١٨).





أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وصبرها على قتل ولدها

فى تاريخ النساء مواقف حافلة بالبطولات والتَّضحيات، ولكنَّ بطلتنا أسماء تفوق النِّساء جميعًا فى موقف يشير إلى ذكائها وجودها وحسن تصرفها، ذلك الموقف مع ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما الذى امتدَّ سلطانه على الحجاز واليمن والعراق وخُراسان، وجدَّدَ عمارة الكعبة.

غير أنَّ سلطانه بدأ ينحسر ويتلاشى، وأحاطت به جنود الحَجَّاج بن يوسف الثَّقفى وهو فى مكةَ المكرمة، وأحجار المنجنيق تنهمرُ عليه مِن كُلِّ مكان، وكانتِ الفرصة سانحةً أمامه لطَلَب الأمان أو الفرار، ولكنْ أنَّى له ذلك وقد عرفته البلاد بطولها وعرضها بالشَّجاعة والثَّبات والإقدام، وأمُّه أسماء فدائية الإسلام الأولى، وها هى أُمّه قد قاربت المائة وعقلها ما يزال يشعُّ بالحكمةِ وفصل الخطاب، وتوجَّه إليها يبثّها حزنه، ويستشيرها فيما يفعل، وقال لها:

يا أمّ قد خذلنى النَّاس حتى أهلى وولدى، ولم يبقَ لى أملٌ، والقوم يعطوننى ما أردتُ مِنَ الدُّنيا فما رأيك؟

فأجابته الأم العظيمة، يا بنى عِشْ كريمًا، ومُتْ كريمًا، لا يأخذك القوم أسيرًا.

وودَّع عبد الله أمّه بنفس راضيةٍ، وقال يخاطبها:

أسماءُ إن قُتلت لا تبكيني
لم يبقَ إلا حَسَبى ودينى
وصارمٌ لانَتْ به يمينى

وسقط عبد الله بن الزبير شهيدًا، وصلبه الحجاجُ فى المسجد الحرام، وقيل لابن عمر رضي الله عنهما: إنَّ أسماءَ فى ناحية المسجد، فمال إليها وعزَّاها بابنها وقال: إن هذه الجثثَ ليست بشيءٍ وإنَّما الأرواحُ عند الله، فاتقى الله واصبرى، فقالت: وما يمنعنى وقد أُهدى رأسُ يحيى بن زكريا إلى بَغىٍّ من بغايا بنى إسرائيل[1].

ومن روائع الأخبار ما أورده ابن عبد ربه حيث قال: إنَّ عبد الله بن الزبير كان أول مولود وُلد فى الإسلام، فلما وُلد كبَّر النبى ﷺ وأصحابه، ولما قُتِل كَبَّر الحجاج بن يوسف وأهل الشَّام معه، فقال ابنُ عمر: ما هذا؟ قالوا: كبَّر أهل الشَّام لقَتْلِ عبد الله بن الزبير، قال: الذين كبَّروا لمولده خيرٌ مِنَ الذين كبروا لقتله[2].

وصبرت أسماء رضي الله عنها، وضربت أروعَ الأمثلة فى الثَّبات والوقوف بجرأة وصلابةٍ أمام الحَجَّاج، فقد ذُكر أنَّ الحجاج دخل على أسماء فقال: إنَّ ابنك ألحد فى هذا البيت، وإن الله أذاقه مِنْ عذابٍ أليم.

قالت: كذبت! كان برًّا بوالدته، صوَّامًا، قوَّامًا، ولكن قد أخبرنا رسول الله ﷺ: «**أنه سيخرجُ من ثقيف كذابان الآخر منهما شرٌّ من الأوَّلِ وهو مُبير**»[3]، فانصرف الحجاج دون أن يراجعها[4].

فهذا موقفٌ إيمانى فى الصبر على البلاء والرضا بِمُرِّ القضاء من ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر، وما أكثر مواقفها الإيمانية.

عن أسماء قالت: صنعتُ سفرة النبى ﷺ فى بيت أبى حين أراد أن يهاجر، لم

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٥).

(٢) العقد الفريد (٤/ ٤١٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٦).

(٤) نساء مبشرات بالجنة (ص/ ٢٦٦-٢٦٨) بتصرف.

أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطها، فقلت لأبى: ما أجد إلا نطاقى، قال شُقِّيه باثنين فاربطى بهما قال: فلذلك سُمِّيتْ: ذات النطاقين(١) .

وقد طال عمرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فهى أكبر من عائشة الصدِّيقة ببضع عشرة سنة، وهى آخر المهاجرات وفاة.

قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها بليالٍ، وكان قَتْلُه لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين(٢) .

وعن ابن أبى مليكة قال: دخلت على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير فقالت: بلغنى أن هذا صَلَبَ عبد الله، اللهم لا تمتنى حتى أُوتَى به فأحنطه وأكفنه.

فأُتيت به بعد، فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعدما ذهب بصرها.

ومن وجه آخر – عن ابن أبى مليكة : وَصَلَّتْ عليه، وما أتت عليها جمعة إلا ماتت(٣)(٤) .

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩٠٦) كتاب المناقب.

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٥٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٥).

(٤) مواقف إيمانية (٣٢٠-٣٢١).

أم سليم رضي الله عنها وصبرها على موت ولدها

عن أنس رضي الله عنه **قال**: اشتكى ابنٌ لأبى طلحة، قال: فمات، وأبوه أبو طلحة خارج البيت، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، وجعلت ابنها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أنْ يخرج أعلمته أنه قد مات، فَصَلَّى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: «**لَعَلَّ الله أن يبارك لكما فى ليلتكما**»، فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن(١).

وفى بعض الروايات أنها جاءت بغلام حَنَّكَهُ رسولُ الله ﷺ، وسمَّاه عَبْدَ الله، وهو الذى كان من سلالته الإخوةُ القراء.

قال الحافظ: وقوله: «هيأت شيئًا» قال الكرماني: أي: أعدت طعامًا لأبي طلحة وأصلحته، وقيل: هيأت حالها وتزينت.

قال الحافظ: بل الصواب أنها هيأت أمر الصبى بأن غسَّلته وكفنته كما روى فى بعض طرقه صريحًا، وقوله: «**فلما أصبح اغتسل**» كنايةٌ عن الجماع(٢).

فهذا موقف إيمانى من أم سليم رضي الله عنها، مع أن النساء أشد هلعًا وجزعًا فى مثل هذه المواقف، ولكنه الإيمان الذى يغيرُ طبائع النفوس ويعلو بهمم العباد، ويرفعهم فى الدنيا والآخرة،... وعمَّت بركة هذا الموقف الإيمانى ذريةَ أبى طلحة وأم سليم ببركة دعوة النبى ﷺ، فكان فى أولاد أولادهما تسعةٌ كُلُّهم ختم القرآن.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١١٩) كتاب اللباس والزينة.

(٢) فتح البارى (٣/ ١٧٠).

قال الحافظُ: وفى قصة أَمِّ سُلَيمٍ هذه من الفوائد أيضًا: جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها، والتسلية عند المصائب، وتزين المرأة لزوجها وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها فى عمل مصالحه، ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضرورة إليها، وشرط جوازها ألا تبطل حقًّا لمسلم، وكان الحامل لأم سليم على ذلك المبالغة فى الصبر والتسليم لأمر الله تعالى، ورجاء إخلافه عليها ما فات منها، إذ لو أعلمت أبا طلحة بالأمر فى أول الحال تنكَّر عليه وقته، لم تبلغ الغرض الذى أرادته، فلما علم الله صدق نيتها بلَّغها مُناها وأصلح لها ذريتها، وفيه إجابة دعوة النبى ﷺ، وأن مَنْ تَرَكَ شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وبيان حال أم سليم من التجلد وجودة الرأى وقوة العزم[1][2].

(١) فتح البارى (١/ ١٧١).

(٢) مواقف إيمانية (٣٠٤-٣٠٦).

أم عمارة الصابرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم الشهيد

۞ هذه الصَّحابيةُ الجليلة مَضْرب المثل فى كلِّ مكرمة، فكما احتلت مكان الصَّدراة فى الشَّجاعة والفداء، احتلت أيضًا مكانًا عليًّا فى مقام الصَّبر، وذلك فى سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حيث قُتِل حبيبُ ابنها فاحتسبته صابرة عند الله سبحانه.

۞ ولاستشهاد ابنها حبيب بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة شائقة تنبئ عن موقف مبارك لا يقلُّ روعةً عن مواقف أمِّه المجاهدة أمِّ عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بل لا يقلُّ روعةً وثباتًا عن موقف سيدنا بلال بن رباح رضوان الله عليه عندما صَبَرَ وصَمَدَ فى سبيل الله، فكلا الموقفين يشيرُ على مكانة هذين الصَّحابيين الجليلين، ويدلُّ على مكانةِ ومنزلة الصَّابرة المؤمنة أمِّ شهيد الحقِّ نسيبة (أُمُّ عمارة) - رضى الله عنها وأرضاها.

۞ وقصة استشهاد حبيب بن زيد ذكرها الرُّواة وكُتَّاب التراجم والسِّير، وأثنَوْا على حبيب وأمِّه فقالوا: إنَّ مسيلمةَ الكذَّاب وَفَدَ مع بنى حنيفة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلَّفُوه فى رحالهم، وذهبوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلموا، ولما رجعوا إلى منازلهم بنَجْدٍ ارتدَّ مسيلمةُ وزعم أنَّه نبى مُرسَلٌ إلى بنى حنيفة، وتَبِعه بعض قومه بدوافعَ مضطربة أهمُّها العصبية، ... واستشرى خطر مسيلمة وعاث فى الأرض فسادًا.

وهنا برز الشَّهيدُ السَّعيدُ الصَّامدُ ابن أمِّ عمارة حبيب بن زيد، أحد نجباء مدرسة النُّبوة، الذى رضع الإيمان، وفُطِمَ على التَّقوى، وشبَّ على الجهاد، وعاش فى حجر أمِّه يتعلّمُ الخير، وشهد أُحدًا وما بعدها، فاختاره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليؤدى رسالة إلى مسيلمة الكذاب يزجره فيها عن ضلاله وكذبه وغيِّه، ولم يرعَ مسيلمة حرمة الرُّسل بل قبض عليه وأوثقه، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهدُ أنَّ

محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، وإذا قال له: أتشهدُ أنِّي رسول الله؟ قال: أنا أصمّ لا أسمعُ،... فعلَ ذلك مرارًا فقطَّعه مسيلمة عضوًا عضوًا ومات شهيدًا[1]، وصَعدَت روحه إلى بارئها راضيةً مرضيةً.

وقد رثاه مالك بن عمرو الثَّقفى[2] بأبياتٍ رائعةٍ منها:

مضى صاحبى قبلى وخُلِّفتُ بعده ... فكيف بأعضائى البقيةِ أصنَعُ

وقال له الكذَّابُ تشهد أنَّنى ... رسولٌ فأومأ أنَّنى لستُ أسمعُ

فقال أتشهدُ أنَّها لمحمدٍ ... فنادى بدعوى الحقِّ لا يتتعتعُ[3]

فضرَّبَ أمَّ الرَّأس فيه بسيفه ... غوىٌّ لحاه اللهُ بالفتكِ مُولَعُ[4]

۞ وانتشر خبر استشهاد حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما بلغ أمَّ عمارة قَتْلُ ابنها عاهدتِ الله أنْ تموتَ دون مسيلمة أو تُقتلَ، ورضيت بقضاء الله، وصبرت صبرًا جميلًا، فقد نذرت نفسها وأولادها وما تملكُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لتكون فى جنَّات وعيون، ويكفيها الآن أنَّ النبى الكريم ﷺ قد دعا لها ولآل بيتها بالبركة والخيرات، ومات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو راضٍ عنها وعن أولادها[5].

۞ ۞ ۞

(١) الاستيعاب (١/ ٣٢٧)، وأسد الغابة ترجمة حبيب، والاستبصار (ص/ ٨١-٨٢)، والحلية (٢/ ٦٤).

(٢) ترجمة مالك بن عمرو فى الاستيعاب (٣/ ٣٥٠)، وفى الإصابة (٣/ ٣٢٩).

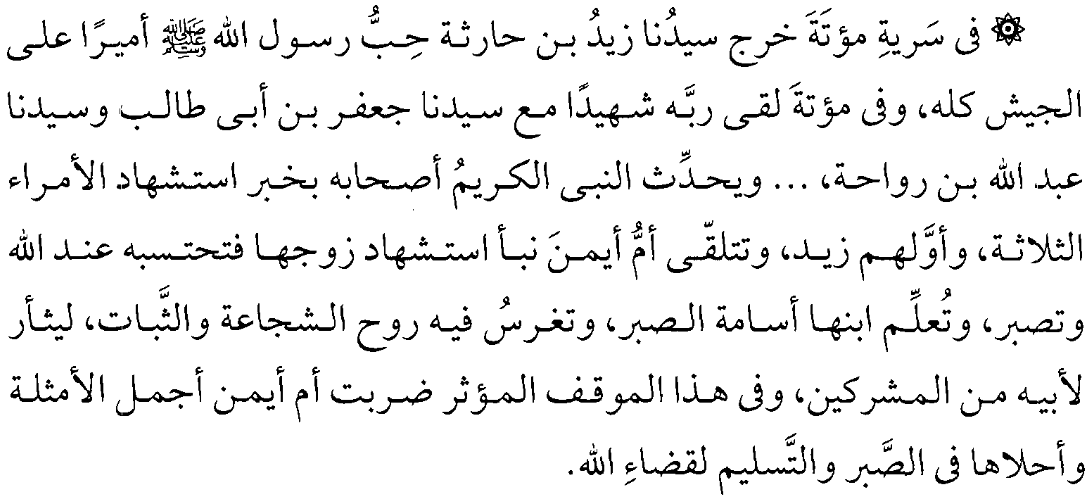
(٣) لا يتتعتع: العى بالكلام.

(٤) كتاب منح المدح لابن سيد الناس (ص/ ٣٠١-٣٠٢).

(٥) نساء مبشرات بالجنة (ص/ ٧٥-٧٧).



أم أيمن (بركة بنت ثعلبة) رضي الله عنها
الصابرة في مؤتة وحنين



۞ فى سَريةِ مؤتَةَ خرج سيدُنا زيدُ بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ أميرًا على الجيش كله، وفى مؤتةَ لقى ربَّه شهيدًا مع سيدنا جعفر بن أبى طالب وسيدنا عبد الله بن رواحة، ... ويحدِّث النبى الكريمُ أصحابه بخبر استشهاد الأمراء الثلاثة، وأوَّلهم زيد، وتتلقّى أمُّ أيمنَ نبأ استشهاد زوجها فتحتسبه عند الله وتصبر، وتُعلِّم ابنها أسامة الصبر، وتغرسُ فيه روح الشجاعة والثَّبات، ليثأر لأبيه من المشركين، وفى هذا الموقف المؤثر ضربت أم أيمن أجمل الأمثلة وأحلاها فى الصَّبر والتَّسليم لقضاءِ الله.

۞ وتأتى غزوة حنين، وتخرج أمُّ أيمن رضي الله عنها مع النساء اللائى خرجن، وفى هذه الغزوة المباركة شاركت أمُّ أيمن بالكثير، دفعتْ بولديها أيمنَ وأسامة ليكونا حول الرسول ﷺ، وشاركت هى فى سقاية الجرحى، كما شاركت بلسانها فى الدُّعاء للمسلمين وطَلَب النصر مِنَ الله لهم.

۞ ومن الجدير بالذكر أنَّ ابنها أيمن كان مع النَّفر مِنَ المهاجرين والأنصار الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، ومنهم: سيدُنا العبَّاس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وايمنُ بن عبيد الخزرجى، وأسامةُ بن زيد، وأبو بكر، وعمر، وحارثةُ بن النُّعمان، وغيرُهم، وقد ضرب سيدنا أيمن بن عبيد أروعَ الأمثلة فى الشَّجاعةِ وفى الدِّفاع عن رسول الله ﷺ وسقط شهيدًا، ولحق بربه إلى جنَّاتٍ عرضُها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

۞ وصبرت أمُّ أيمن أيضًا واحتسبت ابنها عندَ الله سبحانه ابتغاءَ مرضاته ومرضاةِ رسوله ﷺ(١).

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص/ ١٠٤).

الخنساء رضي الله عنها تحتسب أولادها الأربعة

ها هى الخنساء رضي الله عنها التى ملأت الدنيا بكاء وعويلًا على موت أخيها (صخر) فى الجاهلية.. ها هى بعد أن صاغها الإسلام صياغة باهرة تقدم فى يوم القادسية أولادها الأربعة لينالوا شرف الشهادة!!

أنا لا أستطيع أن أعلق بكلمة واحدة سوى أن أقول: إنها معجزة من معجزات الإيمان الذى يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده.

۞ لقد علمنا كيف كان حُزنها على أخيها -الذي كان مشركًا- وجزعها لموته وتصدُّع قلبها واضطرام حشاها. لقد استحال كل ذلك إلى صبر أساغه الإيمان، وجمَّله التُّقى، فلم تأسَ على فائت من متاع الحياة الدنيا.

أولئك أبناؤها، وهن أشطار كبدها، ونياط قلبها، خرجوا إلى القادسية وكانوا أربعة، فكان مما أوصتهم به قولها: «يا بنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية.

اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها[1]، وجالدوا رسيسها[2]، تظفروا بالغُنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة».

فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب فتية، وأنوف حمية، فإذا فتر أحدهم ذكَّره إخوته وصيةَ الأم العجوز، فزأر كالليث، وانطلق كالسهم. وانقضَّ كالصاعقة، ونزل كقضاء الله على أعداء الله، وظلوا كذلك حتى استشهدوا

(١) الوطيس: المعركة أو الضرب فيها.

(٢) الرسيس: الأصل.

واحدًا بعد واحد.

وبلغ الأم نعى الأبطال الأربعة فى يوم واحدٍ، فلم تلطم خدًّا، ولم تشق جيبًا، ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين، وصبر المؤمنين، وقالت: (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته).

ولنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال. ما الذى حوَّلها وغيَّرها من حال إلى حال؟! إنه إكسير الإيمان الذى وضعه النبى ﷺ فى قلوب المؤمنين فنقلهم من دنيا الجهالة إلى عالم المُثل العليا والقيم الرفيعة والأخلاق العالية والشوق إلى رضوان الله[١].

أم تحتسب أولادها الثلاثة (يوم تُستر)

وها هى أمٌّ صابرة قد امتلأ قلبها إيمانًا ويقينًا ورضًا بقضاء الله (ﷻ)... ها هى تحتسب أولادها الثلاثة فى يوم معركة (تُستر).

۞ عن جويرية بن أسماء عن عمه أن إخوة ثلاثة شهدوا يوم تُستر فاستشهدوا، فخرجت أمهم يومًا إلى السوق لبعض شأنها، فتلقَّاها رجل حضر «تُستر» فعرفته، فسألته عن أمور بنيها، فقال: «استشهدوا»، فقالت: «مقبلين أو مدبرين؟» قال: «مقبلين»، قالت: «الحمد لله نالوا الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسى هم وأبى وأمى»[٢].

۞ ۞ ۞

(١) ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون/ للمصنف (ص ٧١، ٧٢).

(٢) المنحة المحمدية فى بيان العقائد السلفية، للشيخ محمد بن أحمد بن عبد السلام خضر (ص ٢١١).

معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم رَحِمَهُمُٱللَّهُ

روى ابن أبى شيبة بإسناده عن ثابت البنانى أن صِلَةَ بن أشيم كان فى غزاة له ومعه ابن له: فقال له: أى بنى، تقدَّم فقاتِل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فَقُتِلَ فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية فقالت للنساء: مرحبًا، إن كنتن جئتن لتهنئتى مرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن[1].

ومعاذة العدوية عابدةٌ من العابدات الشهيرات، وإنما تليق المواقف الإيمانية بأرباب العبادة والعلم؛ لأن الموقف الإيمانى ثمرة الإيمان، فهم أحق بها وأهلها.

وهذا الموقف الإيماني يشتمل على مواقف:

الموقف الأول: موقف صلة بن أشيم وهو يدفع ابنه للجهاد ويُرغبه فى الاستشهاد، فهو موقف فى البذل والتضحية، وكيف أن الواجب على المسلم أن يكون حبه لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وللجهاد فى سبيل الله أَكْثَرَ من حبه لأولاده.

وفى هذا واعظ لكثير من الآباء الذين يمنعون أولادهم من الالتزام بالشرع المتين ومحبة الدعاة المخلصين خوفًا عليهم من السجون والمعتقلات، مع أن ما قَدَّرَهُ الله عز وجل لابد له منه،... ولننظر إلى خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كم قاتل وكافح وجاهد، وما فى جسده موقع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ومع ذلك مات على فراشه، فلا نامت أعين الجبناء.

وفيه موقف الولد وطاعته لأبيه، وتقدمه للقتال قبل أبيه حتى قُتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وموقف معاذة رَحِمَهَاٱللَّهُ فى الصبر على البلاء، فرحم الله سلف الأمة، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) تسلية أهل المصائب (٣٥).



أعرابية ذهب البرد بزرعها فصبرت واحتسبت فعُوضت خيرًا



قال التنوخى: أخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصُّولى (بالبصرة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قراءة عليه وأنا أسمع عن البرقى) قال: رأيتُ امرأةً بالبادية، وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يُعَزُّونَها فرفعت طَرْفَها إلى السماء وقالت: اللهم، أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنَّ أرزاقَنَا عليك، وآمالَنَا مصروفة إليك.

قال: فَلْم أبرح حتى جاء رجلٌ من الأجلاء فَحُدِّث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار[1].

۞ ثواب الصبر والرضا كاملٌ فى الآخرة: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[2]، ومع ذلك فإن الله ﷻ يعوض المؤمن فى الدنيا ولا يخيبه، فهذه من البركات المعجلة للمؤمنين، وتوفية حسابهم يوم القيامة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة لنورًا فى الوجه، وضياءً فى القلب، وَسَعَةً فى الرزق، ومودة فى قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلامًا فى الوجه، وسوادًا فى القلب، وضيقًا فى الرزق، وبُغضةً فى قلوب الخلق[3].

۞ ۞ ۞

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخى (١/ ١٨١) دار صادر.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

(٣) مواقف إيمانية (٣٢١-٣٢٣).

أم عقيل رَحِمَهَاٱللَّهُ

قال الأصمعى: خرجت أنا وصديق لى بالبادية فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها، فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام، قالت: ما أنتم؟ قلنا: قومٌ ضَلُّوا عن الطريق أتيناكم فأَنِسْنا بكم.

فقالت: يا هؤلاء، وَلُّوا وجوهكم عنى حتى أقضى من حقكم ما أنتم له أهل ففعلنا فألقت لنا مسحًا فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتى ابنى.

ثم جَعَلَتْ ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابنى، وأما الراكب فليس بابنى، فوقف الرَّكْبُ عليها فقال: يا أم عقيل، أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكِ فى عقيل.

قالت: ويحك، مات ابنى؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟

قال: ازدحمت عليه الإبل فَرَمَتْ به فى البئر.

فقالت: انزل فاقضِ ذمام القوم ودفعت إليه كبشًا، فذبحه وأصلحه وَقَرَّب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خَرَجَتْ إلينا وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء، هل فيكم من يُحْسِنُ من كتاب الله شيئًا؟ قلتُ: نعم، قالت: اقرأ علىَّ من كتاب الله آيات أَتَعَزَّى بها.

قلتُ: يقول الله ﷻ فى كتابه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

قالت: آلله إنها لفى كتاب الله هكذا؟ قلت: آلله، إنها لفى كتاب الله هكذا، قالت: السلام عليكم ثم صَفَّتْ قدميها وَصَلَّتْ ركعات، ثم قالت: إنا لله وإنا إليه

(١) سورة البقرة: الآيات (١٥٥-١٥٧).

راجعون، عند الله أَحْتَسِبُ عقيلًا – تقول ذلك ثلاثًا –، اللهم إنى فعلت ما أمرتنى به فَأَنْجِزْ لى ما وعدتنى به"[١].

وهذا الموقفُ تعجز عنه الكلمات فى كرم الضيافة، والصبر، والرضا والاحتساب، وبعضُ هذه الصفات كانت متوفرة عند العرب فى جاهليتهم، فلما تشرفوا بالإسلام ازدادت رُسُوخًا بالإسلام وتهذبت بآدابه وأخلاقه، وقد عَزَّتْ هذه الصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة فى المتأخرين، واللهُ ولى الصابرين[٢].

❁ ❁ ❁

(١) المنحة المحمدية للشيخ محمد عبد السلام الشقيرى رحمه الله (٢٠٨– ٢٠٩) نقلًا عن: عودة الحجاب (٢/ ٥٤٨– ٥٤٩). والمسح: الفراش، والذمام: الحرمة، وإنما تقصد حق ضيافة القوم.

(٢) مواقف إيمانية (ص/ ٣٢٥-٣٢٦).

زوجة فتحٍ المَوْصلي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ

«هذه زوجة فتحٍ الموصلى، انقطعتْ إصبعها، فضحكتْ، فقال لها بعض مَنْ معها: أتضحكين، وقد انقطع إصبعك؟! فقالت: أخاطبك على قدْر عقلك، حلاوة أجْرِها أنستْنى مرارةَ قطْعها».

قال ابن القيم: «إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَقْلَهُ لَا يحْتَمِلُ مَا فَوْقَ هَذَا الْمَقَام. مِنْ مُلَاحَظَةِ الْمُبْتَلِى. وَمُشَاهَدَةِ حُسْنِ اخْتِيارِهِ لَهَا فِى ذَلِكَ الْبَلَاءِ، وَتَلَذُّذِهَا بِالشُّكْرِ لَهُ، وَالرِّضَا عَنْهُ، وَمُقَابَلَةِ مَا جَاءَ مِنْ قِبَلِهِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ. كَمَا قِيلَ:

لَئِنْ سَاءَنِى أَنْ نِلْتَنِى بِمُسَاءَةٍ ... فَقَدْ سَرَّنِى أَنِّى خَطَرْتُ بِبَالِكَا»[1]

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦٧-١٦٨).

الصبر الجميل

قال الأصمعي:

رأيت سيدة جميلة يبدو عليها أثر النعمة، وصحة البدن مما يُلفت الأنظار، فقلت لها: سيدتى، أرى عليك أثر النعمة .. وبقية من عافية .. فأخذت تبكى، وقالت: يا سيدى، لو علمت ما أنا فيه من الهموم لرحمتنى، ولبكت عيناك، قلت لها: حدثيني لعلى أساعدك، قالت: والله لا يملك عونى على ما أنا فيه إلا الله.. ثم قالت: اسمع أحدثك عن شأنى: فى سنة من السنين، جاءنا عيد الأضحى .. وكنا فى دارنا مع زوجى وأبنائى .. وقد أعدَّ زوجى أضحية، فلما رجع من مُصلاه قمنا بذبح الأضحية.. وكان لنا ولدان حبيبان..فلما فرغ من الذبح انصرف لبعض شأنه، وترك السكين أمام الغلامين، فقال الأكبر لأخيه الأصغر: ألا أريك كيف ذبح أبوك الأضحية؟ قال: نعم.. فتناول السكين وذبحه، فلما رأى الدم، ولى هاربًا فى جوف الصحراء.. فلما جاء الأب وعلم بما حدث، ذهب وراء الغلام ليبحث عنه فى الصحراء.. فمات عطشًا بين الجبال..ففقدت فى ساعة واحدة زوجى وولداى...فقال الأصمعى: كيف أنت والصبر؟ قالت: لو دام لى لدُمت له[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوى (٢/ ١٦٤) بتصرف.

لعله خير

كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله فى جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك فى يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعى؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك فى كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة ... وفى آخر النزهة حطَّ رَحله قريبًا من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنمًا وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قُربان يقدمونه للصنم ... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكى يقدموه قُربانًا إلى آلهتهم ... وقد رأوا إصبعه مقطوعًا وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا وأطلقوا سراحه ..!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره بالقصة التى جرت عليه فى الغابة... وقال له فعلًا كان قطع الأصبع خيرًا لى .. ولكن سوف أسألك سؤالًا واحدًا: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير ... وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟!!

قال الوزير: أنا وزيرك ودائمًا معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك فى الغابة وبالتالى قبضوا علىَّ عَبَدَة الصنم وقدمونى قُربانًا لآلهتهم وأنا لا يوجد بى عيب... ولذلك دخولى السجن كان خيرًا لى!!

أختاه يُبتلى المرء على قدر دينه

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[(١)].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[(٢)].

فاعلمى يا أختاه أن البلاء على قدر الدين فكلما ازددتِ إيمانًا وتقوى كلما اشتد البلاء عليك وذلك والله دليل محبة الله لك. فقد قال ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط»[(٣)]... فهل يحزن الإنسان يا أختاه إذا علم أن الله يحبه؟!![(٤)]

---

(١) صحيح: أخرج البخارى شطره الأول معلقًا، في كتاب المرضى، باب: أشد الناس بلاء، ووصله أحمد عن سعد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) سورة العنكبوت: الآيات: (١-٣).

(٣) رواه الترمذى عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(٤) كتاب (إنها الجنة يا أختاه)/ للمصنف (ص ٤٢-٤٣).

بلسم الجراحات لأختي المريضة

اعلمى أيتها الأخت المؤمنة أن المرض رحمة عظيمة من عند الله تعالى فهو علامة على حب الله تعالى للإنسان المريض ولذا قال ﷺ: «**إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط**»(١)... وتالله لو لم يكن للمرض من الأجر والمثوبة سوى محبة الله جل وعلا -للمريض المحتسب- لكان كافيًا لأن يجعل المؤمن يتمنى المرض ويشتهيه.

بل قال ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يُصب منه**»(٢)... أى: من أراد الله بها خيرًا يبتليها بشىء من المرض أو غير ذلك من أنواع البلاء.

۞ المرض يكفر الله به الخطايا:

قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٣).

ولذلك فعليك أن تحتسبى وتصبرى على هذا البلاء فهو خيرٌ من عند الله.

۞ امرأة آثرت الجنة على الشفاء... فأين من تقتدى بها؟!!

فعن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع وإنى أتكشف فادع الله تعالى لى قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة وإن شئتِ دعوت الله تعالى أن يعافيك**». فقالت: أصبر. فقالت: إنى أتكشف فادع الله

(١) رواه الترمذى عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٥) كتاب المرضى.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

أن لا أتكشف فدعا لها(١)... انظرن يا نساء المسلمين لتلك المرأة التى وجدت أمامها فرصة للشفاء بدعاء النبى ﷺ لها ولكنها آثرت الجنة على الشفاء، ولكن الأمر الذى هو أعظم من ذلك أنها لم يكن لديها همّ سوى خوفها من تكشُّف جسدها على الرغم من أنها فى حال هذا التكشف تكون فى غير وعيها فلا لوم عليها ولا ذنب!!. وأنا أسألكن بالله أن تعقدن مقارنة بينها وبين نساء المسلمين الآن اللواتى يتكشفن بمحض إرادتهن لفتنة الشباب المسلم فى كل مكان!!... (نسأل الله الهداية لكل نساء المسلمين).

۞ إذا مرض العبد أو سافر يُكتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا:

قال ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء فى جسده قال الله -عز وجل-: اكتب له صالح عمله .. فإن شفاه غسله وطهره وإن قبضه غفر له ورحمه**»(٣). فيا لها من رحمة واسعة!!!

۞ ۞ ۞

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٥٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٣) رواه أحمد عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٨).

أختاه ما الذى يخفف عنك ثقل البلاء؟

۞ هناك أشياء تخفف عنك ثقل البلاء ألا وهى:

(١) **معرفة أن الله يحبك:** «إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه» وإذا أحب الله عبده جاءت ثمرة المحبة «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه».

(٢) **ملاحظة حسن الجزاء:** فلو جاء إنسان وقال سأضربك ضربة بيدى ثم أعطيك مائة ألف جنيه فهل ستشعرين بألم الضربة؟! بالطبع لا ولله المثل الأعلى. فلك أن تتخيلى أن الله يبتليك ويقول لك إن ثمن هذا البلاء هو الجنة !! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

(٣) **انتظار الفرج:** فإنك إذا جاءك المرض تكونين بين حالين إما أن تموتى صابرة محتسبة فلك الأجر العظيم وإما أن يكتب الله لك الشفاء محتسبة أيضًا فلك سعادة الدارين واعلمى أن الله لطيف بعباده... ومن لطفه تعالى بعباده أنك تكونين فى قمة البلاء وعلى الرغم من ذلك يلقى الله فى قلبك الراحة والرضا بقضائه والثقة فى الأجر والثواب من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٤) **تهوين البَلِيَّة:** وذلك بأن تحمدى الله على أن البلاء فى الدنيا وليس فى الدين وتحمديه أيضًا أنها لم تكن أشد من ذلك.

(٥) **سماع سير أهل البلاء:** فإن ذلك يهون عليك البلاء....[1]

۞ ۞ ۞

(١) من كتاب ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون - للمصنف.

يا من حُرمتِ من نعمة الولد ... هذا هو الطريق

أيتها الأخت المسلمة... يا من حُرمتِ من نعمة الولد إننى أود أن أوصى نفسى وإياك وكل المسلمين بأعظم وصية ألا وهى.

۞ الرضا بقضاء الله:

وذلك لأنه ركن عظيم من أركان الإيمان بالله جل وعلا... ففى الحديث أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ فقال: «**فأخبرنى عن الإيمان؟**»: قال : «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

فالدنيا لا تدوم على حال فقد يعطى الله الإنسان المال ثم يسلبه إياه بعد حين وقد يعطيه الأولاد حتى إذا تعلق قلبه بأولاده سلبه الله إياهم فيتمنى أن الله لم يرزقه بالأولاد حتى لا يحزن على فراقهم... ولذلك نجد أن المسلم هو الإنسان الوحيد الذى يعلم كيف يتعامل مع الابتلاء فهو يعلم أن الابتلاء سُنة جارية على كل البشر وأن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل... فيتلقى المؤمن البلاء بصدرٍ رحب وبقلبٍ راضٍ مطمئن لأنه يعلم أن الله لا يظلم الناس شيئًا.

۞ أختاه لا تقولى لماذا حرمنى الله نعمة الولد بل تذكرى كم أسبغ الله عليك من النعم:

هكذا تكون الأخت المؤمنة فهى تعلم أن الله أسبغ عليها النعم الكثيرة (وكفى بالإسلام نعمة) فإن كان الله حرمها نعمة واحدة فهى لا تنسى أبدًا سائر النعم وما أكثرها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٣٤).

بل إن المسلمة تعرف أن البلاء نعمة ومنحة من عند الله تحتاج إلى الشكر وليس محنةً تحتاج إلى الصبر... فبه يكفر الله عنها السيئات ويرفعها فى درجات الجنات ويَجبر كسرها فى تقصيرها فى حق الله بل وفى شكر الله جل وعلا على تلك النعم.

❁ تأملى الحكمة يا أختاه فى قصة الخضر مع نبى الله موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ فتعجب نبى الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[1]. فجاءت الإجابة بعدها بآيات على لسان الخضر عليه السلام قائلًا: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[2].

فتأملى يا أختاه تلك القصة واعلمى أن الكثير والكثير من الآباء كان ومازال أبناؤهم هم سبب عذابهم وشقائهم فى تلك الحياة الدنيا حتى إن كثيرًا منهم تمنوا أن الله لم يرزقهم بهؤلاء الأبناء.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الكهف: الآية (٧٤).

(٢) سورة الكهف: الآيتان (٨٠-٨١).

وها هي أسباب الإنجاب

وعلى الرغم من ذلك يا أختاه فلا مانع من أن نأخذ بالأسباب شريطة ألا نظن أنها هى التى تجلب النفع والضر... بل لا بد أن نتيقن من أنها مجرد أسباب وأن الذى يملك النفع والضر هو الحق جَلَّجَلَالُهُ.

(١) السبب الأول: إقامة التوحيد لله جل وعلا:

فإن من أقام التوحيد فى قلبه لله جل وعلا فإن الله ييسر له الخير كله فى الدنيا والآخرة.

(٢) السبب الثانى: الدعاء:

قال ﷺ: «**إن الله تعالى حَيىٌ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»[١].

❁ لا تنسى دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهنا يأتى القصص القرآنى الذى ما ذكره الله إلا لنأخذ منه العظة والعبرة ولنسقطه على أرض الواقع... قال تعالى مخبرًا عن قصة نبيه زكريا مع مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ قال مجاهد: وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف. ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فجاء الجواب: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ أى فى ذلك الوقت الذى رأى فيه زكريا كرامة الله لمريم دعا ربه متوسلًا ومتضرعًا ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ فجاءته الإجابة فى التو واللحظة ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن سلمان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٢) سورة آل عمران: الآيات (٣٧-٣٩).

ويخبرنا الحق جلَّ وعلا فى سورة الأنبياء أنه دعا بهذا الدعاء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1].

فلا تنسى يا أختاه أن تدعى بهذا الدعاء أنت وزوجك.

(٣) السبب الثالث: التقوى سبب لإنجاب الأولاد بل ولحفظهم!!!

لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[2].

والأولاد رزق من عند الله جل وعلا..بل إن التقوى تكون سببًا لحفظ الأولاد بعد مجيئهم إلى تلك الحياة الدنيا... قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3]...والنتيجة العملية نأخذها من سورة الكهف ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[4].

(٤) السبب الرابع: الاستغفار من أعظم الأسباب فى الرزق بالأولاد:

نعم والله فالاستغفار سبب فى رفع قدرة الزوج على إتيان زوجته.

وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٨٩-٩٠).

(٢) سورة الطلاق: الآيتان (٢، ٣).

(٣) سورة النساء: الآية (٩).

(٤) سورة الكهف: الآية (٨٢).

(٥) سورة هود: الآية (٥٢).

فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الله يعطى الرَّجل قوة فوق قوته لكثرة استغفاره... وكذلك فالاستغفار سبب فى جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها... قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1].. فجاء التصريح فى تلك الآيات بأن الاستغفار سبب فى الرزق بالأولاد فى قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾... فما عليكِ أيتها الأخت الفاضلة إلا أن تكثرى أنت وزوجكِ من الاستغفار ... فقد ورد عن ابن عمر أنه قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد: «**رب اغفر وتب علىَّ إنك أنت التواب الرحيم**» وفى رواية «**إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة[2].... وكان أبو هريرة يستغفر الله فى اليوم الواحد ثلاثة آلاف مرة... ولا تنسى دعاء سيد الاستغفار فقد قال ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» قال: «**ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»[3].

۞ شر البليّة ما يُضحك!!!

ومن طرائف ما يُروى: أن أميرًا من العرب يُكنَّى بأبى حمزة، تزوج امرأة وطمع أن تلد له غلامًا، فولدت له بنتًا، فهجر منزلها لشدة غيظه من ولادتها أنثى، وصار يأوى إلى بيت غير بيتها، فمر بخبائها بعد عام، وإذا هى تداعب ابنتها بأبيات من شعرٍ تقول فيها:

---

(١) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٣).

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

مــا لأبــي حمــزة لا يأتينــا يظــل بالبيــت الــذى يلينــا
غــضبان ألا نلــد البنيــنا ليــس لنــا مــن أمرنــا مــا شــينا
وإنمــا نأخــذ مــا أُعطينــا[1][2]

(٥) الأخذ بالأسباب الطبية:

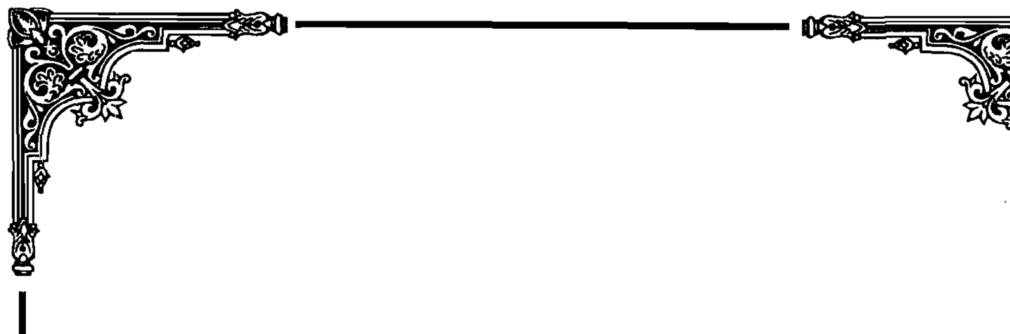
ومع كل هذا فلا مانع من أن تأخذي بالأسباب الطبية أنت وزوجك .. فقد يكون المانع من الإنجاب أمرٌ يسير فيزول باستخدام الأدوية والعقاقير أو بإجراء جراحة بسيطة ويأتي الفرج بعد ذلك بإذن الله (جل وعلا).

۞ أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقك بالذرية الصالحة التي تقر عينك في الدنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

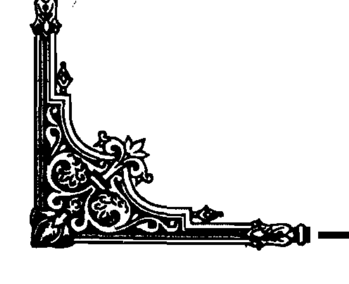
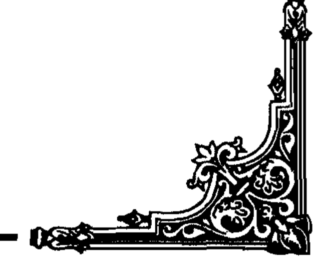
(١) تربية الأولاد فى الإسلام - عبد الله ناصح علوان (١/ ٥٥-٥٦) بتصرف.

(٢) إنها الجنة يا أختاه / للمصنف (٤٣-٤٦) بتصرف.



مواقف إيمانية

في مراقبة الله (جل وعلا)



النبى ﷺ يُعلم الأمة مراقبة الله (جل وعلا)

وها هو الحبيب ﷺ يعلم الأمة كيف تكون مراقبة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسن**»(١).

وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**»(٢).

فالنبى ﷺ يعلمنا هنا أن العبد لا بد أن يراقب الله ﷻ فى كل سكناته وحركاته وكلماته وأفعاله؛ بل فى كل زمان ومكان «**اتق الله حيثما كنت**».. ومن المعلوم أن العبد قد يخطئ ويقع فى المعصية ولذا عقَّب بعدها النبى ﷺ بقوله: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» وهذا فيما يتعلق بحق الله -جل وعلا- أما فيما يتعلق بحق العباد فلقد قال ﷺ بعدها: «**وخالق الناس بخلق حسن**» فجمع فى تلك الكلمات اليسيرة بين حق الله وحق العباد.

- وقال ﷺ: «**ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت**»(٣).

- وقال ﷺ : «**من استطاع منكم أن يكون له خبء من عملٍ صالحٍ فليفعل**»(٤).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، والدارمى (٢٧٩١) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٠٨٤٧) مسند الأنصار رضي الله عنهم، من حديث أبى ذر رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) ومن مسند بنى هاشم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) حسن: رواه ابن حبان فى صحيحه (٢/ ١٢٩)، من حديث أسامة بن شريك، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥٥).

(٤) صحيح: رواه ابن الجوزى فى العلل (٢/ ٨٢٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٨).

وهكذا تكون المراقبة لله ﷻ بأن ينشغل الإنسان المؤمن بعين الله ومراقبته ولا ينشغل بعين الناس طلبًا للحمد والثناء، فقد قال ﷺ: «**مَن أرضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٠، ٦٠٩٧).

قصة ابنة بائعة اللبن

أصدر عمر رضي الله عنه قانونًا يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف، وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!.

القانون أعجز من هذا؛ فإن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها... أما عين الله فلا يعجزها شيء... فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذى يعمل عمله فى هذا المجال.

وهنا تُحكَى القصة المشهورة ... حكاية الأم وابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا فى زيادة الربح، والبنت المؤمنة تُذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ فترد الابنة بهذا الجواب الذى نبع من قلب مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذى سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله عز وجل إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإنى لأرجو الله أن يُخرج من أصلابها رجلًا يوحد الله به كلمة المسلمين... وكان الذى توقعه عمر رضي الله عنه ، فقد تزوجها ابنه عاصم، فأنجبت له بنتًا سمَّوها ليلى وكنّوها بأم عاصم، ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذى قاد المسلمين إلى كل خير... وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا.

۞ بل إن المراقبة تجعل العبد أبعد ما يكون عن معصية الله -جل وعلا- وبذلك يصبح المجتمع نظيفًا طاهرًا خاليًا من المعاصى والمخالفات التى تجلب سخط رب الأرض والسموات - جل وعلا-.

۞ وبالجملة فالمراقبة تُحيى القلوب الموات وتوقظ الضمائر النائمة

وتجعل من الإنسان نموذجًا فريدًا يندر وجوده بين سائر البشر فهى تقود المؤمن لأداء حقوق البشر وعدم الوقوع فى مظالم العباد بل وتجعل العبد يحرص على أن لا يأكل إلا حلالًا ولا يُدخل بيته إلا الحلال... بل وتجعل العبد يحب لأخيه ما يحب لنفسه حتى إنه ليرتقى إلى درجة الإيثار على النفس.

وكل ذلك بفضل مراقبة العبد لربه (جل وعلا).

المرأة التي تابت على يد الربيع بن خثيم

أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد (الربيع بن خثيم) - رَحِمَهُ اللهُ فذهبوا إلى امرأة من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك!

فقالوا لها: هذا ثمن قُبلة واحدة تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغي وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزني.

ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها وحيائها المترتب على تجردها من الإيمان... فقام إليها (الربيع) مسرعًا وقال لها: كيف بك يا أَمَةَ الله إذا نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين.. أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير... أم كيف بك يوم تقفين بين يدى العزيز الجليل... أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تُرمين فى الجحيم!!!.

ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة صائمة حتى لُقبت بعد ذلك بعابدة الكوفة... فقال هؤلاء الفجار الذين أرسلوها لإفساد الربيع بن خثيم: أردنا منها أن تُفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا.

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد

۞ كان (المبارك) عبدًا رقيقًا أعتقه سيده، ثم اشتغل أجيرًا عند صاحب بستان، وفى ذات يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: ائتنا برمانٍ حلو فقطف رمانات ثم قدمها إليهم، فإذا هى حامضة، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لم تأذن لى أن آكل حتى أعرف الحلو من الحامض.... فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا - وظن أنه يخدعه- فسأل الجيران عنه، فقالوا: ما أكل رمانة واحدة. فقال له صاحب البستان: يا مبارك... أريد أن أستشيرك فى أمرٍ هام.... إننى ليس عندى إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها؟ فقال له: يا سيدى لقد كان اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أى الأصناف أنت زوِّج ابنتك للصنف الذى أنت منه. فقال: والله لا أزوجها إلا على التقوى وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتك وزوجتك ابنتى!!!. سبحان الله ... عَفَّ المبارك عن رمانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته، والجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه... ومن هذا البيت خرج شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك الذى كان يقول: لأن أردّ درهمًا من شبُهة خير لى من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم... حتى عد ستمائة ألف درهم ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[1].

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد.

۞ ۞ ۞

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٨).

فأين الله؟

كان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يسير في بعض طُرق مكة في زيارة لواحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم وفجأة رأى رجلًا يرعى الغنم قد انحدر من الجبل فلما رآه عبد الله قال له: أيها الرجل... هل أنت الذي ترعى هذه الأغنام؟

فقال له الراعي: نعم... أنا راعي الغنم.

فقال له عبد الله: أريد أن أشتري منك شاة من الغنم فهل تبيع ؟

قال الراعي: أنا لا أمتلك الغنم إنما أنا مملوك عند سيدي.. فلا أستطيع أن أبيع شيئًا منها.

قال له عبد الله -يريد أن يختبره-: قل لسيدك: أكلها الذئب.

فقال الراعي: فأين الله عز وجل.

فتأثر عبد الله بن عمر بهذه الكلمة وبكى وهو يقول: فأين الله... فأين الله...

ثم ذهب عبد الله مع هذا الغلام الراعي إلى سيده واشتراه من سيده واشترى الغنم كلها.. ثم أعتق هذا الغلام وأعطاه الغنم هدية.

وقال له: لقد أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا فأسأل الله أن تُعتقك يوم القيامة من النار.

❁ ❁ ❁

عابدة تموت من خشية الله (جل وعلا)

قال ابن الجوزى رَحِمَهُ اللَّهُ: «بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت فى نفس رجل مهلبى وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبى، فبلغ المهلبى أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكترِ من فلان المهلبى -أي: فليستأجر منه- فاكترت منه، فلما كان فى بعض الطريق جاءها ليلًا فقال: إما أن تزوجينى نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بحمَّال ولا خرجت فى هذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها، قالت: ويحك! انظر أبقى فى الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا، قالت: عُد فانظر فمضى وجاء، فقال: ما بقى أحد إلا وقد نام.

فقالت: ويحك! أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة.

وخَرَّ المهلبى مغشيًّا عليه ثم قال: ويحى قتلت نفسًا ولم أبلغ شهوتى فخرج هاربًا[1].

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزى (٢٧٦، ٢٧٧).

دع ذلك ليوم التغابن

قال خارجة بن زياد - وهو رجل من بنى سليمة - هويت فتاة من الحى فكنت أتبعها إذا خرجت من المسجد، فعرفت ذلك منى، فقالت لى ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلت: نعم. قالت: وما هى؟ قلت: مودتك.

قالت: دع ذلك ليوم التغابن.

قال: فأبكتنى والله فما عدت إلى ذلك[١].

فأين مكوكبها

قال أعرابى: خرجت فى بعض الليالى المظلمة فإذا أنا بجارية جميلة فأردتها على نفسها، فقالت: ويلك! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين! فقلت لها: إيها! والله ما يرانا إلا الكواكب قالت: فأين مكوكبها؟[٢]

(١) «ذم الهوى» (ص ٢١٥).

(٢) «ذم الهوى» (ص ٢١٦، ٢١٧) لابن الجوزى.

امرأة عفيفة

قال سعيد بن جبير: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أمسى أخذ درته، ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئًا ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلة يعس إذ مرَّ بامرأة على سطح وهى تقول:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه وأرَّقنى أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره ليفض من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيبًا موكَّلًا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة، فضرب باب الدار فقالت: ما هذا الذى يأتى إلى امرأة مغيبة -أى: غاب زوجها- هذه الساعة؟ فقال: افتحى فأبت، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحى فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت ما أنت أمير المؤمنين فرفع بها صوته وجهر لها، فعرفت أنه هو ففتحت له، فقال: هيه كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت.

فقال: أين زوجك؟

قالت: فى بعث كذا وكذا -يعني في الجهاد- فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرِّح فلان بن فلان ... فلما قَدِم عليه قال: اذهب إلى أهلك، ثم دخل على حفصة فقال: أى بُنية كم تصبر المرأة عن زوجها؟

فقالت: شهر أو اثنين أو ثلاثة وفى الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلًا للبعث[1] .

---

(١) «روضة المحبين» لابن القيم (ص ١٩٦، ١٩٧) دار التوفيقية، و«ذم الهوى» لابن الجوزى مختصرًا (ص ٢٢٣، ٢٢٤).

شيخ تفوح منه رائحة المسك

قيل لأبى بكر المِسكى: إنَّا نشم منك رائحة المسك على الدوام فما سببه؟ فقال: والله إنَّ لى سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علىَّ حتى أدخلتنى دارها، وأغلقت دونى الأبواب، وراودتنى عن نفسى فتحيرت فى أمرى، فضاقت بى الحيل، فقلت لها: إنَّ لى حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضى بى إلى بيت الراحة (الحمام) ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة (الغائط)، وألقيتها على جميع جسدى، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتنى دُهشت، ثم أمرت بإخراجى، فمضيت واغتسلت، فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام مَن يقول لى: فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك فى الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح منى، واستمرَّ ذلك إلى الآن[1].

---

(١) «المواعظ والمجالس» لابن الجوزى (ص ١٦٣) نقلًا من مواقف إيمانية للنساء.

ما الذى يعينك على مراقبة الله (جل وعلا)؟

وأخيرًا: ما الذى يعينك على مراقبة الله (جل وعلا)؟

۞ إن من أعظم الأشياء التى تعينك على مراقبة الله أن تتعرفِى على الله بأسمائه وصفاته فإذا علمتِ أن الله هو الرقيب الحسيب الشهيد المحصى العليم السميع البصير كان ذلك حاديًا لأن تستحضرى رقابته عليك فى كل زمان ومكان.. وهذا هو الترجمة الحقيقية لقول النبى ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

۞ وإن مما يعينك على مراقبة الله (جل وعلا): البُعد عن صديقات السوء والحرص على الرفقة الصالحة ومن هنا جاءت وصية الحبيب ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[2].

۞ وإن مما يعينك على مراقبة الله (جل وعلا): الخوف من سوء الخاتمة فإن الخوف من سوء الخاتمة طيَّر نوم العابدين وجعلهم دائمًا خائفين وجلين يخشون من سوء الخاتمة.

فكان أحدهم يظل الليل كله يقرأ قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[3] ويبكى خوفًا من سوء الخاتمة.

وكان النبى ﷺ يدعو ويقول: «.... **وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند**

---

(١) رواه البخاري (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان، من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤) باقى مسند المكثرين، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٧٤).

الموت»[١].

بل كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»[٢].

۞ وإن من أعظم الأسباب التي تعينك على مراقبة الله (جل وعلا):

استحضار نعيم الجنة وعذاب النار... فالعاقل هو الذي يحاسب نفسه في الدنيا ويُلزمها بطاعة الله لكي يفوز بالنعيم والرضوان في جنة الرحيم الرحمن - جل وعلا-.. فكل نعيم دون الجنة سراب وكل عذاب دون النار عافية.

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥٥٢) كتاب الصلاة، والنسائي (٥٥٣١) كتاب الاستعاذة، من حديث أبي اليسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٨٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٩١).



مواقف إيمانية

في التوكل على الله (جل وعلا)



ما هو التوكل؟

❁ التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله (ﷻ) فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة، وكِلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطى ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[١].

وقال الجرجانى: التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما فى أيدى الناس[٢].

وقال أبو تراب النخشبى: هو طرح البدن فى العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية؛ فإن أُعطى شكر، وإن مُنع صبر. فجعله مركبًا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفايته له، وشكره إذا أُعطى، وصبره إذا مُنع.

وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان.

فالتوكل حال النبى ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته.

❁ وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «التوكل على الله ﷻ جماع الإيمان».

❁ ❁ ❁

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص/ ٤٠٩).
(٢) التعريفات (ص/ ٧٤).

النبى ﷺ يُعلم الأمة نعمة التوكل

وها هو الحبيب ﷺ يُعلم الأمة نعمة التوكل على الخالق (جل وعلا).

۞ عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو(١) خماصًا(٢) وتروح(٣) بطانًا(٤)**»(٥).

معناه: تذهب أول النهار خماصًا: أى ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطانًا: أى ممتلئة البطون.

۞ بل ويأتيه رجل ومعه ناقة فيقول له: يا رسول الله أعقلها(٦) وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»(٧).

۞ ويعلمنا الحبيب ﷺ نعمة التوكل على الله فى كل شىء حتى فى أمر الرزق الذى ضمنه الله لنا فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٨).

۞ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة(٩) فأنزلها بالناس(١٠) لم تُسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله(١١) فيوشك الله له**

---

(١) الغدوة: الخروج أول النهار.

(٢) الخمص: الجوع.

(٣) ترجع آخر النهار.

(٤) شبعانة.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥، ٣٧٢) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٠).

(٦) العقال: الحبل الذى تربط به الدابة.

(٧) حسن: رواه الترمذى (٢٥١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٦٨).

(٨) سورة الذاريات: الآية (٢٢).

(٩) الفاقة: الحاجة والفقر.

(١٠) أى: طلب إزالتها من الناس بطريق الشكوى والسؤال.

(١١) أى: إزالتها من الله بالدعاء والتوكل.

برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ»[١].

❁ وقال ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»[٢].

ولله در القائل:

ويزعـــم أنـــه منـــا قريـــب ... وأنـــا لا نُــضيع مـــن أتانـــا

ويـــسألنا علـــى الإقتـــار جـــودًا ... كـــأنا لا نـــراه ولا يرانـــا

❁ بل يعلمنا ﷺ هذا الذكر المبارك ليحفظنا الله ﷻ من كل سوء.

❁ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** -يعنى إذا خرج من بيته-: **بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت وكُفيت ووُقيت، وتنحَّى عنه الشيطان**». زاد أبو داود: «**فيقول: يعنى الشيطان لشيطانٍ آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِىَ وَكُفِىَ وَوُقِىَ؟**»[٣].

❁ ويعلمنا الحبيب ﷺ أن النفع والضر بيد الله وحده:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام إنى أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىءٍ لم ينفعوك إلا بشىءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىءٍ لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت**

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٦٤٥) كتاب الزكاة، والترمذى (٢٣٢٦) كتاب الزهد، وأحمد (٣٦٨٨، ٤٢٠٧) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٨٧).

(٢) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، عن جابر رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٥٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٥) كتاب الأدب، والترمذى (٣٤٢٦) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٩).

الأقلام[١] وجفت الصحف[٢]»[٣].

۞ بل ويخبر الحبيب ﷺ أن التوكل ينفع العبد فى دنياه وآخرته بل وينجيه من أهوال يوم القيامة بدءًا من النفخ فى الصور.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم[٤] القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**». فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبى ﷺ فقال لهم: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**»[٥].

۞ ۞ ۞

(١) كناية عن تقدير المقادير قبل الخلق.

(٢) كناية عن الفراغ من كتابة المقادير.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) ومن مسند بنى هاشم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٤) التَقَم: أخذ بفمه.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٠٦٥٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٢).

هذا هو سيد المتوكلين

وها هى صفحة ناصعة من توكل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

۞ ففى الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبى ﷺ قبل نجدٍ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة فى وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابى فقال: «**إن هذا اخترط**[1] **علىَّ سيفى وأنا نائم، فاستيقظت وهو فى يده صَلْتًا، قال: من يمنعك منى؟ قلت: الله - ثلاثًا**» ولم يعاقبه وجلس[2].

وفى رواية: قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافنى؟ قال: «**لا**» قال: فمن يمنعك منى؟ قال: «**الله**»[3].

وفى رواية أبى بكر الإسماعيلى فى صحيحه: قال: من يمنعك منى؟ قال: «**الله**» فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: «**من يمنعك منى؟**» فقال: كن خير آخذٍ، فقال: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟**» قال: لا، ولكنى أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلىَّ سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[4].

---

(١) اخترَط: سلَّ السيف وأخرجه من غمده.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤١٣٧) كتاب المغازى، ومسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣١)، وأبو يعلى فى مسنده (٣/ ٣١٣)، وعبد بن حميد فى مسنده (١/ ٣٣٠).

۞ وفى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا تموت، والجن والإنس يموتون**»(١).

۞ وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل علىَّ**»(٢).

۞ بل وفى حديث هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة كان معه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال أبو بكر ـ كما فى الصحيحين ـ: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «**ما ظنك يا أبا بكرٍ باثنين الله ثالثهما**»(٣).

۞ ومع كل هذا اليقين والتوكل الذى امتلأ به قلب النبى ﷺ فقد كان يأخذ بالأسباب ويُعلم الأمة كلها أن تأخذ بالأسباب بشرط ألا تتعلق القلوب إلا بمسبب الأسباب (جل وعلا).

فها هو النبى ﷺ فى هجرته من مكة إلى المدينة يستأجر رجلًا مشركًا ليدله على الطريق بل ويخرج مختفيًا عن أعين المشركين.

وفى يوم أُحد كان يقاتل ويُظاهر بين درعين... وكان يدخر القوت لأهله ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٤) كتاب الأدب، والنسائى (٥٤٨٦) كتاب الاستعاذة، والترمذى (٣٤٢٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٨٤) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٦٠٧٩، ٢٦١٨٩) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود، والمشكاة (٢٤٤٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

۞ بل كان من أسماء رسول الله ﷺ: المتوكل. كما في الحديث: «....وسمَّيتك المتوكل»[1] وإنما قيل له ذلك ﷺ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره[2].

۞ ۞ ۞

(١) صحيح: رواه البخاري (٢١٢٥) كتاب البيوع، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٤٥٠).

هاجر عليها السلام... قدوة فى التوكل

وهذه قدوة عظيمة فى التوكل أهديها لكل أختٍ مسلمة:

إنها هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام التى ضربت المثل والقدوة فى التوكل على الله -جل وعلا-.

فإنه لما أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يخرج بزوجه -هاجر- وولده -إسماعيل عليه السلام ليتركهما فى مكة، وإذا بالخليل يمتثل أمر ربه ويذهب إلى مكة حيث لا أنيس ولا جليس... حيث لا إِنس ولا أُنس.. ويترك معهما جرابًا من تمر وسقاء فيه ماء.

ودعونا نترك الحديث لابن عباس رضي الله عنهما ليقص علينا تلك القصة التى تثلج القلب.

أخرج البخارى.... عن ابن عباس قال: «أول ما اتخذ النساء المنطق[1] من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ﷺ ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي

(١) المنطق ما يشد على الوسط، وانظر ـ للمزيد والتفصيل ـ «فتح البارى» (٦/ ٤٠٠).

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(١).

ورجعت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فلذلك سعى الناس بينهما**».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صَهٍ، تريد نفسها، ثم تسمَّعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملَك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم -أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينًا معينًا**» قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: «**لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتًا يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله**»(٢)(٣).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٧٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) إتحاف الأتقياء بتحقيق وتهذيب قصص الأنبياء ـ للحافظ ابن كثير ـ تحقيق عصام مرعي رحمه الله (ص١١١ ـ ١١٣) بتصرف. ط. دار البيان الحديثة.

أم موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.. وكمال الثقة بالله

۞ **ومن علو الهمّة فى التوكل**: الثقة بالله تعالى، فالثقة سواد عين التوكل، ونقطةُ دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم.

والثقة خلاصةُ التوكّل ولُبّه، كما أن سواد العين أشرف ما فى العين.

والثقة هى النقطة التى يدور عليها التفويض، فلو كان التفويض قلبًا، لكانت الثقة سويداءه، ولو كان عينًا لكانت سوادها. والثقة هى روح التوكل، ونسبتها إلى التوكل كنسبة الإحسان إلى الإيمان.

۞ وخير مثال على الثقة بالله تعالى وعلو الهمة فيها: أم موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١].

قال ابن القيم: «فإن فِعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربها، لما ألقت بولدها وفلذة كبدها فى تيار الماء، تتلاعب به أمواجه، وجريانه إلى حيث ينتهى أو يقف»[٢].

لله ما أشرف هذا المقام وأحلاه وأعلاه.. إن الأم إذا خافت على ولدها، ضمته إلى صدرها... ولكن أم موسى يلهمها الله تعالى أن تلقى بولدها إلى النهر.. ثقة منها بربها... ويتهادى التابوت بالرضيع حتى يصل إلى تحت قصر فرعون.. لتكون المعركة على أرضه.. إنك ترسل المئات والآلاف بحثًا عن الرضيع، وتذبح من أجله الآلاف من الرجال، وتستحيى النساء... فها هو الآن فى قصرك... وأطلّت آسية على الجمال الموسوى الذى زُكّى صاحبه بقوله

(١) سورة القصص: الآية (٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤٣).

تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[١]، فألقى الله محبته في قلبها، فقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾[٢]، لهوان فرعون على الله، لم يرسل الله تعالى مع موسى لحفظه طائفةً من الملائكة، وإنما حماه بأرق شيءٍ.. ستر رقيق من المحبة يغلف قلب آسية... ونفذ فرعون أمر آسية. فانظري كم قتل فرعون للظفر بموسى، ولسان القدر يقول له: «لا نربيه إلا في حجرك»... ويحرم الله على موسى المراضع، لترضعه أمه، ليكون الرد كاملًا ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾[٣]... فانظري جزاء الثقة بالله تعالى... الطمأنينة ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[٤]... بعد أن كانت ترضع ولدها على خوف من فرعون وملئه، فالآن ترضع بأمر فرعون... وثقت بربها... فكانت تُرضع ولدها وتأخذ أجرها... وما كان هذا أبدًا لأم غيرها...

ورد الله إليها ولدها... وأنعم عليه بالنبوة، فإن الهدية إذا جاءت من عند الملك تضمخ بطيبه...

ومن قبلها أم إسماعيل، تثق بربها «إذن لا يضيعنا». فيرسل الله سيد ملك السماء جبريل، ليحفر لها زمزم.

فهلا وثقتِ بربكِ، وملأتِ قلبكِ فرحًا به... ولم تتركي في قلبكِ مكانًا خاليًا لمحبة سواه، ورددّتِ ما قال القائل:

وملأت قلبي منك حتى لم تدع ... مني مكانًا خاليًا لسواكا

والقلب فيك هيامه وغرامه ... والروح لا تنفك عن ذكراكا

(١) سورة طه: الآية (٣٩).

(٢) سورة القصص: الآية (٩).

(٣) سورة القصص: الآية (٧).

(٤) سورة القصص: الآية (١٠).



لقد نظر مخلوق إلينا نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق (جل وعلا)؟



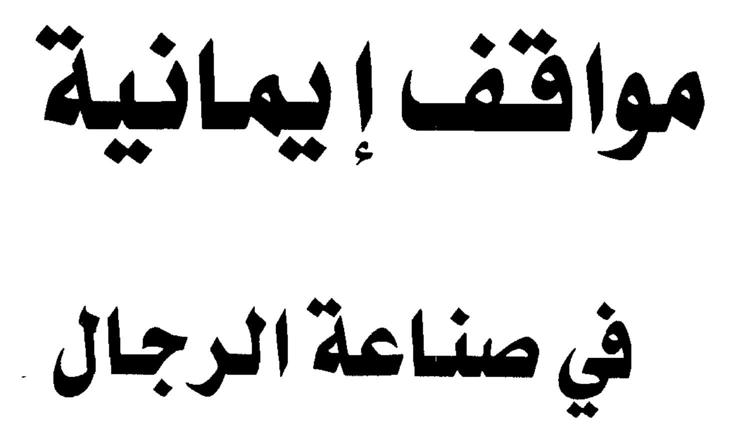
❁ قيل لحاتم الأصم، علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: على أربع خلال: علمت أن رزقى لا يأكله غيرى، فلست أهتم به. وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى، فأنا مشغول به. وعلمت أن الموت يأتينى بغتة، فأنا أبادره. وعلمت أنى بعين الله فى كل حال، فأنا مُستحٍ منه.

❁ وقال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١).

❁ **وروى أن حاتم الأصم قال لأولاده**: إنى أريد الحج... فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق... فخرج فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تُخجلنى بينهم...فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء... فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم... فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى فليصنع مثلما صنعت... فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء فجعلت البنت تبكى فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا... فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرةً فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟.

❁ ❁ ❁

(١) سورة المنافقون: الآية: (٧).



مواقف إيمانية
في صناعة الرجال



الأم صانعة الرجال والأبطال

«فى قرن وبعض قرن، وثب المسلمون وثبة ملؤوا بها الأرض قوة وبأسًا، وحكمة وعلمًا، فراضوا الأمم، وهاضوا الممالك، وركزوا ألويتهم فى قلب آسيا، وهامات إفريقية، وأطراف أوروبا، وتركوا دينهم وشرعهم ولغتهم وعلمهم وأدبهم تدين لها القلوب، وتنقلب بها الألسنة، بعد أن كانوا فرائق بددًا لا نظام، ولا قوام، ولا علم، ولا شريعة.

ففى أى المدارس درجوا، ومن أى المعاهد خرجوا؟

لقد قطع المسلمون تلك المرحلة التى سَهَم لها الدهر، ووجم لروعتها التاريخ، ولم يقيموا معهدًا أو ينشئوا جامعة...أستغفر الله! بل لقد كانت خِصاصهم وخيامهم ودورهم وقصورهم معاهد ومدارس، وما شئت من مغارس حكمة، ومغاوص آداب، ولى أمرها أمهاتُ صدق، أقامهن الله على نشئه، واستخلفهن على صنائعه، وائتمنهنَّ على دُعاة حقه، ورعاة خلقه، فكن أقوم خلفائه بواجب، وأثبتهن على عهده، وأنهضهن بالفادح الشديد من أمره.

لقد كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبرَّ بهؤلاء القوم من أن يخرجهم مُخرجًا سيئًا، أو ينبتهم منبتًا فاسدًا، أو يضمهم إلى صدور واهية، وقلوب سقيمة، ثم يسومهم أشرف مطالب الحياة، ويوردهم أسمى مقاصدها..؛ لأن الأم من الأمة بمثابة القلب من الجسد، فهى غذاء أرواحها، ومِران أعوادها، ومفيض مداركها، ومبعث عواطفها، فإن وهنت كان كل أولئك ضعيفًا» [(١)].

۞ هؤلاء العظماء ثمرة من ثمرات الأم المسلمة:

إذا قلبت صفحات تاريخنا الإسلامى، فلا تكاد تقف على عظيم ممن ذلَّت

(١) «المرأة المسلمة» عبد الله عفيفى (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

لهم نواصى الأمم، ودانت لهم الممالك، وطبق ذكرهم الخافقين، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، وكيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها؟ مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم، وفى مسارب دمائهم.

۞ **فالزبير بن العوام:** فارس رسول الله ﷺ، الذى بلغ من بسالته وبطولته، أن عدل به الفاروق رضي الله عنه ألفًا من الرجال، حين أمدَّ به جيش المسلمين فى مصر، وكتب إلى قائدهم عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول:

أما بعد: فإنى أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألفٍ: رجلٌ منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن خالد.

وقد صدقت فراسة الفاروق رضي الله عنه، وسجل التاريخ فى صفحاته أن الزبير لا يعدل ألفًا فحسب، بل يعدل أمة بأسرها، فقد تسلل إلى الحصن الذى كان يعترض طريق المسلمين، وصعد فوق أسواره، وألقى بنفسه بين جنود العدو، وهو يصيح صيحة الإيمان: «الله أكبر».. ثم اندفع إلى باب الحصن، ففتحه على مصراعيه، واندفع المسلمون، فاقتحموا الحصن، وقضوا على العدو قبل أن يفيق من ذهوله.

«هذا البطل العظيم إنما قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ، وأخت حمزة أسد الله، فقد شبَّ فى كنفها، ونشأ على طبعها، وتخلَّق بسجاياها.

۞ **والكملة العظماء:** عبد الله، والمنذر، وعروة أبناء الزبير: كانوا ثمرات أمهم أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما، وما منهم إلا له الأثر الخالد، والمقام المحمود.

۞ **وأمير المؤمنين على بن أبى طالب** رضي الله عنه: تنقَّل فى تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ.

۞ **وعبد الله بن جعفر:** سيد أجواد العرب وأنبل فتيانهم، تركه أبوه صغيرًا، فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس، ولها من الفضل والنبل ما لها.

۞ **وأمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان** رضي الله عنهما: أريب العرب وألمعيها، ورث عن هند بنت عتبة همة تجاوز الثريا، وهى القائلة - وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش معاوية ساد قومه -: ثكلته إن لم يسُد إلا قومه، ولما نُعى إليها ولدها يزيد بن أبى سفيان قال لها بعض المعزين: «إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف منه، فقالت: أَوَ مثل معاوية يكون خلفًا من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها، ثم رُمى به فيها، لخرج من أيها شاء.

وكان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأى، انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند» [(١)].

۞ **وعبد الله بن زيد المازنى:** الذى حكى وضوء رسول الله ﷺ، والذى قتل مسيلمة الكذاب بسيفه [(٢)]، وقتل هو يوم الحرة.

۞ **وأخوه حبيب بن زيد بن عاصم المازنى:** الذى أخذه مسيلمة فقطعه، قطعة قطعة.

كلاهما كان ثمرة أم فاضلة مجاهدة هى أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها، كان أخوها عبد الله بن كعب المازنى من البدريين، وكان

---

(١) «المرأة العربية» (٢/ ١٣٣، ١٣٤) بتصرف، وانظر: «معاوية بن أبى سفيان» لمنير الغضبان ص (٣١).

(٢) هكذا ذكره الحافظ الذهبى رحمه الله فى «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١، ٢٨٢)، وهو يخالف ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله فى قصة مقتل مسيلمة الكذاب فى «البداية والنهاية» (٦/ ٢٦٨)، (٦/ ٣٤١)، من أن الكذاب قتله وحشى بن حرب، وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصارى.

أخوها عبد الرحمن من البكائين، شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحدًا، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل[١].

❁ **وعبد الملك بن مروان:** أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص ابن أمية، وكان لها من مضاء العزم، وذكاء القلب، ونفاذ الرأى ما لم يكن بعض الرجال فى شىء منه، وهى التى يعنيها ابن قيس الرقيات فى قوله لعبد الملك:

أنت ابن عائشة التى ... فضلت أروم[٢] نسائها

لم تلتفت للداتها[٣] ... ومشت على غُلَوائها[٤]

ولدت أغرَّ مباركًا ... كالشمس وسط سمائها[٥]

❁ **وأبو حفص عمر بن عبد العزيز:** أورع الملوك وأعدلهم وأجلُّهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أكمل أهل دهرها كمالًا، وأكرمهن خلالًا، وأمها تلك التى اتخذها عمر لابنه عاصم، وليس لها ما تعتز به من نسب، إلا ما جرى على لسانها قول الصدق فى نصيحتها لأمها[٦]، وهى التى نزعت به إلى خلائق جده الفاروق رضي الله عنه.

❁ **وأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر:** الذى ولى الأندلس وهى ولاية

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٢٧٨ - ٢٨٢).

(٢) الأروم: جمع الأرومة: الأصل.

(٣) لدات: جمع لِدة، واللِّدَةُ: التِّرْبُ، من وُلِد معك.

(٤) الغُلَواء: الغُلُوُّ، وأول الشباب وسرعته.

(٥) «العقد الفريد» (٢/ ٢١٦) ط. بولاق، وانظر «السير» للذهبى (٤/ ٢٤٩).

(٦) حكى الميدانى أن عمر رضي الله عنه مرَّ بسوق الليل - وهى من أسواق المدينة - فرأى امرأة معها لبن تبيعه، ومعها بنت لها شابة، وقد همت العجوز أن تَمْذِقَ لبنها - أى: تخلطه بالماء - فجعلت الشابة تقول: يا أُمَّه لا تمذقيه، ولا تغُشيه، فوقف عليها عمر فقال: مَنْ هذه منك؟ قالت: ابنتى، فأمر عاصمًا فتزوجها، وهى جدة عمر بن عبد العزيز لأمه.

تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبثت أن قرت له، وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له، ورجف لبأسه، فكان أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، حكم مدة خمسين سنة وستة أشهر، وبعدما كانت قرطبة إمارة، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدري ما سر هذه الهمة، وما مهبط وحيها ؟ إنها المرأة وحدها! فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا.... قَتل عمه أباه وعمره واحد وعشرون يومًا، فتفردت أمه بتربيته وإيداع سر الكمال وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت[1].

❁ **وسفيان الثوري:** وما أدراك ما سفيان الثوري[2].

إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث الذي قال فيه زائدة: الثوري سيد المسلمين، وقال الأوزاعي: ولم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان، وما كان ذلك الإمام الجليل، والعلم الشامخ، إلا ثمرة أمٍّ صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها، وفضائلها، ومكانتها، وإن كان ضن علينا باسمها.

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن وكيع قال: قالت أم سفيان لسفيان: يا بني ! اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي[3]، فكانت رَحِمَهَا اللَّهُ تعمل، وتقدم له، ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة... قالت له ذات مرة - فيما يرويه الإمام أحمد أيضًا-: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف،

(١) «المرأة العربية (٢/ ١٣٦) بتصرف، وانظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر «الإمام سفيان الثوري» للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص (٣٦، ٣٧).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ١٨٩).

فانظر: هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك وحلمك ووقارك؟، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك، ولا تنفعك[١].

فهل من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة فى الدين، كيف وهو قد ترعرع فى كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذى بلبن تلك الأم الناصحة التقية؟!

۞ والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم أبو عمرو الأوزاعى:
يقول فيه أبو إسحاق الفزارى: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعى، والثورى، فأما الأوزاعى فكان رجل عامة، والثورى كان رجل خاصة، ولو خُيرتُ لهذه الأمة، لاخترت لها الأوزاعى، لأنه كان أكثر توسعًا، وكان والله إمامًا، إذ لا نُصيبُ اليوم إمامًا، ولو أن الأمة أصابتها شدة، والأوزاعى فيهم، لرأيت لهم أن يفزعوا إليه[٢]... وقال الخريبى: كان الأوزاعى أفضل أهل زمانه.

وقال الشافعى: ما رأيت أحدًا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعى[٣].

قال النووى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعى، وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق، وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته فى الفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته»[٤].

قال الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبى يتعجب من شىء فى الدنيا تعجُّبه من الأوزاعى، فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء! كان

---

(١) «صفة الصفوة» (٣ / ١٨٩).
(٢) يعنى: كى يفيدوا من علمه وقضائه وورعه.
(٣) انظر: «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٣٨ - ٢٤٢).
(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٢٩).

الأوزاعى يتيمًا فقيرًا فى حجر أمه، تنقله من بلدٍ إلى بلدٍ، وقد جرى حكمك فيه أن بلَّغته حيث رأيته... يا بنى ! عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعى فى نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد، أقول فى نفسى: أترى فى المجلس قلب لم يبكِ؟»[1].

۞ **وهذه أم ربيعة الرأى شيخ الإمام مالك:** أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خلَّفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها فى قصة طويلة ساقها ابن خلكان، قال:

وكان فرُّوخ - أبو ربيعة - خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية، وربيعة حمل فى بطن أمه، وخلَّف عند زوجته - أم ربيعة - ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا، وفى يده رمح، فنزل، ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلى؟، فقال فروخ: يا عدو الله أنت دخلت على حرمى؟، فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس، فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكلٌّ منهما يقول: لا فارقتك، فلما بصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعةٌ فى غير هذه الدار، فقال الشيخ: هى دارى، وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه، فخرجت، وقالت: هذا زوجى، وهذا ابنى الذى خلَّفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابنى؟، فقالت: نعم، قال: أخرجى المال الذى عندك، قالت - تُعرِّض -: قد دفنته، وأنا أُخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس فى حلقته، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٠).

أمه لزوجها فروخ: اخرج فصلِّ فى مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها، فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل؟، فقيل: هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن، فقال: لقد رفع الله ابنى... ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه؟، فقال: لا والله، بل هذا، فقالت: أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعتِهِ. اهـ[1].

۞ أم إبراهيم البصرية العابدة:

حكى أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فانتُدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصرى فى الناس خطيبًا، فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد فى وصف حوراء:

غادة ذات دلالٍ ومَرَح ... يجد الناعت فيها ما اقترح

خُلقتْ مِن كل شىءٍ حسن ... طيب فالليث فيها مُطَّرح

زانها الله بوجهٍ جمعت ... فيه أوصافُ غريباتِ المُلح[2]

وبعينٍ كُحْلُها من غُنجها[3] ... وبخدٍ مسكُهُ فيه رَشَح

ناعمٍ يجرى على صفحتِهِ ... نضرة الملكِ ولألاءُ الفرح

أَتَرى خاطبَهَا يسمعُها ... إذ تدِيرُ الكأسَ طورًا والقدَح

---

(١) «من أخلاق العلماء» للشيخ محمد بن سليمان ص (١٥٣، ١٥٤).

(٢) المُلْحَة: واحدة المُلَح من الأحاديث.

(٣) الغُنْج: بالضم، وبضمتين، والغُنَاج: الشِّكْل: الدلال، يقال: غَنَجت الجارية، وهى غَنِجة.

في رياضٍ مونِقٍ نرجسها كلما هبَّت له الريحُ نفح
وهي تدعوه بودٍّ صادقٍ مُلئ القلبُ به حتى طَفح
يا حبيبا لست أهوى غيره بالخواتيم يتم المفتتح
لا تكونَنَّ كمن جدَّ إلى منتهى حاجتِهِ ثم جمَح
لا، فما يخْطُبُ مثلى مَنْ سها إنما يخطب مثلى مَنْ ألَح

قال: فماج الناسُ بعضُهم فى بعض، واضطرب المجلس، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألستَ تعرف ولدى إبراهيم، ورؤساءُ أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضربه عليهم، فقد والله أعجبتنى هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدى، فكرِّر ما ذكرت من حُسنِها وجمالها، فأخذ عبد الواحد فى وصف حوراء، ثم أنشد:

تَوَلَّدَ نورُ النورِ مِن نورِ وجهِها فمازج طيب الطيب من خالص العِطرِ
فلو وَطِئت بالنعِل منها على الحصى لأعشبت الأقطارُ مِن غير ما قطرِ
ولو شِئْتَ عَقَدَ الخَصْرُ منها عُقْدَتَه كغُصنٍ من الريحان ذى ورق خُضْرِ
ولو تَفَلَتْ فى البحر شَهْدَ رُضابِها[1] لطابَ لأهلِ البَرِّ شُرْبٌ مِنَ البحر
يكادُ اختلاسُ اللحظِ يجرح خَدَّها بجارحِ وَهْمِ القلبِ من خارجِ السِّتْرِ

فاضطرب الناسُ أكثر، فوثبت أم إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، قد والله أعجبتنى هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدى، فهل لك أن تُزَوِّجَهُ منها هذه الساعة، وتأخذ منى مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك فى هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لى ولأبيه فى القيامة؟، فقال لها عبد الواحد: لئن فعلتِ لتفوزَن أنتِ وولدُكِ وأبو ولدِكِ فوزًا عظيمًا، ثم نادت

(١) الرُّضاب: الريق المرشوف، وفُتات المسك، وقطع السكر، والبرد، ولعاب العسل.

ولدها: يا إبراهيم، فوثب من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أماه، قالت: أى بُنَى، أرَضيتَ بهذه الجارية زوجةً ببذل مهجتِك فى سبيله، وتركِ العَوْدِ فى الذنوب؟، فقال الفتى: إى والله يا أماه، رَضِيتُ أى رضًا، فقالت: اللهم إنى أُشْهِدك أنى زَوَّجْتُ ولدى هذا من هذه الجارية، ببذل مهجته فى سبيلك، وترك العود فى الذنوب، فتقبَّله منى يا أرحم الراحمين، قال: ثم انصَرَفَتْ، فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد، هذا مهر الجارية تَجَهَّزْ به، وجَهِّز الغزاةَ فى سبيل الله تعالى، وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادت له سلاحًا، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيمُ يعدو، والقراءُ حولَه يقرءون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [١]، قال: فلما أرادت فِراق ولدها، دفعت إليه كفنًا وحَنُوطًا، وقالت له: يا بُنَّى، إذا أردتَ لقاء العدو فتكَّفنْ بهذا الكفن، وتحنَّط بهذا الحَنُوطِ، وإياك أن يراك الله مُقَصِّرًا فى سبيله... ثم ضَمَّتْهُ إلى صدرِها، وَقَبَّلَتْهُ بين عينيه، وقالت له: يا بُنى لا جمع الله بينى وبينك إلا بين يديه فى عَرَصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بَلَغْنَا بلادَ العدو، ونُودى فى النفير، وبرز الناس للقتال، برز إبراهيمُ فى المقدمة، فقتل من العدو خَلْقًا كثيرًا، ثم اجتمعوا عليه فقُتِل.

قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوعَ إلى البصرة قلت لأصحابى: «لا تُخبروا أُمَّ إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العزاء، لئلا تجزعَ فيذهبَ أَجْرُها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناسُ يتلَقَّوْنَنَا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما نَظَرَت إلى قالت: يا أبا عبيد، هل قُبِلتْ منى هَدِيتى فَأُهَنَّأ، أم رُدَّتْ عَلَى فَأُعَزَّى؟، فقلت لها: قد قُبِلتْ هديتُكِ، إن إبراهيمَ حَى مع الأحياء يُرْزق[٢]، قال: فخرَّت ساجدةً لله شكرًا، وقالت: الحمد لله الذى لم يُخيب ظنى،

(١) سورة التوبة: الآية (١١١).

(٢) الصحيح أن يدعو له بالشهادة، أو يستثنى فيقول: إن شاء الله، انظر: «فتح البارى» (٦/ ٨٩).

وتقبل نُسكى منى، وانصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادت: السلام عليك يا أبا عبيدٍ بُشْراك، فقال: لا زلتِ مُبَشَّرةً بالخير، فقالت له: رأيت البارحةَ ولدى إبراهيم، فى روضة حسناء، وعليه قبةٌ خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاجٌ وإكليل، وهو يقول: يا أُمَّاه أَبْشِرى، فقد قُبِلَ المهرُ، وزُفَّت العروس[1].

❁ وصدق من قال:

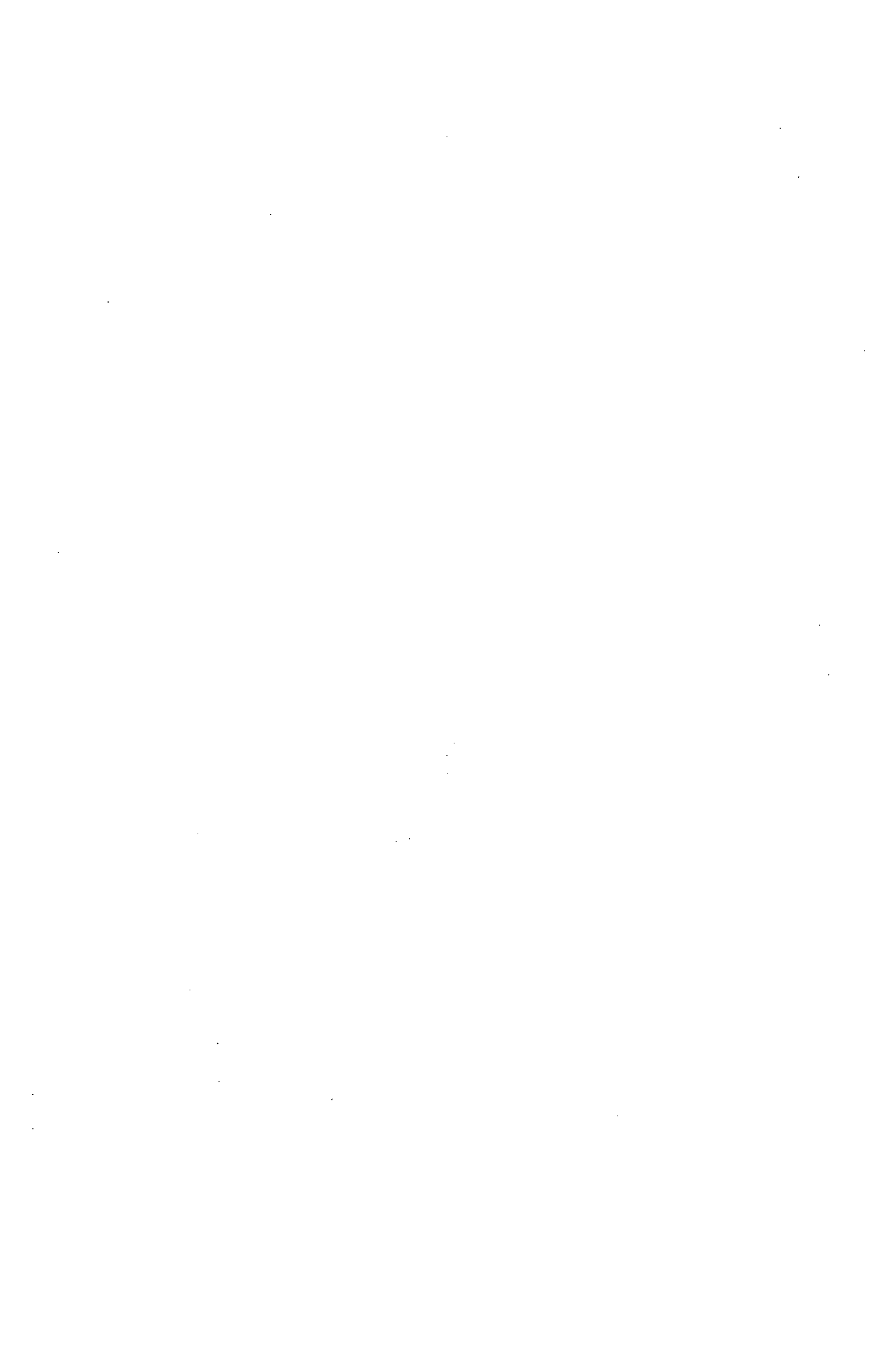
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا ... بالرى أورق أيما إيراقِ

الأم أستاذ الأساتذة الأُلَى ... شَغَلَتْ مآثرهم مدى الآفاق

❁ ❁ ❁

(١) ذكر هذه القصة الشيخ محمود العالم رحمه الله فى مختصره: «فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق، إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام» ص (٢٦ - ٢٩)، للعلامة المجاهد أحمد بن إبراهيم النحاس رحمه الله. نقلًا من عودة الحجاب / للدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله.





مواقف إيمانية

في الحياء



نعمة الحياء

ما أعظم الحياء.. إنه خُلق من أعظم الأخلاق التى ينبغى أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة.

ومن أجل قدر الحياء وشرفه كان هذا الخلق فى مقدمة الأخلاق فى هذا الدين الحنيف فقد قال النبى ﷺ **«إن لكل دينٍ خُلقًا وخُلق الإسلام الحياء»** (١).

ما أجمل أن نتعايش مع خُلق الحياء.

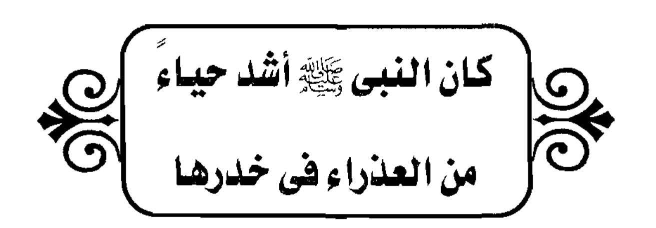
فنرى الفتاة المسلمة إذا خرجت من بيتها كانت ملتزمة بحجابها وحيائها فلا ترفع صوتها فى الطريق ولا تنظر إلى الرجال ولا تقف مع رجل غريب عنها ليس من محارمها.

ونرى الفتى المسلم يغض بصره عن النساء ولا يتكلم كلامًا فاحشًا ولا يقف مع فتاة أجنبية عنه.. وإذا تكلم مع رجل أكبر منه فإنه يتعامل معه بكل حياء وأدب واحترام.

وهكذا... إذا عشنا جميعًا على خُلق الحياء فإن المجتمع ستشيع فيه روح المودة والمحبة والإخاء.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٨١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٠).



كان النبى ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها

۞ عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه، عرفناه فى وجهه»(١).

۞ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت امرأةٌ النبىَ ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علَّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها قالت: كيف أتطهر بها؟، قال: «**تطهرى بها، سبحان الله!**» واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتها إلىَّ وعرفت ما أراد النبى ﷺ فقلت: تتبعى أثر الدم(٢).

۞ ومن حياء رسول الله ﷺ ما رواه البخارى عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه من تردُّد النبى ﷺ بين ربه وبين موسى، وسؤاله ربه التخفيف - فى الصلاة - حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى عليه السلام: «**ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك**»، قال: «**سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسلِّم**»(٣).

۞ ۞ ۞

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب المناقب، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

النبى ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق الحياء.

❁ قال ﷺ: «الحياء كله خير»[(١)].

وقال ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحش فى شىءٍ قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان»[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»[(٦)].

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٧) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٧) كتاب الأدب، ومسلم (٣٧) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٢٧٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠١٣٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

نماذج من حياء العابدات

فجاءته إحداهما تمشى على استحياء

هيا بنا لنتأمل سويًّا كيف كان خُلق الحياء صفة لازمة لأهل الإيمان فى كل زمان... فها هو الحق - جل وعلا- يحكى لنا كيف أن موسى عليه السلام لما سقى لابنتى الرجل الصالح فى (مَدْين) جاءته بعد ذلك إحداهما تمشى على استحياء لتخبره بأن أباها يدعوه إلى المنزل.

۞ قال تعالى مُخبرًا عن هذا المشهد الجليل: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١).

حياء فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوبٌ، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبى ﷺ ما تلقى قال: **«إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك»** (٢).

(١) سورة القصص: الآيات: (٢٢- ٢٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤١٠٦) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦٨).

❁ بل وفى يوم من الأيام جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ما جاء بك يا بنية؟»، فقالت: «جئت أسلم عليك»، واستحيت، حتى إذا كانت القابلة، أتته، فقالت مثل ذلك ...

وفى بعض روايات هذه القصة: (أن رسول الله ﷺ جاءها وعليًا وقد أخذا مضاجعهما ...) الحديث. وفيه: (فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها فى اللفاع، حياءً من أبيها)(١).

عائشة رضي الله عنها وحياء يعجز القلم عن وصفه

إن المرأة المؤمنة بفطرتها النقية تستحيى من أى رجل حتى ولو كان زوجها... فما ظنك بمن لا تستحى من الأحياء فحسب بل تستحى من الأموات!!!

إنها أُمنا الطاهرة التقية عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أدخل البيت الذى دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبى رضي الله عنه واضعةً ثوبى، وأقول: «إنما هو زوجى وأبى»، فلما دُفن عمر رضي الله عنه، والله ما دخلتُه إلا مشدودةً علىَّ ثيابى حياءً من عمر رضي الله عنه»(٢).

والله لأن أفقد ولدي خيرٌ لي من أن أفقد حيائي وديني:

تحكى لنا السير أن امرأة مؤمنة مات ابنها فى إحدى الفتوحات الإسلامية فذهبت تبحث عنه بين القتلى (وهى تلبس نقابها) فقال لها بعض النسوة: كيف تعرفين ولدك وأنت تلبسين النقاب؟! انزعيه عن وجهك كى تستطيعى أن تجديه... فقالت لهم مقالة الواثقة فى موعود ربها ... مقالة المؤمنة التى حملت

(١) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى الإرواء (٦/ ٢٠٦).
(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥١٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٧٧١).

رسالة الإسلام بين جنباتها: والله لأن أفقد ولدى خير لى من أن أفقد حيائى ودينى!!! وتالله يا أختاه إننى أهدى لك تلك المقالة العظيمة لكى تكون لك قدوة فى حياتى... فإن المؤمنة إذا مات ولدها أو فقدت زوجها أو ضاع مالها فكل ذلك ينجبر كسره أما إذا ضاع دينها فذلك الكسر الذى لا ينجبر أبدًا.

فيا أختاه: ليكن شعارك من الآن: والله لأن أفقد الدنيا بأسرها خير لى من أفقد حيائى ودينى.

فضائل ومزايا الحجاب

إننا اليوم نسير فى طريقنا إلى الجنة.. ومع أول خطوة نخطوها نجد لافتة كبيرة مكتوب عليه «الحجاب قائد إلى جنة الرحمن» ولذلك فلابد أن نعرف فضائل ومزايا الحجاب.

الحجاب يجلب التقوى

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١) أى: أنزلنا عليكم لباسين: لباسًا يستر عوراتكم ولباسًا يزينكم وتتجملون به ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، أى: ولباس الورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء فإن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر.

وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

الحجاب طهارة للقلب

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾(٢).

فعن عائشة أن عمر بن الخطاب قال: «يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾».

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٥٣).

فأثبتت تلك الآية أن الحجاب حائل بين المسلمين وبين شهوات النفوس وفتنة القلوب فهو يقطع أطماع أصحاب القلوب المريضة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[(١)].

الحجاب يجلب الحياء

قال ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة**»[(٢)].

إنه لا شك فى أن الحجاب يجعل المسلمة تشعر بقيمة نفسها فى ظل هذا الدين العظيم، بل إنه يجعلها تحذر دائمًا أن يصدر منها شىء يتنافى مع مظهرها الإسلامى الرائع، ولذلك فهو يقودها شيئًا فشيئًا إلى الحياء.. والحياء يفرض عليها الحجاب، وهكذا فإن الطاعة تؤدى إلى طاعة أخرى.

قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «كنت أدخل البيت الذى دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبى رضي الله عنه واضعة ثوبى وأقول: إنما هو زوجى وأبى، فلما دُفن عمر رضي الله عنه والله ما دخلته إلا مشدودة علىَّ ثيابىَّ حياءً من عمر رضي الله عنه»[(٣)].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠١٣٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٥١٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٧٧١).

الحجاب دعوة إلى الستر

قال ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله ﷻ»(١).

فمن حافظت على حجابها فقد فازت بستر الله عليها فى الدنيا والآخرة وكانت من أهل الجنة التى هى دار الستر.

الحجاب هو الفطرة

فالحجاب والستر هو فطرة المرأة فهى بطبعها لا تحب أن يراها أحد حتى إن المسلمة صاحبة الحياء تستحى والله من زوجها الذى أحلها الله لها ففطرة الإنسان تدعو إلى الستر، وفطرة الحيوان تدعو إلى العرى.

الحجاب عبودية لله

إنه مشهد من مشاهد العبودية لله، لأن الذى أمرها بذلك هو الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(٢).

والمسلمة التى تُذعن لأمر الله هى التى امتلأ قلبها حبًّا لله فقضية الحجاب ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة.. إنها قضية ترتبط بالعقيدة والشريعة فى آن واحد.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/ ٢٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧١٠).
(٢) سورة النور: الآية: (٣١).

الحجاب يقودك إلى حُسن الخاتمة

يقول أحد السلف الصالح: إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيم أقامك. فإن أقام الله الأخت المسلمة فى الطاعة والحجاب فتلك منزلتها عند ربها، بل إن النبى ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»[(١)].

فإن وفقك الله للحجاب لآخر لحظة فى عمرك فقد استعملك فاسجدى لله شكرًا أيتها الأخت الطاهرة.

الحجاب وقاية من العذاب

قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما - وذكر منهما - ونساء كاسيات عاريات**»[(٢)].

فمن لبست حجابها فقد أبعدت نفسها عن عذاب الله ﷻ.

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٢٠) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

الحجاب عنوان للمرأة الحرة

فعن السدى: أن الفُساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل فإذا رأوا المرأة عليها قناع «حجاب» تركوها وقالوا: هذه حرة . وإذا رأوها بغير قناع قالوا: إنها أَمة فآذوها.

فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

الحجاب عفة

لقد خاطب الله ﷻ العجائز من النساء اللاتى لا يرغب فيهن الرجال بهذا الخطاب فقال: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، أى: لا حرج ولا إثم فى أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والجلباب ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التى لا تُلفت انتباهًا ولا تثير شهوة ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ﴾ أى: غير متظاهرات بالزينة لينظر إليهن ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ﴾[2]، أى: وأن يستترن بارتداء الجلباب ولبس الثياب كما تلبسه الشابات من نساء مبالغة فى التستر والتعفف خير لهن وأكرم وأزكى عند الله وأطهر.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

(٢) سورة النور: الآية: (٦٠).

الحجاب خطاب لكل مؤمنة

إن الله ﷻ لم يخاطب بالحجاب إلا كل مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر.. قال تعالى: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٢). وهكذا فإن الاستجابة لأمر الله لا تكون إلا من المؤمنة الصادقة التى لامس الإيمان شغاف قلبها.



التبرج ومغبته

إن التبرج سبب لفساد المرأة المسلمة، ومن ثَم لفساد الشباب المسلم والأمة تبعًا لذلك.

ولذلك فلابد أن تعلمى يا أختاه أن:

التبرج دعوة إبليس

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣). فإبليس هو أول من دعا إلى التبرج فوظيفته هتك الأستار وكشف السوءات وإشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الأحزاب:الآية: (٥٩).

(٢) سورة النور:الآية: (٣١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٢٧).

التبرج ثقب كبير فى جدار العبودية

فإن المتبرجة عاصية لله ولرسوله ﷺ فقد جاءها الأمر بالحجاب فأبت أن تذعن لأمر الملك ﷻ واتبعت هواها واتخذته إلهًا من دون الله.

التبرج حرمان من دخول الجنة

قال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى».

فقالوا: يا رسول الله من يأبى؟

قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[(١)].

التبرج من عمل الجاهلية الأولى

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[(٢)].

فليس التبرج فى لبس القصير أو الشفاف فحسب، بل إن خروج المرأة لغير ضرورة وبدون محرم واختلاطها بالرجال فى الأسواق تبرج ومن أفعال الجاهلية التى نهى عنها الشارع.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

التبرج علامة على فساد الفطرة

إن فطرة الإنسان تميل دومًا وأبدًا إلى الستر.. أما التعرى والتكشف فهو فطرة حيوانية لا يميل إليها أصحاب الفطر السليمة.

ولذلك فإنه كلما ازداد منسوب الإيمان فى قلب المرأة كلما ازدادت حاجتها إلى ستر بدنها، لأن قلبها قد ازداد تعلقًا بربها ﷻ الذى أمرها بالستر والعفاف.

التبرج يجلب الطرد من رحمة الله

قال ﷺ: **«سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البُخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات»** (١).

التبرج مقترن بأكبر الكبائر

لقد روى أن أميمة بنت رقيقة جاءت إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال ﷺ: **«أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئًا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى»** (٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٢٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٨٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٦٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى جلباب المرأة المسلمة (ص٧٤).

التبرج يقود المرأة إلى النار

لقوله ﷺ: «صنفان من أهل النار -وذكر منهما - ونساء كاسيات عاريات»[١].

التبرج عواقبه وخيمة

فمن بين تلك العواقب الوخيمة:

- شيوع الفواحش والرذيلة فى المجتمع.
- تدمير الرجال والنساء وصرفهم عن الأخلاق الحميدة.
- جعل المرأة سلعة رخيصة.
- انهيار الاقتصاد الإسلامى.
- التفكك الأسرى وانعدام الثقة بين أفرادها.
- انتشار الأسقام والأمراض لشيوع الفواحش فى المجتمع.
- إهمال الواجبات الدينية وترك الجهاد.
- نزول العقوبات على الأمة فى الدنيا إضافة إلى عذابها فى الآخرة.

التبرج من علامات النفاق

قال ﷺ: «..وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٢) صحيح: رواه البيهقى (٧/ ٨٢، رقم ١٣٢٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٤٩).

التبرج من صنع اليهود

إن بيوت الأزياء اليهودية هي التي تنشر التبرج بين نساء المسلمين من خلال ما يسمونه بالموضة، وبكل أسف فإن أكثر المسلمات يستمعن لنداء اليهود ولا يستمعن لنداء رب السماوات والأرض «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

التبرج دعوة لإشاعة الفواحش

فإن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان فيراها الشاب المسلم فتكون سببًا لفتنته، بل ولصرفه عن دينه.. ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1]. وكم سمعنا عن فواحش قد ارتُكبت ومحارم قد انتُهكت بسبب تبرج النساء.

فنسأل الله أن يرد نساء المسلمين إليه ردًا جميلًا.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النور: الآية: (١٩).

أختاه.. تدبري وتأملي

هذه بعض شبهات المتبرجات والرد عليها في أبسط عبارة.

۞ تقول: المتبرجة إنني أحب الله وهذا يكفي.

۞ نقول لها: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١).

۞ تقول: إن الدين يسر.

۞ نقول لها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ﴾(٢).

ولقد أمر الله بالحجاب للتيسير.

۞ تقول: إن التبرج أمر هين.

۞ نقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(٣).

۞ تقول: إنني صغيرة وسوف أتحجب عندما أكبر.

۞ نقول: الموت لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا.

۞ تقول: سوف أتحجب بعد الزواج.

۞ نقول: إن الزواج رزق ولا يأتي الرزق بمعصية الخالق (جل وعلا) وإنما يُنال بطاعته.

۞ تقول: إن زوجي لا يرضى بالحجاب.

۞ نقول: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(٤).

۞ تقول: أتحجب عندما أقتنع بالحجاب.

۞ نقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٨٥).

(٣) سورة النور: الآية: (١٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٠٩٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١].

۞ تقول: إن الحجاب يعوق عن العمل والتعليم.

۞ نقول: عفة المرأة أعظم من كل شىء ورضا الله وجنته أغلى من كل شىء.

۞ تقول: أخشى من سخرية الناس.

۞ نقول: لك الفخر والمثوبة، فلقد استهزؤوا بالنبى ﷺ فهذا هو طريق الأنبياء والصالحين.

۞ تقول: لا أطيق الحجاب فى الصيف والحر.

۞ نقول: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾[٢].

۞ تقول: المجتمع كله هكذا.

۞ نقول: تلك والله أسوء مقالة لأهل النار فقد قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤].

۞ تقول: إن طهارة القلب تغنى عن الحجاب.

۞ نقول: لو طهر القلب لاستقامت الجوارح فقد قال ﷺ: «**إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**»[٥].

أختاه: كانت هذه بعض شبهات المتبرجات والرد عليها فى إيجاز خشية الإطالة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٢) سورة التوبة: الآية (٨١).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٢٣)

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

۞ وها هى الشروط التى يجب أن تتوافر فى حجاب الأخت المسلمة:

١-استيعاب جميع البدن.

٢-أن لا يكون زينة فى نفسه.

٣-أن لا يكون مبخرًا أو مطيبًا.

٤-أن لا يكون ضيقًا يصف شيئًا من جسدها.

٥-أن يكون صفيقًا لا يشف... أى: يكون سميكًا لا يكشف جسدها.

٦-أن لا يشبه لباس الرجال.

٧-أن لا يكون لباس شهرة، وثوب الشهرة هو الثوب الذى يُقصد بلبسه الاشتهار بين الناس.

٨-أن لا يشبه لباس الكافرات.

فقد قال ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**[1].

۞ ۞ ۞

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٣١) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٩).

من فوائد الحياء

إن فوائد الحياء لا تُعد ولا تُحصى... وحسبنا قول النبى ﷺ: «**الحياء كله خير**».

وها أنا أسوق لحضراتكم بعض فوائد الحياء.

(١) الحياء مفتاح كل خير:

فالحياء هو مفتاح كل خير.. فهو الذى يحضنا على طاعة الله واتباع رسول الله ﷺ وبر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الجار وأداء الأمانة والوفاء بالوعد وإكرام الضيف وغير ذلك من الطاعات التى نتقرب بها إلى رب الأرض والسماوات (جلَّ وعلا).

(٢) الحياء خُلقٌ يحبه الله (جل وعلا):

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى حيىٌّ ستيرٌ يحب الحياء والستر ....**»[(١)].

عن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال: قال لى أشجُّ بن عصر: قال لى رسول الله ﷺ: «**إن فيك لخلتين يحبهما الله ﷻ**»، قال: قلت: «وما هما؟» قال: «**الحلم والحياء**»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فىَّ أم حديثًا؟»، قال: «**قديمًا**»، قال: الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ﷻ[(٢)].

(٣) الحياء من صفات الله ﷻ:

ومن صفات المولى ﷻ (الحيى) كما فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «**إن الله**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠١٢) كتاب الحمام، والنسائى (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم، وأحمد (١٧٥٠٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٥٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٢٥) كتاب الأدب، وأحمد (١٧٣٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (١٩٠).

تعالى حَيِيٌّ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين»[(١)].

۞ حياء الرب (جل وعلا) من عبده:

۞ قال يحيى بن معاذ: «من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب».

(٤) الحياء خُلقٌ مشترك بين الأنبياء:

۞ قال ﷺ - كما عند البخارى-: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

۞ فقوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين.

(٥) الحياء يعين العبد على هجر المعاصى كلها حياءً من الله ﷻ:

(٦) الحياء يحمى العبد من الفضيحة فى الدنيا والآخرة:

لأنه يجعل بين العبد وبين ارتكاب أسبابها ساترًا وحجابًا.

(٧) الحياء يجعل العبد مقبلاً على طاعة الله (جل وعلا):

لأنه يرى ويشعر بنعمه التى لا تُعد ولا تُحصى فيزداد العبد طاعة لله وشكرًا لله ... فهو يفعل ذلك وفاءً لله وذلك من باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[(٢)].

(٨) الحياء يكسو المرء الوقار:

بحيث أنه لا يفعل ما يُخلُّ بالمروءة والتوقير ولا يؤذى من يستحق الإكرام.

(٩) الحياء أبهى زينة:

فإن العبد لن يتزين بزينة أبهى وأجمل من الحياء..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٥٥٦) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٣٢٠٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٢) سورة الرحمن: الآية (٦٠).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما كان الفُحش فى شىء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه»**(١).

(١٠) الحياء إيمان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما، رُفع الآخر»**(٢).

ليس من الحياء

وبعد أن عشنا سويًّا فى تلك الرحلة مع الحياء كان لا بد لنا من وقفة مع بعض الأشياء التى يظن الناس أنها من الحياء وهى أبعد ما تكون عن الحياء.... وها هى بعضها:

۞ أن تخرج المرأة سافرة متبرجة كاشفة جسدها للأجانب فإذا نظر إليها رجل احمرَّ وجهها وحاولت أن تستر جسدها!!!.... هذا ليس من الحياء فى شىء وإنما الحياء أن تلبس حجابها وتستر جسدها ولا تخرج إلا للضرورة ومعها أحد محارمها.

۞ أن يصافح الرجل المرأة الأجنبية زعمًا منه أنه استحيا منها لأنها مدَّت يدها لتصافحه!!!

قال ﷺ: **«لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»**(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٢٧٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (١٣١٣)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٧٣)، ورواه البيهقى فى الشعب (٦/ ١٤٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٣).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢١١، ٢١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

۞ أن يشهد الرجل شهادة زور زعمًا منه أنه فعل ذلك حياءً من أحد أقاربه لأنه طلب منه أن يفعل ذلك.

۞ أن يُقرض رجلٌ رجلًا مالًا وهو لا يثق بأمانته، ويود أن لو أشهد عليه الجن والإنس، ومع ذلك يستحى أن يستكتبه الدَّين أو أن يُشهد عليه، أو يمكِّن سفيهًا من ماله استحياءً منه، فيبدده شذر مذر.

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يُستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخُلق فلم يُطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه، ورجل آتى سفيهًا ماله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾**»[1][2].

ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس من الحياء

۞ أن يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حياءً من الناس فهذا ليس من الحياء فى شىء بل هذا ضعف وعجز ومهانة.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حُجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس**»[3] - أى: خفت من الناس-.

۞ فإذا رأينا مسلمًا يفعل منكرًا فلا يجوز أن نتركه يُلقى بنفسه فى النار بحجة أننا نستحيى أن ننكر عليه.

---

(١) سورة النساء: الآية (٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٣١)، وصححه ووافقه الذهبى على تصحيحه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٧) كتاب الفتن، وأحمد (١١٣٢٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨١٨).

۞ قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعن رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه، أو شهده، أو سمعه**»[1].

كيف نكتسب خُلق الحياء؟

حبايبى الحلوين: ولعلكم تتساءلون وتقولون فى أنفسكم: كيف نكتسب خُلق الحياء؟

۞ **وسأخبركم ببعض الوسائل التى تعين على اكتساب خُلق الحياء:**

أولًا: أن نتعرف على فضائل الحياء حتى نحرص على التحلى بخلق الحياء.

ثانيًا: أن نبتعد عن الأشياء التى تضيع الحياء: كالكلام الفاحش والبذىء والسب واللعن والكذب وغير ذلك من الأخلاق السيئة.

ثالثًا: تقوية الإيمان.. وذلك بكثرة العمل الصالح... وذلك لأن الحياء ثمرة الإيمان ومعرفة الله (ﷻ).. فإذا ازداد الإيمان ازداد الحياء.

رابعًا: التعبد بالتفكر فى أسماء الله الحسنى التى تستوجب المراقبة والإحسان كأسمائه: الشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ.

قال حاتم الأصم: (تعاهد نفسك فى ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك).

خامسًا: المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة كالصلاة التى قال تعالى فى شأنها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وقد قيل

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢١٩١) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠٠٧) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٦٨).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٥).

لرسول الله ﷺ إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق! فقال ﷺ: **«سينهاه ما تقول»** أو قال: **«ستمنعه صلاته»**[١].

وكالزكاة التي قال سبحانه فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢].

سادسًا: لزوم الصدق وتحرِّيه، وتجنُّب الكذب؛ لأن الصدق يهدى إلى البر، قال ﷺ: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة»**[٣].... والحياء من جملة البر.

سابعًا: المواظبة على تكلُّف الحياء مرة بعد مرة حتى تألفه النفس، وتعتاده، ويصير لها طبعًا وسجية، وهذا يستلزم التجمل بالصبر كالمريض الذى يصبر على تعاطى الدواء المر.

ثامنًا: مخالطة الصالحين، ورؤيتهم، والسماع منهم، والاستمداد من حياتهم.

قال بعضهم: «أحي حياءك بمجالسة من يُستحيا منه».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصى لكفاه».

تاسعًا: استحضار حياء المثل الأعلى للبشرية رسول الله ﷺ ومطالعة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، ثم استحضار حياء صحابته رضي الله عنهم وسيرتهم سيما الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم من أهل العلم والإيمان.

عاشرًا: اعتزال البيئة الفاسدة والموبوءة التى تصدّ عن الخُلق الحسن،

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٦) كتاب البرّ والصلة والآداب.

والتنزُّه عن معاشرة قليلى الحياء، والتحول إلى الصحبة الصالحة، ....

وفى حديث قاتل المائة أن العالم قال له: «.... **ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء....**»[1].

۞ وأخيرًا فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا نعمة الحياء وأن يحشرنا فى زمرة الأتقياء إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

۞ ۞ ۞

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

مواقف إيمانية

في الخوف من الله والبكاء من خشيته (جل وعلا)



أختاه ... أين دمعتك؟

۞ أبدأ هذا الفصل بهذا السؤال:

أختاه: هل تذكرين آخر دمعة سقطت من عينيك خوفًا من الله ﷻ؟

۞ أختاه: لما طغت الماديات والشهوات على قلوب أكثر الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وإذا بالقلوب أصبحت في قسوة لا يعلمها إلا الله، وإذا بالدموع أصبحت عملة نادرة بين كثير من الناس - إلا من رحم الله.

فنجد أكثرهم لا تسقط دموعهم إلا على فوات الدنيا أو على موت حبيب أو قريب... لكننا لم نعد نرى أو حتى نسمع عمَّن يبكى من خشية الله - إلا من رحم الله.

ولو يعلم الناس أن تلك الدمعة التى تسقط من خشية الله هى أغلى من الدنيا وما فيها... فهذه الدمعة تنجى العبد من عذاب الله يوم القيامة.

أختاه: إن البكاء دليلٌ على خشيتك لله ومراقبتك له.

وهو دليل على حياة قلبك واستقامة جوارحك... وهو دليل على رقة قلبك وسرعة استجابته لأمر الله... وهو طريق يوصلك إلى محبة الله ورضوانه... والبكاء يورث الخوف من الله، وهو علامة على صحة الإيمان، وهو سبب من أعظم أسباب النجاة يوم القيامة.

۞ أختاه: وأكرر سؤالى مرة أخرى: أين دمعتك؟

أين دمعتك.. أين دمعتك؟

أختاه: لو سقطت دمعتك الآن فاحذرى أن يراها أحد وأمسكى هذه الدمعة وقولى: يا رب هذه الدمعة هى أغلى ما عندى فلقد سقطت من خشيتك فاجعلها سببًا للنجاة من أهوال يوم القيامة، فأنا فقيرة إلى مغفرتك ورحمتك....

وأنت غنى عن عذابى... ورحمتك وسعت كل شىء، وذنبى مهما عَظُم فهو شىء ورحمتك ستسعه لا محالة فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة مَن سواك يا أرحم الراحمين.

نعم يا أختاه: سلى نفسك دائمًا: أين دمعتى؟

فالخير كل الخير فى القلوب الحية والعيون الباكية من خشية الله والألسنة الذاكرة لله.

فهيا لنَسْبَح فى بحر الدموع عسى أن نجد فيه سفينة للنجاة لنصل إلى شاطئ الأمان فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

❁ ❁ ❁



فضل الخوف من الله والبكاء من خشيته (جل وعلا)

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾(٢).

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم**»(٣).

۞ وقال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٤).

۞ وعن أبى أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**ليس شىء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى، وأما الأثران؛ فأثر فى سبيل الله تعالى، وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى**»(٥).

۞ وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلًا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يومًا راحًا فاذروه فى اليم،.... ففعلوا. فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**»(٦).

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٤٦).

(٢) سورة الملك: الآية (١٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٠٨) كتاب الجهاد، وأحمد (١٠١٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة.

(٥) حسن: رواه الترمذى (١٦٦٩) كتاب فضائل الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٣٧).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٣٤٥٢) كتاب أحاديث الأنبياء.

- بل هؤلاء الثلاثة الذين حُبسوا فى الغار وقام كل واحد منهم يدعو الله ﷻ بصالح عمله ليفرج عنهم تلك الصخرة فقام الرجل الثانى يدعو ويسأل الله بعمله الصالح - وهو أنه قام عن ابنة عمه بعد أن جلس منها مجلس الرجل من امرأته وأنه فعل ذلك خشية من الله - ففرج الله تلك الصخرة.

- ولذا جاء فى الحديث أن الحبيب النبى ﷺ قال: «**يقول الله: إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**»[(١)].

۞ وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**». قال: والله يا رسول الله إنى أرجو الله، وإنى أخاف ذنوبى. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنه مما يخاف**»[(٢)].

وللخوف فضائل أخرى

- وللخوف فضائل أخرى كثيرة نكتفى بذكر بعضها.

۞ **الخوف سبب للبعد عن المعاصى:**

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾[(٣)].

قال بعض السلف: «إذا سكن الخوف فى القلب أحرق موضع الشهوات منه».

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٥٠١) كتاب التوحيد.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٦١٢).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (١٥، ١٦).

۞ الخوف سبب إخلاص العمل لله:

فالعبد حينما يعلم أن النفع والضر بيد الله، وأن الناس لن يغنوا عنه من الله شيئًا.. فإنه يخلص العمل لله ويرجو ثوابه من الله - جل وعلا-:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾[1].

۞ الخوف سبب لعلو الهمة في العبادة:

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

۞ الخوف يجعل العبد سائرًا على طريق الهداية:

قال ذو النون المصرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق».

۞ الخوف يضفى المهابة على صاحبه:

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «من خاف الله أخاف الله منه كل شىء، ومن لم يخف الله خاف من كل شىء».

وقال يحيى بن معاذ الرازى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق».

۞ الخوف من أسباب قبول الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

۞ الخوف من أسباب الانتفاع بكلام الله:

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[4].

---

(١) سورة الإنسان: الآيتان (٩، ١٠).

(٢) سورة السجدة: الآية (١٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٦).

(٤) سورة ق: الآية (٤٥).

۞ **الخوف من أسباب النصر على الأعداء:**

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[2].

۞ **الخوف من أسباب الفوز فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة:**

فعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابَّا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[3].

۞ **الخوف سبب لدخول الجنة:**

۞ عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[4].

۞ ۞ ۞

(١) سورة المائدة: الآية (٢٣).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (١٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥).

خوف الملائكة من الرحمن (جل وعلا)

قال رسول الله ﷺ: «**مررت ليلة أُسرى بى بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالى من خشية الله تعالى**»[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «**ما لى لا أرى ميكائيل يضحك؟**» قال: ما ضحك ميكائيل منذ خُلقت النار[2].

وحسبهم أن الله - جل وعلا- قد وصفهم فى كتابه بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[3].

خوف الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم)

۞ آدم عليه السلام:

قال وهب: بكى آدم عليه السلام على الجنة بكاءً شديدًا وما رفع رأسه إلى السماء بعدما أصاب الخطيئة.

قال علقمة بن مرثد: «لو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء داود ما عدله، ولو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء آدم حين أُهبط إلى الأرض ما عدله».

۞ نوح عليه السلام:

وقال وهيب بن الورد: لما عاتب الله تعالى نوحًا عليه السلام فى ابنه فقال: ﴿إِنِّيٓ

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٦٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٧٨): رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى الإسراء والمعراج (ص ٦١): أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٦٢١-بتحقيقى) وغيره بإسناد جيد وهو مخرج فى الصحيحة (٢٢٨٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٤)، وفى لفظ لابن مردويه: «**مررت على جبريل فى السماء الرابعة فإذا هو كأنه حلس بال من خشية الله**».

(٢) حسن: رواه أحمد (١٢٩٣٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥١١).

(٣) سورة النحل: الآية (٥٠).

أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[1]، بكى حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء.

۞ إبراهيم عليه السلام:

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كان يسمع لصدر إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أزيز من بُعدٍ خوفًا من الله عز وجل.

۞ داود عليه السلام:

قال مالك بن دينار: كان داود إذا ذكر الخطيئة فى الليل، خرج حتى ينظر إلى السماء، ثم يبكى ويقول: إليك رفعت رأسى يا ساكن السماء نظر العبيد إلى أربابها يا عامر السماء، ثم لا يزال يبكى حتى يصبح.

وعن إسماعيل بن عبيد قال: كان داود إذا عوتب فى كثرة البكاء قال: دعونى أبكى قبل يوم البكاء، قبل احتراق العظام، واشتعال اللحى، قبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[2].

۞ يحيى بن زكريا عليهما السلام:

وعن مجاهد قال: كان يحيى بن زكريا يأكل العشب، وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينه لخرقه، وكانت الدموع قد اتخذت مجرى فى وجهه.

وعن وهيب بن الورد قال: كان يحيى بن زكريا له خطان فى وجهه من البكاء.

النبى صلى الله عليه وسلم .... وخشيته من الله (جل وعلا)

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أخشى الناس لله -جل وعلا- وكان يقول عن نفسه صلى الله عليه وسلم: «**والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتّقى**»[3].

(١) سورة هود: الآية (٤٦).

(٢) الزهد/ للإمام أحمد (١/ ١٣٥) والرقة والبكاء (ص: ٢٤٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام.

ولما سأله جبريل عليه السلام وقال له: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال ﷺ: «**أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك**»(١).

وكان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «.... **اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصيبات الدنيا**»(٣).

۞ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، أطَّت السماء وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى**»(٤).

۞ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان، من حديث عمر بن الخطاب، وهو جزء من حديث جبريل المشهور.

(٢) صحيح: رواه النسائي (١٣٠٥) كتاب السهو، وأحمد (١٧٨٥٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٠١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٠٦٥٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.

❁ وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[١].

❁ وعن أم العلاء الأنصارية قالت: قال رسول الله ﷺ: **«والله لا أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم»**[٢]. وقال: **«لن ينجى أحدًا منكم عمله ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»**[٣].

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: **«شيبتنى هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»**[٤].

عائشة رضي الله عنها

تحكى كيف كانت خشية النبى ﷺ

ففى «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قط حتى أرى منه لهواته. إنما كان يتبسم... وقالت: كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك فى وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيها المطر، وأراك إذا رأيته عُرف فى وجهك الكراهية؟ فقال: **«يا عائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب! قد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارضٌ مُمطرنا»**[٥].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٠٠٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠١٨) كتاب التعبير.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٢٩٧) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٢٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٢٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء.

۞ وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبيد ابن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: «**يا عائشة ذريني أتعبد لربي**»، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**»[1][2].

۞ وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾[3]. قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصديق. ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون وهم يخافون أن لا تُقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[4].

۞ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش. فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[5].

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩٠).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٦٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣١٧٥) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤١٩٨) كتاب الزهد، وأحمد (٢٥١٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٦٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

قال القاسم بن محمد: وكنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأُسلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هى قائمة تُسبِّح[1]، وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[2] وتدعو وتبكى وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتى، ثم رجعت فإذا هى قائمة تصلى وتبكى[3].

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

عن عروة بن الزبير قال: دخلت على أسماء وهى تصلى، فسمعتها، وهى تقرأ هذه الآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ فاستعاذت، فقمت وهى تستعيذ؛ فلما طال علىَّ، أتيت السوق، ثم رجعت، وهى فى بكائها تستعيذ[4].

معاذة العدوية رحمها الله

كانت من العابدات الزاهدات الخاشعات لله (جل وعلا).

ها هى فى يوم من الأيام تعظ فتاة صغيرة وتقول لها:

«يا بُنية، كونى من لقاء الله عز وجل على وَجَل ورجاء، وإنى رأيت الراجى له محفوفًا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف منه مؤملًا للأمان يوم

(١) أى: تصلى.

(٢) سورة الطور: الآية (٢٧).

(٣) «السمط الثمين» (ص ٩٠).

(٤) «حلية الأولياء» لأبى نعيم (٢/ ٥٥).

يقوم الناس لرب العالمين، ثم بكت وغلبها البكاء...».

قال محمد بن الفضيل: كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار، قالت: هذا يومى الذى أموت فيه فما تنام حتى تمسى... وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[١].

عبيدة بنت أبي كلاب رَحِمَهَا ٱللَّهُ

قالت سلامة العابدة: بكت عبيدة بنت أبى كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها[٢].

بردة الصريحية تبكي حتى خافوا على عينيها رَحِمَهَا ٱللَّهُ

❁ قال ثابت البنانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانت امرأة من الصدر الأول يقال لها: بردة الصريحية: وكانت تكثر من البكاء فقيل لها: اتقى الله، أما تخافين على بصرك أن يذهب؟

قالت: دعونى، فإن أكن من أهل النار، فأبعدنى الله، وأبعد بصرى، وإن أكن من أهل الجنة، فسيبدلنى الله بصرًا خيرًا من بصرى[٣].

❁ ❁ ❁

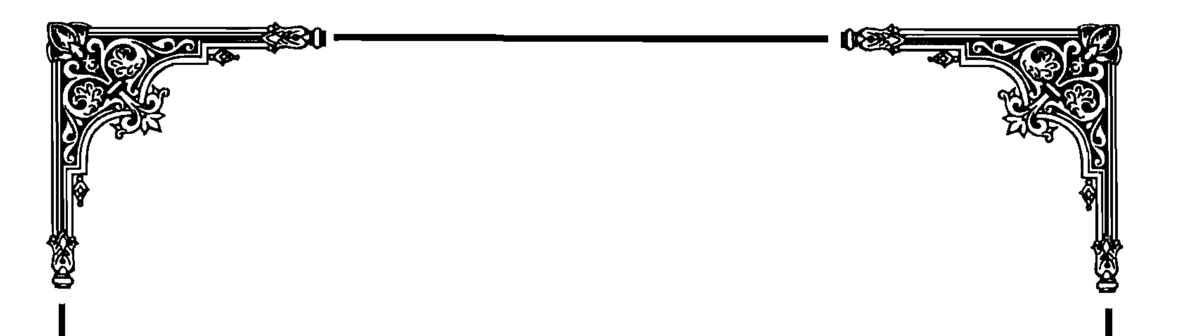
---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٤).

(٢) الرقة والبكاء / لابن أبى الدنيا (ص/ ١٥٤).

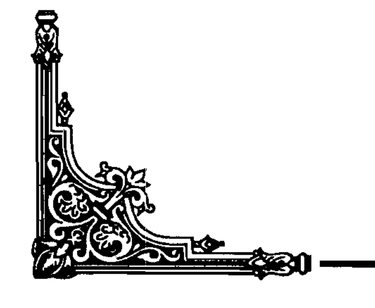
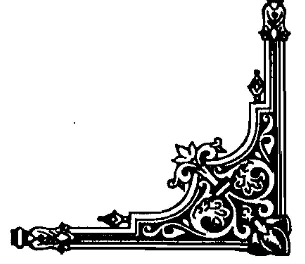
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٢).





مواقف إيمانية

في محبة الرسول ﷺ وطاعته



وجوب محبة الرسول ﷺ(١)

إن الله ﷻ افترض على عباده محبة رسوله ﷺ، وسدَّ الطريق إلى جنته إلا مَنْ سلك خَلْفَ رسول الله ﷺ،... وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمره.

وقام الصحابةُ الكرام بلوازم هذه المحبة لرسوله ﷺ، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا دونه ورفعوا رايته، وأعزُّوا سُنَّتَه، ونصروا شريعته، وما فارق النبى ﷺ الدنيا حتى دانت له جزيرة العرب بالإسلام، ورفرف علم التوحيد على أقطارها، وواصل أصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان المسيرة بعده ﷺ، يفتحون البلاد وقلوب العباد بلا إله إلا الله، وظهرت آيات الصدق والمحبة فى أصحابه رضي الله عنهم وتابعيهم،.... فما أحوج المسلمين إلى الوقوف على بعض هذه المواقف الإيمانية التى تشحذ هممهم فى التأسى برسول الله ﷺ، والمسارعة فى اتباع سنته ولزوم شريعته.

ومحبةُ الرسول ﷺ عقد من عقود الإيمان.. ولزومُ سنته واتباعُ هديه علامةُ المحبة الصادقة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله ﷻ.

قال الحسن البصرى: ادّعى ناسٌ محبةَ الله ﷻ فابتلاهم بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٢).

قال الصحابة رضي الله عنهم: إنَّا نحب ربنا حبًّا شديدًا، فأَحبَّ الله ﷻ أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(١) من كتاب (مواقف إيمانية) د/ أحمد فريد.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

وقد دلَّتْ أدلُة الكتاب والسنة على وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين،... قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١)، ومعلوم أن الله ﷻ لا يتوعد أحدًا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على تَرْكِ واجبٍ أو فعل محرم.

قال القاضي عياض: فكفى بهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعِظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قَرَّعَ الله مَنْ كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبَّ إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضَلَّ ولم يهده الله(٢).

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٣)، فهو ﷺ أولى بنا من أنفسنا فى المحبة ولوازمها.

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٤).

قال القرطبى: كلُّ مَنْ آمن بالنبى ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم مَنْ أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم مَنْ أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا فى الشهوات محجوبًا فى الغفلات فى أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبى

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٤).
(٢) الشفا (٢/ ١٨).
(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان.

ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يُؤْثِرها على أهله ووالده وماله وولده، ويبذل نفسه فى الأمور الخطيرة، ويجد مَخْبَرَ ذلك من نفسه وجدانًا لا تردُّد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس مَنْ يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذُكر؛ لما وقر فى قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالى الغفلات، والله المستعان[١].

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وَأَنْ يحِبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وَأَنْ يكْرَهَ أَنْ يعُودَ فى الكُفْرِ كما يكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فى النَّارِ**»[٢].

قال البيضاوى: وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأنه لا مانح ولا مانع فى الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول ﷺ هو الذى يبين له مراد ربه؛ اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب مَنْ يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حقٌّ يقينًا، ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء فى النار[٣].

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبى ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إِلَيَّ من كل شىء إلا من نفسى، فقال النبى ﷺ: «**لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحبُّ إِلى من نفسى، فقال النبى ﷺ: «**الآن يا عمر**»[٤].

---

(١) فتح البارى (١/ ٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

(٣) فتح البارى (١/ ٧٨).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) الأيمان والنذور.

❁ ومحبةُ الرسول ﷺ على درجتين كما قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ:

إحداهما: فرض: وهى المحبةُ التى تقتضى قبولَ ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتَلقِّيه بالمحبة، والرضا، والتعظيم، والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بَلَّغَهُ عن ربه، من تصديقه فى كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل: وهى المحبة التى تقتضى حُسْنَ التأسى به، وتحقيق الاقتداء بسنته وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة، والاهتمام بمعرفة سيرته، وأيامه، واهتزاز القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به فى زهده فى الدنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته فى الآخرة(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) استنشاق نعيم الأنس صـ (٣٤ - ٣٥).

الدوافع إلى زيادة محبة النبي ﷺ واتباع سنته[(١)]

لا شك في أن حبَّ النبي ﷺ من الإيمان، والإيمانُ يزيدُ وينقصُ، وكلما ازداد إيمانُ العبد ازداد حبُّه لرسول الله ﷺ؛ ولذا كان الصحابةُ رضي الله عنهم - أبرَّ الأمة قلوبًا - هم أوفر الناس نصيبًا من هذه المحبة، فكانت محبتهم له ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والزوجات والأموال، وفَدَوه ﷺ بآبائهم وأبنائهم.

وهذه صحابية جليلة قُتِلَ يوم أُحُد أبوها وأخوها وزوجها وابنها فقالت: كيف فعل رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: هو على خير ما تحبين، فقالت: دعوني أنظر إليه، فلما رأته قالت: كُلُّ مصيبة دونك جَلَلٌ يا رسول الله.

ولما عُذِّبَ خبيبُ بن عدي رضي الله عنه قيل له: أتحب أن محمدًا مكانك، وأنك مُعَافَى في أهلك ومالك؟ فقال: ما أحبُّ أنني معافًى في أهلي ومالي وَيُشَاكُ محمدٌ ﷺ بشوكة، أي: وهو - أيضًا - معافًى في أهله وماله. وفي ذلك قيل:

أَسَرَتْ قُرَيْشٌ مُسْلِمًا فَمَضَى بِلَا وَجَلٍ إِلَى السَّيَّافِ

سَأَلُوهُ: هَلْ يُرْضِيكَ أَنَّكَ سَالِمٌ وَلَكَ النَّبِيُّ فِدَيً مِنَ الإِتْلَافِ؟

فَأَجَابَ: كَلَّا لاَ سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرُعَافِ

ووقاه طلحة بن عبيد الله يوم أُحد بيده فَشُلَّتْ يدُه.

۞ فما هي الدوافع التي تدفع المؤمن إلى الزيادة في محبة النبي ﷺ واتباع سنته؟

١- زيادة محبة الله عز وجل:

لأن محبة النبي ﷺ من لوازم محبة الله عز وجل، وكلما ازداد حبُّ العبد لله عز وجل ازداد كذلك حبُّه لرسول الله ﷺ.

(١) مواقف إيمانية / د. أحمد فريد.

٢- ومن ذلك: معرفة النبي ﷺ، ودراسة شمائله، وشرف نسبه، وكريم خلقه:

وقد كان يكفى مَنْ عاصره ﷺ أن ينظرَ إلى وجهه الكريم فَيرَى علاماتِ الصدق، وآيات النبوة.

قال حسان:

لَوْ لَمْ تكُنْ فِيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ كانَتْ بَدِيهَتُهُ تأْتِيك بالخَبَرِ

فمهما تَعرَّفَ المسلمُ على النبى الكريم ﷺ فإنه يزداد حبًّا له، وتسليمًا لأمره.... قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[١].

فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس خلقًا، وأوسعهم صدرًا، وأصدقهم لهجة، وأكرمهم عشيرة، وأوفاهم عهدًا، وأوصلهم للرحم، قريبًا من كل بِرٍّ، بعيدًا عن كل إثم، لايقول إلا حقًّا، ولا يعِدُ إلا صدقًا، جوادًا بماله.

فجديرٌ بِمَنْ كان بتلك المنزلة أن تتوجه القلوبُ لمحبته، وكلما اطَّلَعَ الإنسان على جوانب خلقه الكريم ازداد حبًّا له؛ ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم أَكْمَلَ الأمة حبًّا له لما شاهدوه وعاينوه من أحواله الشريفة، وأخلاقه الكريمة[٢].

٣- ومن ذلك دراسة تشريفات النبي ﷺ وما فضَّله الله به على سائر الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليهم وسلم أجمعين:

فمن ذلك: أنه ساد الكل ﷺ كما فى قوله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»**[٣].

ومن ذلك: أن الله ﷻ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالى:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٦٩).

(٢) باختصار من «محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع» لعبد الرءوف محمد عثمان (٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١).

ومن ذلك: أنه أول شافع وأول مُشَفَّعٍ ﷺ.

ومن ذلك: أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٢)، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى.

ومن ذلك: أن الله تعالى أقسم بحياته، ولم يقسم بحياة أحد من خلقه غيره ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٣).

ومن ذلك: أن الله ﷻ وَقَّرَهُ في ندائه، فناداه، بأحب أسمائه وأسمى أوصافه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾(٤)، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾(٥)، ونادى الأنبياء بأسمائهم الأعلام.

ومن ذلك: أن الله ﷻ أمر الأمة بتوقيره واحترامه، وقد مضى شيء من ذلك في الأدب مع رسول الله ﷺ.

ومن ذلك: أن الله ﷻ اختصَّه بمعجزة القرآن المبين، وهى باقيةٌ إلى يوم الدين، وله ﷺ كذلك من المعجزات الحسية ما فاق الرسل.

فمن ذلك: حنين الجذع، ونبع الماء بين أصابعه، وتسليم الحجر عليه، وتكثير الطعام بين يديه، وانشقاق القمر له ﷺ.

ومن ذلك: أن لكل نبى مثل أجر أمته؛ لأن مَنْ دَعَا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور منْ تَبِعَهُ، وأمتهُ ﷺ خَيرُ الأمم، وهى ثُلثا أهل الجنة.

ومن ذلك: أن الله ﷻ حَفِظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٦)،

(١) سورة الفتح: الآية: (٢).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).
(٣) سورة الحجر: الآية: (٧٢).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٦٤).
(٥) سورة المائدة: الآية: (٤١).
(٦) سورة الحجر: الآية: (٩).

وَحَفِظَ إِجْمَاعَ أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفةً من أمته فلا تزال ظاهرة على الحق، وَوَهَبَهُ سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بغير حساب.

٤- ومما يدفع إلى مزيد حبه ﷺ معرفة شفقته على أمته ورحمته بهم:

كما وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فمن ذلك: أنه ﷺ آثر أمته على نفسه بدعوته .... ففى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نَبِى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة – إن شاء الله – مَن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا**»[٢].

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «**أمتى أمتى**» ثم بكى، فقال الله تعالى: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوءك**»[٣].

ومن ذلك: حرصه ﷺ على هداية أمته ... كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[٤].

٥- ومن الدوافع إلى مزيد محبته صلاة الله وملائكته عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٥].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الشعراء: الآية: (٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: المقصود من هذه الآية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملإ الأعلى، بأنه يُثْنى عليه في الملإ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلِّي عليه، ثم أمر تعالى العَالَمَ السفلى بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناءُ عليه من أهل العَلَمَينِ العلوى والسفلى [1].

وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ واحدةً صَلَّى اللهُ عليه عشرًا**» [2].

وبعد، فهذه جملة الدوافع لمزيد من محبة النبى ﷺ، منها ما هو اعتقادى خبرى كمعرفة شرفه وخلقه ونسبه، ومزيد شفقته وحرصه على هداية أمته، ومنها ما هو علمى عملى وهو السبب الأول والأخير، فالأخذ بالأسباب التى توصل إلى محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وكذا اعتقاد شرفه ﷺ لإخبار الله عَزَّوَجَلَّ بصلاته وصلاة ملائكته وأمره عَزَّوَجَلَّ بالصلاة والتسليم عليه وكثرة الصلاة عليه وتوقيره ﷺ واتباع سنته ومحبة الداعين إليها والعاملين بها من عوامل محبته ﷺ.

فنسأل الله تعالى أن يزيدنا حبًّا لنبيه ﷺ كما آمنا به ولم نره، وأن لا يفرق بيننا وبينه حتى يُدخلنا مُدْخَلَهُ.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٠٨) كتاب الصلاة.

كل مصيبة بعدك جَلل يا رسول الله

لما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء -يوم أُحد- والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعًا إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفانى من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل!.... تريد صغيرة[١].

---

(١) رواه البيهقى بسند حسن.

أم سُليم تعطر العطر بعرق رسول الله ﷺ

ها هى أم سليم التى امتزجت دماؤها بحب رسول الله ﷺ حتى كانت تضع عرق النبى ﷺ على العطر رجاء بركته ﷺ.

❁ عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال[1] عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبى ﷺ فقال: «**يا أم سُليم ما هذا الذى تصنعين؟**»، قالت: هذا عرقُكَ، نجعله فى طِيبنا وهو من أطيب الطِّيب[2].

فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ[3]، فقال: «**ما تصنعين يا أم سُليم؟**» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: «**أصبتِ**»[4].

❁ فإن كان هذا حرص أم سليم رضي الله عنها على أن تحتفظ بعرق النبى ﷺ فكيف بحرصها على طاعته وتنفيذ أوامره والالتزام بسُنته وشريعته ﷺ؟

إننى آثرت أن آتى بتلك الصورة البسيطة لتعلم الأخت المسلمة كيف كان حرص الصحابيات على إرضاء الحبيب ﷺ لتقتدى بهن فى التمسك بسنته - التى هى ثمرة من ثمرات محبته ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) قال: أى نام القيلولة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

(٣) أى: استيقظ من نومه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

والله إنها لصادقة

كانت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها ذات سريرة صافية، وعلانية نقية، فقد أحبت رسول الله ﷺ، وصدقت فى حبها لله عز وجل، فجاءت تصرفاتها نابعة من معين الصدق، ومَعين الوفاء، مما جعلها متفردة فى بعض المواقف العطرة، وشهد رسول الله ﷺ لأمنا صفية بالصدق بعد أن أقسم على ذلك[١].

عن زيد بن أسلم: أن نبى الله فى وجعه الذى تُوفِّى فيه، قالت صفية بنت حُيى: والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى. فغمزها أزواجه؛ فأبصرهن. فقال: «**مَضْمِضن**». قلن: من أى شىء؟ قال: «**من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة**»[٢].

فيا لها من منقبة عظيمة لأم المؤمنين (صفية) أن يشهد لها الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ بأنها صادقة بل ويقسم بالله على ذلك.

---

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٨) ورجاله ثقات لكنه مرسل.



زينب بنت جحش رضي الله عنها وطاعتها لرسول الله ﷺ

لما أعتق النبي ﷺ زيد بن حارثة فأصبح زيدٌ مولى رسول الله ﷺ فأراد النبي ﷺ أن يُكرمه أكثر وأكثر، وذلك بأن يزوجه من فتاة حرة حسيبة نسيبة.

وأراد النبي ﷺ أن يُحطم الفوارق الطبقية حتى يشعر الناس جميعًا أنه لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى.

ولذلك قرر النبي ﷺ أن يزوج زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش الحسيبة النسيبة الجميلة التى يتمناها كل حسيب ونسيب فى أرض الجزيرة... فرفضت زينب فى بداية الأمر أن تتزوج من زيد بن حارثة لأنه مولى من الموالى... فلما نزل قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1]، قالت: يا رسول الله أترضاه لى زوجًا؟ قال: «**نعم**». قالت: إذن لا أعصى رسول الله ﷺ قد رضيته لنفسى.

وساق زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بنى جحش عشرة دنانير وستين درهمًا، ودرعًا، وخمارًا، وملحفة وإزارًا، وخمسين مُدًّا من الطعام، وعشرة أمداد من التمر،... أعطاه ذلك كله الحبيب المصطفى ﷺ.

واستمرت الحياة الزوجية بينهما قُرابة سنة ثم بدأت الخلافات الزوجية تنشأ بينهما مما جعل هذا الزواج يخلو من المحبة والصفاء والمودة.

وكان زيد يشكوها للحبيب ﷺ فكان يقول له: «**أَمسِك عليك زوجك واتقِ الله**»، فكان ﷺ ينصحه بإمساكها ولكن الله يريد خلاف ذلك «**والله غالبٌ على أمره**» فالله ﷻ يريد أن تكون زينب زوجة الحبيب ﷺ ليُبطل عادة التبنِّى.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦٣).

وازدادت الفجوة بين زيد وزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يومًا بعد يوم حتى وصلت الحياة بينهما إلى طريقٍ مسدود فكان لابد من الطلاق فجاء أمر الله عَزَّ وَجَلَّ فأذن بطلاقها وأمر رسول الله ﷺ بزواجها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1].

فلما طلق زيد زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لتنال أعظم منقبة فى الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولتكون أمًا للمؤمنين.

وهنا أرسل النبى ﷺ زيد بن حارثة إلى زينب بنت جحش ليخبرها بأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أمر رسوله ﷺ بأن يتزوجها.

فذهب إليها زيد فوجدها تُخمِّر عجينها فلما رآها أحسَّ بخجل شديد ولم يستطع أن ينظر إليها بعد أن علم أنها ستكون زوجة لرسول الله ﷺ وأُمًّا للمؤمنين.

فأعطاها ظهره وأخبرها بهذه البشرى العظيمة: بأنها ستكون زوجة لرسول الله ﷺ ففرحت فرحًا شديدًا وسجدت شكرًا لله جل وعلا وجعلت على نفسها صوم شهرين شكرًا لله على هذه النعمة العظيمة.

وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن وعمل النبى ﷺ وليمة وأطعم أصحابه خبزًا ولحمًا.... فكان الناس يأكلون ويخرجون... وبقى ثلاثة يتحدثون فى بيت النبى ﷺ.

يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حُجَر

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

نسائه يُسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله ﷺ كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فأُلقى الستر بينى وبينه ونزلت آية الحجاب.

فكان من بركات زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومن فضائلها نزول آية الحجاب بسببها وذلك فى صبيحة عُرسها.

وهكذا زوَّج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ زينب من نبيه ﷺ بِنَصِّ كتابه بلا ولى ولا شاهد، حتى كانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن وتقول: «زوَّجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات»[1].

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٤٢٠) كتاب التوحيد.

موقف امرأة من الأنصار خطبها رسول الله ﷺ لجليبيب رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ على جُلَيبيب رضي الله عنه امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال ﷺ: «**نعم إذًا**»، قال: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، فأبت أشد الإباء، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان رَضِيه لكم فَأَنْكِحُوه، قال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال ﷺ: «**فإني قد رضيته**»، قال: فتزوجها، ثم ذهب مع النبي ﷺ في غزاة فقُتل، ورؤي حوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفَق بيت في المدينة.

وفي رواية: فما كان في الأنصار أيِّمٌ أنفق منها[(١)].

وقال ابن الأثير: جُلَيبيب بضم الجيم على وزن قنيديل، وهو أنصاري له ذِكْرٌ في حديث أبي برزة الأسلمي، في إنكاح رسول الله ﷺ ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيرًا دميمًا، فكأنَّ الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك، فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ فتلَتْ قول الله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[(٢)]، وقالت: رَضِيتُ وَسَلَّمْتُ لما يرْضَى به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم اصبُبْ عليها الخير صبًّا، ولا تجعل عيشها كدًّا**»، فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالًا[(٣)].

فهذا موقف إيماني في حب رسول الله ﷺ والتسليم لأمره والرضا به، وبطل هذا الموقف: امرأة من الأنصار، رضيت باختيار رسول الله ﷺ، وأنكرت على

---

(١) محاسن التأويل (١٣/ ٢٦٢) والحديث رواه أحمد.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٣) أسد الغابة لابن الأثير الجزري (١/ ٣٤٨) - الإصابة لابن حجر (١/ ٢٥٣).

أبويها عدم الرضا باختياره ﷺ، وقد كان جُلَيبيب قصيرًا دميمًا ولكن الله ﷻ لا ينظر إلى صور العباد ولكنه ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

وقد كان جليبيب جديرًا بهذه الأنصارية صاحبة الموقف الإيماني، فقد ورد له كذلك موقف إيماني في البذل والتضحية ... فعن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان في مغزى له، فلما فرغ من القتال قال: «**هل تفقدون من أحد؟**»، قالوا: نفقد - والله - فلانًا وفلانًا، قال: «**لكني أفقد جُليبيبًا**»، فوجدوه عند سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فأخبر، فقال: «**قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مِنِّي وأنا منه**»، حتى قالها مرتين أو ثلاثًا، ثم قال بذراعيه فبسطهما فوُضع على ذراعي النبي ﷺ حتى حُفر له، فما كان له سرير إلا ذراعي رسول الله ﷺ حتى دُفن وما ذكر غسلًا[١].

وكان اللائق بقصة جليبيب المواقف الإيمانية في البذل والتضحية، ولكن آثرنا ذكرها هنا تبعًا لقصة زوجته الأنصارية، حتى يلتئم شمل القصة، والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٧٢) فضائل الصحابة: وقوله: «هذا مني وأنا منه» قال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى.

(٢) مواقف إيمانية (ص/ ٥٢-٥٤).

بريرة رضي الله عنها

وها هى موقف إيمانى يصور لنا مدى محبتها وطاعتها للنبى ﷺ.

يحكى لنا هذا الموقف الإيمانى الإمام البخارى من حديث عائشة رضي الله عنها أنها أرادت أن تشترى أَمة تسمى «بريرة» فأبى مواليها إلا أن يشترطوا الولاء، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «**اشتريها وأعتقيها فإن الولاء لمن أعتق**»[١].

فاشترتها عائشة رضي الله عنها وكان لها زوجٌ عبدًا فخُيرت من زوجها - لأنه صار من حقها أن تختار - الفراق أو البقاء تحت زوجها الذى هو دونها فى الحرية ... لكنها اختارت الفراق والطلاق، وكان زوجها مُغيث يحبها حبًّا شديدًا، وكان يمشى وراءها فى سكك المدينة يبكى، فلما رآه رسول الله ﷺ على هذه الحال، قال لعمه العباس: «**ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغض بريرة مغيثًا**».

ثم قال لها: «**يا بريرة لو راجعته**».

قالت: يا رسول الله، أتأمر؟

قال: «**إنما أنا أشفع**»[٢].

فتأملى رحمك الله هذا السؤال: أتأمر أم تشفع... أتأمر يا رسول الله فلا يحق لى أن أخالف أمرك؟ أم تشفع فأرى رأيى، فلما قال لها المصطفى ﷺ: «**إنما أنا شافع**»، قالت: لا حاجة لى فيه.

يا سبحان الله!..أَمة تفهم أن هناك فرقًا بين الشفاعة والأمر... أَمة تعلم أن الأمر لا يسعها فيه إلا أن تأتمر بأمر رسول الله دون إبطاء أو تسويف حتى لو كان هذا ضد رغبات النفس.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٢٨٤) كتاب الطلاق.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٢٨٣) كتاب الطلاق.

أتعطين زكاة هذا؟

❁ أختي الفاضلة..

وهذا مثال آخر فى الحب والطاعة وإيثار أمر رسول الله على الشهوات والملذات فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

إن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفى يد ابنتها مسكتان – أى: سوارين – غليظتان من ذهب.

فقال ﷺ: «**أتعطين زكاة هذا؟**».

قالت: لا.

قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**».

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ.

وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله[١].

يا سبحان الله..أما كان يكفى هذه أن تدفع زكاة السوارين فقط دون أن تتنازل عنهما؟ لكن..إنه الإيمان.. إنه الطاعة لله ولرسوله فى أعلى معانيها فالمرأة لم تقتصر على امتثال أمره ﷺ بدفع زكاة السوارين بل تنازلت عنهما، وقدمتهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله عز وجل.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح سنن أبى داود للألبانى برقم (١٣٨٢) حسن.

يرحم الله نساء الأنصار

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المؤمنات الأول، لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1]، قمن إلى مرطهن فشققنها ثم اختمرن بها[2].

وفى رواية:

لقد أُنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أُنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات - أى: متلفلفات بالثوب على رؤوسهن- كأن رؤوسهن الغربان. فأى نساء كنَّ هؤلاء؟

إنه السمع والطاعة .. لقد بادرن إلى تنفيذ الأوامر والعمل بما جاء عن الله جل وعلا، دون تكاسل أو تغافل .. أو تسويف.

---

(١) سورة النور: الآية (٣١)

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٧٥٩) كتاب تفسير القرآن.

اقتدين بهؤلاء المؤمنات

عن أبى أسعد الأنصارى أنه رأى رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لَكُنَّ أن تَحقُقن الطريق، عليكن بحافات الطريق**» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به»(١).

سبحان الله. ما أن قال لهن رسول الله ذلك حتى بادرن إلى التنفيذ والطاعة لأوامر سيد الأنام ﷺ(٢).

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٥٢٧٢)، والسلسلة الصحيحة برقم (٨٥٦)، ومشكاة المصابيح برقم (٤٧٢٧).

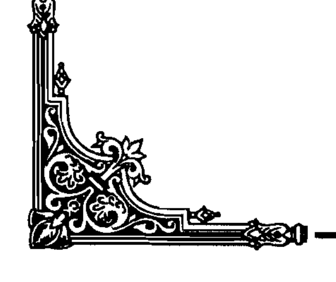
(٢) مواقف إيمانية للنساء/ الشيخ محمد بحيري (ص/ ٣٠-٣١).





مواقف إيمانية

في طلب العلم





فضل طلب العلم

إن فضل العلم لعظيم... ولو أردنا أن نتكلم عن فضله لاحتجنا إلى مجلدات ولكن حسبُنا أن نُلقى الضوء على بعض فضائل العلم عسى الله أن ينفعنا بها لتكون حافزًا لنا للسير فى طلب العلم ابتغاء وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4].

۞ وعن مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقههُ فى الدين**»[5].

۞ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا فى اثنتين: رجُلٌ آتاهُ الله مالًا فسلَّطهُ على هلكته فى الحق، ورجُلٌ آتاهُ الله الحكمة فهُو يقضى بها، ويُعلمُها**»[6].

والمرادُ بالحسد: الغبطةُ، وهُو أن يتمنى مثلهُ.

۞ وعن أبى هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**.... ومن سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا، سهَّل الله لهُ به طريقًا إلى الجنة**»[7].

۞ وعن أبى الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من سلك**

(١) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٩).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٤) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

طريقًا يبتغى فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنعُ، وإن العالم ليستغفرُ لهُ من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتانُ فى الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العُلماء ورثةُ الأنبياء وإن الأنبياء لم يُورثُوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ»[١].

۞ وعن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «فضلُ العالم على العابد كفضلى على أدناكُم» ثُم قال رسُولُ الله ﷺ: «إن الله وملائكتهُ وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحُوت ليُصلُّون على مُعلمى الناس الخير»[٢].

۞ وقال رسُولُ الله ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولد صالحٍ يدعُو لهُ»[٣].

۞ وقال رسُول الله ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ، ملعُونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاهُ، وعالمًا، أو مُتعلمًا»[٤].

۞ وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناسُ! إنما العلم بالتعلُّم، والفقهُ بالتفقه، ومن يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٥]»[٦].

۞ وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ العلم أحبُّ إلىَّ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورعُ»[٧].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٤) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٥) سورة فاطر: الآية: (٨٢).

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٧).

(٧) صحيح: رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٨)، وصحيح الجامع (٤٢١٤).

۞ وعن صفوان بن عسَّال المُرادى رضي الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد مُتكئٌ على بُردٍ له أحمر؛ فقلت له: يا رسول الله! إنى جئتُ أطلب العلم. فقال: «**مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تَحفُّه الملائكة وتُظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعٌ يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته: مَن علَّم علمًا، أو كرى(٢) نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**»(٣).

۞ وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مثل ما بعثنى الله به من الهُدى(٤) والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيبة قَبِلت الماء، وأنبتت الكلأ(٥) والعُشب الكثير، وكان منها أجادبُ(٦) أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسَقَوا وزرعوا(٧)، وأصاب طائفةً أخرى منها، إنما هى قِيعان(٨)، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبتُ كلًا، فذلك مَثلُ مَن فَقُه فى دين الله تعالى، ونفعه ما بعثنى**

(١) رواه أحمد والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧١).

(٢) أى: حفره وأخرج طينه. جاء فى «المصباح»: «وكَريت النهر كريًا، من باب (رمى): حفرتُ فيه حفرة جديدة، ولبعضه شاهد كما قال المصنف».

(٣) حسن: رواه البزار وسمويه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

(٤) هو الدلالة الموصلة إلى المطلوب. والمراد بالعلم: معرفة الأدلة الشرعية: لا الفروع المذهبية. و(الغيث): المطر.

(٥) بالهمز بلا مد: النبتُ يابسًا كان أو رطبًا و(العشب): النبت الرطب، فعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام.

(٦) جمع (جَدَب) بفتح الدال المهملة على غير قياس: وهى الأرض الصلبة التى تمسك بالماء فلا تشربه سريعًا. وقيل: هى الأرض التى لا نبات بها، مأخوذة من الجدب، وهو القحط.

(٧) هذا اللفظ للبخارى، ولفظ مسلم، «ورعوا»، وجمع بينهما أحمد بلفظ: «**فشربوا، فرعوا، وسَقَوا، وزرعوا وأسقَوا**».

(٨) بكسر القاف: جمع (قاع): وهو الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت.

الله به فعَلِم وعلَّم؛ ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذى أُرسلتُ به»[(١)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مُصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقُه من بعد موته»[(٢)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أنه مَرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراثُ رسول الله ﷺ يُقسَّم، وأنتم ها هنا؛ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نَرَ فيه شيئًا يُقسَّم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى؛ رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراثُ محمد ﷺ[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٩) كتاب العلم، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٣) حسن موقوف: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٨٣).

صور من علم نساء سلفنا الصالح

لقد كانت المرأة من نساء سلفنا الصالح حريصة كل الحرص على أن تتعلم أمور دينها لتعبد الله على علم ولتدعو من حولها من النساء.

- وبلغ من حرص نساء الصحابة رضي الله عنهن أن طلبن من النبي ﷺ أن يعقد لهن مجلسًا خاصًّا بالنساء.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله»، فقال ﷺ: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا**»، فاجتمعن، فأتاهن فعلمهن مما علمه الله)[1].

۞ وكيف لا تحرص المرأة على طلب العلم وقد كان أول ما نزل من الوحي قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾[2]، فدل ذلك على مكانة العلم وشرفه في الإسلام.

- وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

- وقال عز وجل مخاطبًا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[4].

- وقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[5].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة العلق: الآيات: (١-٥).

(٣) سورة الزمر: الآية (٩).

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٣٤).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩١٣).

وَالْحِجَارَةُ ﴾[١].

جاء عن عَلى رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فى تفسيرها: «أدِّبوهم، وعَلِّموهم»، وروى عنه الحاكم وابن المنذر قوله فى تفسيرها: «عَلِّموا أنفسَكم، وأهليكم الخير، وأدبوهم».

❁ **ومن هنا قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:**

«ويجب عليهن - أى: النساء - النفار للتفقه فى الدين، كوجوبه على الرجال، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحل، وما يحرم: من المآكل، والمشارب، والملابس كالرجال، ولا فرق، وأن يعلمن الأقوال والأعمال: إما بأنفسهن، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهن، وفرضٌ على الإمام أن يأخذ الناس بذلك»[٢]. اهـ.

عن عائشة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٣].

ولقد وُجد على مر القرون نساء تجاوزن علوم فرض العين إلى فروض الكفاية، فكانت منهن المحدثات العظيمات، والراويات الثقات، وهذا الإمام محمد بن سعد صاحب الطبقات يعقد جزءًا من كتاب «الطبقات الكبير» لراويات الحديث من النساء أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ، وروى عنهم أعلام الدين وأئمة المسلمين، وكذا فعل غيره من الأئمة فى مصنفاتهم.

وهل تجد موطنًا أوثق، ومُرتقى أسمق، ومنزلة أوثق من أن على بن أبى طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ وهو العَلَم الأشم الذى لا يدانيه أحد فى علمه وحكمته، وقربه من رسول الله ﷺ وقرابته - يتلقى الحديث على مولاة لرسول الله ﷺ كانت تقوم

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) عزاه فى «الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة» ص (٢٨) إلى: «الإحكام» لابن حزم (١/ ٤١٣)، ووقفت عليه بمعناه فى طبعة زكريا على يوسف (١/ ٣٢٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.

على خدمته، وهي ميمونة بنت سعد[١]؟ فكيف بمن دون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟!

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة قولها: «لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما أصبت لنفسي شيئًا أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم»[٢].

واستمعي إلى هذه الشهادة يشهدها واحد من عظماء العلماء ألا وهو الحافظ الذهبي، وقد ألَّف كتابه «ميزان الاعتدال» في نقد رجال الحديث، خرَّج فيه عدة آلاف متهم من المحدثين ثم أتبع قوله بتلك الجملة التي كتبها بخطه الواضح وقلمه العريض فقال: «وما علمت من النساء من أُتُهمت ولا من تركوها»[٣].

ولعل قائلًا يقول: «وما للنساء ورواية الحديث؟ وهل تركهن الذهبي إلا من قلة أو ذلة؟»، والجواب: أن حديث رسول الله ﷺ منذ عهد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى عهد الذهبي ما حُفظ ولا روي بمثل ما حُفظ في قلوب النساء، ورُوي على ألسنتهن.

۞ ذلكم الحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ) أوثق رواة الحديث عقدة، وأصدقهم حديثًا، حتى لقبوه بـ«حافظ الأمة»، كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء، فهل سمع الناس في عصر من العصور، وأمة من الأمم أن عالمًا واحدًا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علمًا واحدًا؟ فكم ترى منهن من لم يلقها أو يأخذ عنها، والرجل لم يجاوز الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية، فلم تطأ قدماه أرض مصر، ولا بلاد المغرب، ولا الأندلس وهي أحفل ما تكون بذوات العلم والرأي من النساء.

لقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات (للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حبان)[٤].

---

(١) «الإصابة» (٧/ ١٧٣).

(٢) «الأخت المسلمة» للجوهري ص (٧٤).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٦٠٤).

(٤) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٧٩).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر: الصدِّيقة بنت الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حبيبة رسول الله ﷺ، الفقيهة الربانية، المبرأة من فوق سبع سموات.

لحق النبى ﷺ بربه وهى لم تخط بعد إلى التاسعة عشرة، على أنها ملأت أرجاء الأرض علمًا، فهى فى رواية الحديث نسيج وحدها ولم يكن بين أصحاب النبى ﷺ من كان أروى منها ومن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، على أنها كانت أدق منه وأوثق.

قال الزهرى: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل». وقال عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيا فى العامة».

وعن عروة بن الزبير قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»(١).

قال أبو موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا»(٢).

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض»(٣).

وقيل لمسروق: «كانت عائشة تحسن الفرائض؟» قال: «والله لقد رأيت الأحبار من أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض»(٤).

وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشى الميانشى فى كتاب «إيضاح ما لا يسع المحدث جهله»: «اشتمل كتاب البخارى ومسلم على ألف

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ٣٩ - ٥٦).
(٢) أخرجه الترمذى، وقال: «حسن صحيح».
(٣) «الإجابة» للزركشى ص (٥٧).
(٤) «من أخلاق العلماء» لمحمد بن سليمان ص (٦١).

حديث ومائتى حديث من الأحكام فروت عائشة من جملة الكتابين مائتين ونيفًا وتسعين حديثًا لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير».

قال الحاكم أبو عبد الله: «فحُمل عنها ربع الشريعة»(١).

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات من أنفذ الناس رأيا فى أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت رضي الله عنها تحسن أن تقرأ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها(٢).

وكانت تزورها النساء فى بيتها فتعلمهن.... وهذه المرأة المخزومية التى قُطعت يدها تقول عنها الرواية: «.. فكانت تأتى بعد ذلك إلى بيت عائشة تتفقه فى دينها».

---

(١) «الإجابة» للزركشى ص (٥٩).

(٢) «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» للزركشى، و«السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين» للإمام المحب الطبرى ص (٣٣ - ٩٤).

حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- وجاء في «فتوح البلدان» للبلاذري: أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تُدعى «الشفاء العدوية» [١]، فلما تزوجها ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة[٢].

❊ ❊ ❊

(١) الشفاء بنت عبد الله العدوية، كانت من عقلاء النساء وفُضلائهن، وهي من المهاجرات الأول، كان عمر يقدمها في الرأي، ويرعاها ويفضلها، وربما ولاها شيئًا من أمر السوق، «الإصابة» (٧/ ٧٢٧ - ٨٢٨).

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٧٧)، و«المجموع» (٩/ ٥٥).

الرُّبيِّع بنت معوذ رضي الله عنها

أسلمت الرُّبيعُ بنتُ معوذ رضي الله عنها وبايعت النبى ﷺ، ونهلت مِنَ المعين النَّبوى الصَّافى، وعرفت كثيرًا من أحكام الإسلام عن كَثَب، فقد كان النبى الكريم ﷺ كثيرًا ما يغشى بيتها ويتوضأ ويصلى ويأكل عندها.

وكانت الرُّبيعُ - رضوان الله عليها - تشعرُ بالبركة فى زيارة النَّبى الكريم لها، وكانت تتعلَّم منه أمور الدِّين وتتفقه بأحكامِهِ، لذلك عرفَ الصَّحابةُ والمسلمون قدرها فأكبروها، وكان كبارُ الصَّحابةِ - رضوان الله عليهم - يأتونَها فيسألونها عمَّا شاهدته أو سمعته مِنْ رسولِ الله ﷺ.

روى أنَّ سيدنا عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما أتاها فسألها عن وضوء رسول الله ﷺ[1]، فقد عُرِف عن الرُّبيع رضي الله عنها أنَّها الصَّحابيةُ الرَّاويةُ لصفةِ وضوء النبى الكريم ﷺ، فقد أخرج الإمامُ أبو داود فى سننه بسنده عن محمَّد بن عقيل عن الرُّبيع بنتِ معوذ بن عفراء قالت:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يأْتِينَا فَحَدَّثَتْنَا أَنَّهُ قَالَ: «**اسْكُبِى لِى وَضُوءًا**»، فَذَكَرَتْ وُضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ فِيهِ: فَغَسَلَ كَفَّيهِ ثَلَاثًا، وَوَضَّأَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مَرَّةً، وَوَضَّأَ يدَيهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرَّتَينِ يبدأ بِمُؤَخَّرِ رَأْسِهِ، ثُمَّ بِمُقَدَّمِهِ وَبِأُذُنَيهِ كِلْتَيهِمَا ظُهُورِهِمَا وَبُطُونِهِمَا، وَوَضَّأَ رِجْلَيهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا[2].

وهكذا فقد رسمت الرُّبيعُ - رضوان الله عليها - صورة وضيئةً مباركة لوضوءِ رسول الله ﷺ كأنَّك تراه، فنعمَ الموصوف ونعْمَ الوصف!

---

(١) «الاستبصار» (ص/ ٦٦).

(٢) سنن أبى داود (١/ ٢٠) باب: صفة وضوء النبى ﷺ.

۞ **الرَّاويَة المُحدِّثَة:**

الرُّبيعُ بنتُ معوِّذ رضي الله عنها إحدى النِّساء اللائى كَتَبَ الله لهنَّ شرفَ الصُّحبة النَّبويةِ، وشرفَ الجهاد مع النَّبى الكريم ﷺ، وكانت إحدى راويات الحديث النَّبوى الشَّريف، إذ كانت حافظةً واعيةً روتْ عن رسول الله ﷺ واحدًا وعشرين حديثًا.

روى عن الرُّبيع عَدَدٌ مِنْ أجلَّاء التَّابعينَ وعلمائهم ... منهم: عائشةُ بنتُ أنس ابن مالك، وسليمانُ بن يسار، وخالد بن ذكوان، وعبد الله بن محمَّد بن عقيل، وأبو عُبيدة محمَّد بن عمَّار بن ياسر[1]، وروى لها البُخارى ومسلم واتفقا على حديث واحد، كما روى لها الجماعة[2].

۞ ۞ ۞

(١) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤١٨)، و«الاستيعاب» (٤/ ٣٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٩٨).
(٢) «نساء مبشرات بالجنة» أ/ أحمد خليل جمعة (ص/ ١٢١، ١٢٢، ١٢٥).

عائشة بنت طلحة رَحِمَهَاٱللَّهُ

۞ لا شكَّ في أنَّ امرأةً تابعية كعائشةَ بنتِ طلحةَ، غُذّيتْ في بيتِ النُّبوة أنْ تكونَ من عِليةِ النِّساء علمًا وقدرًا وصدقًا، لذلك اثنى عليها العلماءُ والكبراءُ ممن يعرفون رواية الحديث، وممن لهم خبرة بعلومِهِ، ويكفيها فخرًا أن إمامَ الجرح والتَّعديل وعَلَمَ الحديثِ والمحدّثينَ في زمانه يحيى بن معين يوثقها ويحتجُّ بحديثها فيقول: الثقات من النِّساء عائشة بنت طلحةَ ثقةٌ حجة.

۞ بينما أثنى عليها أبو زُرعة الدِّمشقي، وذكر فضلها وقَدْرها فقال: عائشةُ بنتُ طلحةَ، امرأةٌ جليلةٌ تحدِّث عن عائشةَ - أم المؤمنين- وتحدَّث النَّاس عنها بقدْرِها وأدبها.

۞ وفي الثناء عليها يقول العجلي: عائشة بنت طلحة مدنية تابعية ثقة.

۞ وفي كتاب «الثقات» ذكرها ابنُ حبان وأثنى عليها[١].

۞ وفي «البداية والنهاية» نقل ابنُ كثير عن شيخه المِزي قوله: لم يكن في النِّساء أعلم منْ تلميذات عائشة أم المؤمنين: عمرة بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرينَ، وعائشة بنت طلحة.

۞ **مَعَارِفُها وعِلْمُهَا:**

۞ قَلَّ أن نجد امرأة أُوتيت سعةً منَ المال، ورُزقت حظًّا منَ الجمال، أن تهتمَّ بالمعرفةِ والعلم، غير أنَّ عائشة بنتَ طلحة ومنْ في طبقتها من النساء كنَّ يختلفنَ عن غيرهن من النّسوة ممن يشغلهن الدِّيباج والحُلى والحُلل عن كلّ شيء.

۞ فقد كانت عائشةُ رَحِمَهَاٱللَّهُ ذات عقل وبديهة حاضرة، وجرأة في الكلام،

---

(١) عن تاريخ دمشق (ص/ ٢٠٧-٢١٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٧).

وسَعَة فى المعارف المتنوعة، ومن الأخبار التى تشهد لها بالعلم والجرأة على قول الحق، ما رُوى أنَّها وفدت على هشام بن عبد الملك بدمشق.

فقال لها: ما أوفدك يا عائشة؟

قالت: حَبَستِ السَّماءُ المطر، ومنَعَ السُّلطان الحقّ.

قال: فإنّى أصل رحمَكِ، وأعرفُ حقَّكِ.

۞ ثم بعث إلى مشايخ بنى أمية فقال: إنَّ عائشةَ ابنة طلحة التَّيمية عندى، فاسمروا عندى الليلة، فحضروا، فما تذاكروا شيئًا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضتْ معهم فيه، وما طلع نجمٌ ولا غَارَ إلا سمَّتْه. فقال لها هشام متعجبًا: أمّا الأول -أخبار العرب وأشعارها- فلا أنكره، وأما النُّجوم فمن أين لك هذا؟

۞ قالت: أخذتُها عن خالتى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. فأمر لها هشام بمائة ألف درهم، وردَّها إلى المدينةِ ردًّا جميلًا مُعززةً مكرّمةً[1].

۞ وظلّت عائشةُ بنتُ طلحة من أنْدرِ نساء عصرها حُسنًا وجمالًا، وهيئةً وأدبًا، وعفَّةً وعلمًا، إلى أنْ توفيتْ سنة (١٠١هـ)[2].

---

(١) أعلام النساء (٣/ ١٥٤).

(٢) نساء من عصر التابعين أ/ أحمد خليل جمعة (ص/ ١٥، ٢٢).

حفصة بنت سيرين رَحِمَهَا ٱللَّهُ

❁ ورثت هذه المرأة عن أسرتها حبّ العلم، والدَّأب فى القراءة، فقد نشأت فى بيت تُقى وعلم، وورع وزهد، وتخرّجت فى مدرسة الصَّحابة، تلك المدرسة التى أَثْرتِ الدُّنيا بأعلام حلّقوا فى سماء المكرمات، وزينّوا جِيدَ الدَّهر بعلومهم، وأسسوا الحضارة العلمية بأعمالهم التى ما تزال حية تخفقُ بيننا حتى الآن.

❁ وقد شهد لهذه التابعية بالفضل، أهل الفضل وأولو المعرفة، وأثنوا عليها ثناءً عطِرًا حقيقيًّا، رفعها مكانًا عليًّا بين نسوة عصرها، أَبَانَ فضلها، وكشف عن مكانتها الكبيرة فى العلم ... فهذا إياس بن معاوية التَّابعى[1] المشهور يقول عنها: ما أدركت أحدًا أفضلهُ عليها – يعنى: من التَّابعين – وحسبك بشهادة إياس لها، لتجعلها بذلك سيدة التابعيات فى زمانها دون منازع.

❁ ولم يكن فى عصرها مَنْ يستطيع أن يجاريها فى الفقهِ أو العلم، حتى أضحتْ عَلَمًا يشار إليها بالبنان، إنها حفصةُ بنتُ سيرين الفقيهة الأنصارية البصرية، أمّ الهذيل[2]، أخت التابعى الشَّهير محمَّد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

❁ كان أبوها سِيرين مولًى لسيدنا أنس بن مالك الأنصارى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد اشتراهُ مِنْ سيدنا خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان قد أسره فى «عين التَّمر» فى باديةِ العراق قرب الأنبار، إلا أنَّ أَنسًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَاتَبَ سيرين على شىءٍ من المال، فأدّى كتابته وأصبح حرًّا.

---

(١) إياسُ بنُ معاوية بن قرة المزنى، أبو واثلة، البصرى، القاضى المشهور، وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء. وُلد سنة (٤٦هـ) ومما قاله عنه الجاحظ: كان إياس صادق الحدس، عجيب الفراسة، ملهمًا، وجيهًا عند الخلفاء، توفى سنة (١٢٢هـ)، وله أخبار مشهورة، وكان مضرب المثل فى الذكاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تقريب التهذيب: (١/ ٨٧)، والأعلام: (٢/ ٣٣٠).

(٢) الطبقات (٨/ ٤٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٥٠٩).

۞ ثم ما لبثَ سيرين أنْ تزوَّجَ من امرأة يقال لها «صفية» كانت مولاةً لسيدنا أبى بكر الصِّدِّيق رضي الله عنها وكانت امرأة فاضلة ميمونة، فقد أكرمها الله عز وجل بكرامةٍ نادرة إذْ طيَّبها ثلاثة من أزواج النَّبى ﷺ، فدعَوْنَ لها، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريًّا فيهم سيدنا أُبى بن كعب رضي الله عنه يدعو وهم يؤمِّنون[١].

۞ وقد حدَّثتْ حفصة أن والدها سيرين عَرسَ بالمدينة فأَدَمَ، فدعا الناس سبعًا، وكان فيمن دعا أُبى بن كعب، فجاء وهو صائم فدعا له بخيرٍ وانصرف[٢].

۞ وقد أثمر هذا الزَّواج الميمون ثمارًا طيبة عندما رُزِق هذان الزَّوجان حفصة[٣]، ومن وراءِ حفصةَ محمّد ويحيى وكَريمة وأمّ سُليم، ويبدو أنَّ سيرين قد تزوّج بغير صفية أيضًا فوُلدَ له عدة أولاد وهم: مَعْبد وأنس وعَمْرة وسودة بنو سيرين. وكلهم - كما قال ابن كثير -: تابعيون ثقات أجلاء[٤].

وقال الإمام النَّوَوى رحمه الله عنهم: وأولاد سيرين كلهم رواة ثقات.

۞ هذا وقد نشأت حفصة فى هذا البيت الفاضل ويكفيها من الفخر أن يكون مولى أسرتها كلّها الصَّحابى الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، فقد صُنعت على عينه، وتخرّجت فى مدارس عدد من أجلّاء الصحابة والصّحابيات، وفى مقدمتهم: عائشةُ أمُّ المؤمنين، وأمُّ عطية الأنصارية رضي الله عنهما.

۞ كما تابعت حفصة تحصيلها العلمى الحديثى فى مدرسة التَّابعين، فروتْ عن أخيها يحيى، وعن أبى العالية رفيع بن مهران البصرى، وهو إمام مقرئٌ حافظٌ مُفسّر، وأحد أعلام التَّابعين وفضلائهم وأكابرهم.

۞ ولم تقتصر حفصة فى روايتها على أعلام التابعين من الرِّجال فحسب،

---

(١) الطبقات (٧/ ١٩٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٣).

(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٧).

(٣) كان مولد حفصة فى خلافة سيدنا عثمان حوالى سنة (٣١هـ).

(٤) البداية والنهاية (٩/ ٢٧٩).

بل روت عن خَيرَة أم الحسن البصرى رَحِمَهَاٱللَّهُ.

وروى عن حفصةَ عددٌ من أفاضل التَّابعين، وجِلّةِ العلماء منهم: أخوها محمّد بن سيرين، وقتادةَ، وأيوب، وابن عون، وهشام بن حسان وغيرهم كثير.

❁ **اسألوا حفصة:**

❁ كان محمَّدُ بنُ سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أشكل عليه شيءٌ من القرآن قال: اذهبوا فَسَلوا حفصةَ كيف تقرأ.

❁ هذه شهادة زاكيةٌ تشهد لحفصةَ بعلو الكعب فى معرفة علوم القرآن، وتشهد لها أيضًا بجَوْدَةِ فهم وحفظ كتاب الله ﷻ... وليس غريبًا أنْ يذهبَ النَّاس لسؤال حفصةَ عمَّا يصادفهم من مسائلَ، فقد قرأتِ القرآنَ وهى ابنة اثنتى عشرة سنة، وعاشت فى رحابه آناء الليلِ وأطراف النَّهار، وتفيأت بظلاله فى الغدو والآصال[1].

❁ ❁ ❁

(١) نساء من عصر التابعين (٨٦: ٨٩) بتصرف.

عَمْرة بنت عبد الرحمن رَحِمَهَا ٱللَّهُ

إنَّ عَمرة تربية عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وتلميذتها النَّجيبة، فلا غروَ أنْ تقبتسَ من شمائلِ عائشةَ ما جعلها عالمةَ المدينةِ وفقيهتها من النّساء التابعيات فى عصرها.

۞ ولم تتوقفْ عَمرة فى روايتها على أستاذتها عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فحسب، بل حدّثت أيضًا عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين، وعن أختها لأمّها: أمّ هشام بنت حارثة ابن النعمان الأنصارية، وعن حبيبةَ بنتِ سهل، وأمِّ حبيبة حمنة بنت جحش، وكلهن صحابياتٌ فاضلاتٌ رضى الله عنهن وأرضاهن.

كما حدثت عن الصَّحابى الجليل رافع بن خديج الأنصارى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

۞ وحدَّث عن عَمرة عدد من أكابر التابعين وعلمائهم من مثل: ابنها أبى الرِّجال محمّد بن عبد الرحمن، وحفيديها: حارثة ومحمد ابنى محمد، وابن أختها القاضى أبى بكر بن حزم والزّهرى، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وعروة ابن الزبير، وسليمان بن يسار(١) وغيرهم.

۞ أقوالُ العلماءِ في عَمْرَة:

كان الأئمة والثِّقاتُ من العلماء يكثرون من ذِكْرِ عمرة رَحِمَهَا ٱللَّهُ ويلهجون

---

(١) أحدُ الفقهاء السَّبعة فى المدينة.

ومن الفوائد اللطيفة عن هؤلاء السّبعة ما ذكره أحد الصَّالحين قال: إنَّ فقهاء المدينة السَّبعة إذا عُلِّقت أسماؤهم على الحَبِّ لم يسوِّسْ، وعلى رأس المصروع عُوفى، وقد جمعهم بقوله مشيرًا إلى ذلك:

لدفع صداع مَنْ سوس أئمة ... إذا عُلِّقتْ أسماؤهم ذهب العَنَا
سعيدٌ أبو بكر سليمانُ خارجة ... وعروة عبيد الله قاسم له الثّنا

وقال غيره:

ألا كلُّ مَنْ لا يقتدى بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحقِّ خارجه
فخذْهُم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

عن كتاب (متن الإيضاح للنّووى ص ١٦٤ و١٦٥).

بالثَّناء عليها، وهم يعلمون علم اليقين أنَّهم لا يريدون غَرضًا، وليس لهم غرضٌ فى ذلك إلا ابتغاء الحقيقة، وإعطاء كل ذى حقٍّ حقّه؛... من ذلك ما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز لأخيها محمد بن عبد الرحمن: ما بقى أحدٌ أعلم بحديث عائشةَ من عَمرةَ.

أضيفى إلى ذلك أنَّ عمر بن عبد العزيز كان يسألها[١] ويستفتيها.

وقد شهد لعمرة بالثِّقة فى الرِّواية عالمان من ذوى الثّقة والحجة وهما: يحيى بن معين[٢] والعجلى.

فقد قال يحيى بن معين: عَمرةُ بنتُ عبد الرحمن ثقةٌ حجةٌ.

وقال العجلى: مَدَنيةٌ تابعيةٌ ثقةٌ.

۞ وأمَّا على بن المدينى - وهو أحد أئمة الإسلام المبرزين فى الحديث - فكان إذا ذكر عمرة فخَّمَ أمرها وقال: عمرةُ إحدى الثِّقات العلماء بعائشة الأثبات فيها.

۞ وشهد لها سفيان بن عُيينة بالعلم فقال: كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم بن محمد بن أبى بكر، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن[٣].

۞ **وقال ابن عيينة أيضًا:** أثبت حديث عائشة حديث عمرة والقاسم وعروة.

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٠٨).

(٢) يحيى بن معين بن عون الغطفانى البغدادى، أبو زكريا، ثقة، حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله الثِّقات. نعته الذَّهبى: بسيد الحفاظ. ومن كلام يحيى: كتبتُ بيدى ألف ألف حديث - مليون حديث-، ولد بقرية «نقيا» قرب الأنبار سنة (١٥٨هـ)، وورث ثروة كبيرة عن والده أنفقها فى طلب الحديث، وله «التَّاريخ والعلل» و«معرفة الرجال» وغيرها. توفى بالمدينة المنورة حاجًّا سنة (٢٣٣ هـ) وصلى عليه أمير المدينة رَحِمَهُ اللهُ. (تقريب التهذيب: ٢/ ٣٥٨)، و(الأعلام: ٨/ ١٧٢ و١٧٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ٣٣٢) و(٢/ ٥٥).

۞ وذكرها ابن حبان فى الثِّقات وقال عنها: كانت منْ أعْلَم النَّاسِ بحديث عائشة... ووصفها محمَّد بن شهاب الزّهرى بأنَّها بحر من العلم لا ينضب.

وأمَّا المؤرخون وكُتَّاب التَّراجم، فقد طاب لهم أنْ يثنوا على عمرةَ بما هى أهله.

قال ابن سعد عنها: كانت عالمة. وهذه كلمة جامعة تشير إلى مكانة عمرة رَحِمَهَاٱللَّهُ .

وأثنى عليها الإمام الذَّهبى بقوله: كانت عالمةٌ، فقيهةٌ، حجّة، كثيرةَ العِلْمِ رَحِمَهَاٱللَّهُ .

وقال عنها ابنُ العماد الحنبلى فى «الشَّذرات»: الفقيهةُ الفاضلةُ عمرةٌ بنتُ عبد الرحمن الأنصارية، نشأت فى حجْرِ عائشة، فأكثرتِ الرِّوايةَ عنها، وهى العَدْل الضَّابطة لما يؤخذ عنها.

ولله درّ مَنْ امتدح العلماء بقوله:

العزُّ مخصوصٌ به العلماءُ ... ما للأنامِ سواهمُ ما شاؤوا

إنَّ الأكابرَ يحكمون على الورى ... وعلى الأكابر يحكم العلماء[1]

۞ ۞ ۞

---

(١) نساء من عصر التابعين (ص ٧٩: ٨٣) بتصرف.

هند بنت المهلب

لقد أخذت هند بنت المهلب بنصيب موفور من العلم والرِّواية عن أكابر علماء التَّابعين، وعمَّن لقوا صحابة رسول الله ﷺ فأخذوا عنهم، ونشروا علمهم فى مشارق الأرض ومغاربها.

وطرقت هند أقرب أبواب العلم لديها، فحدَّثت عن أبيها المهلب - وكان أحد رواة الحديث - كما حدَّثت عن الحسن البصرى إمام التَّابعين وسيدهم، وعن أبى الشَّعثاء جابر بن زيد رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

ابنة سعيد بن المسيب تُعلِّم زوجها علم سعيد بن المسيب (رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ)

(وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها[1]، وكان من أحد طلبة والدها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: «إلى أين تريد؟»، فقال: «إلى مجلس سعيد أتعلم العلم»، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد».

---

(١) جاء فى ترجمة سعيد بن المسيب (أن عبد الملك بن مروان خطب ابنته لولده الوليد حين ولاه العهد، فأبى أن يزوجها، قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أيامًا فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى فانشغلت بها، قال: فهلا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل أحدثت امرأةً غيرها؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: إن أنا فعلت تفعل؟ قلت: نعم. فحمد الله وصلى على النبى ﷺ وزوَّجنى على درهمين أو على ثلاثة قال: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلتُ أفكر ممن آخذ وأستدين. وصليتُ المغرب وكنتُ صائمًا، فقدمت عشائى أفطر، وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت وخرجتُ، وإذا بسعيد بن المسيب، وظننت أنه بدا له، فقلت: يا أبا محمد هلا أرسلت إلى فأتيتك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تُزار، قلت: فما تأمرنى: قال: رأيتك رجلًا عزبًا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هى قائمةٌ خلفه فى طوله، ثم دفعها فى الباب، وردَّ الباب. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدتُ إلى السطح وناديت الجيران، فجاءونى وقالوا: ما شأنك؟ قلت: زوَّجنى سعيد بن المسيب ابنته، وقد جاء بها على غفلة وها هى فى الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمى فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أُصلحها ثلاثة أيام؛ فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. قال فمكثت شهرًا لا يأتينى ولا آتيه. ثم أتيته بعد شهر وهو فى حلقته، فسلمت عليه، فردَّ على ولم يكلمنى حتى انفَّض من فى المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟ قلت: على ما يحبُّ الصديق، ويكرهُ العدوُّ. اهـ. نقلًا من («من أخلاق العلماء» لمحمد بن سليمان) (١٢٣ - ١٢٥).

ابنة الإمام مالك

وكان الإمام مالك يقرأ عليه الموطأ، فإن لحن القارئ فى حرف، أو زاد، أو نقص تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ: «ارجع، فالغلط معك»، فيرجع القارئ، فيجد الغلط.

جارية الإمام مالك

وحكى عن أشهب أنه كان فى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأنه اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز فائتنا نعطك الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز، فقال لها: ولِمَ؟ فقالت: لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد، فسأل عن الجارية، فقيل له: «إنها جارية مالك بن أنس» رحمه الله تعالى. اهـ[1].

---

(١) المدخل / لابن الحاج (١/ ٢٠٩).

ابنة علاء الدين السمرقندي

وكان لعلاء الدين السمرقندى «صاحب تحفة الفقهاء» ابنته «فاطمة» الفقيهة العلامة، حفظت «التحفة» لأبيها، وطلبها جماعة من ملوك الروم، فلما صنَّف أبو بكر الكاسانى الملقب «ملك العلماء» كتابه «البدائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه وهو أبوها، فازداد به فرحًا، وزوَّجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك.

فقالوا فى عصره: «شرح تحفته، وتزوج ابنته». وكانت تفقهت على أبيها، وحفظت تحفته، وكان زوجها يخطئ فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتى فتخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها. اهـ [1].

امرأة الحافظ الهيثمي

(وكانت امرأة الحافظ الهيثمى - وهى بنت شيخه الحافظ العراقى - تساعد زوجها فى مراجعة كتب الحديث) [2].

(١) من أخلاق العلماء / (ص: ١٢٥).

(٢) «تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة» لعبد الله بن الصديق ص (٣٩).

أُمُّ سفيان الثوري تعوله بمغزلها

قال وكيع: قالت أُمُّ سفيان لسفيان: اذهبْ، فاطلب العِلمَ حتى أعولك بمغْزَلي، فإذا كتبت عدَّة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتَّبعه، وإلَّا فلا تتعَنَّ[1].

وأمُّ الدرداء الصغرى مثلٌ عظيمٌ للفقيهةِ العابدةِ

روت علمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان، وكعب بن عاصم، وعائشة، وأبي هريرة، واشتُهرت بالعلم والعمل والزهد.

قال مكحول: كانت أمُّ الدرداء فقيهة. وقال عون بن عبد الله: كنَّا نأتي أمَّ الدرداء، فنذكر الله عندها،... وقال يونس بن ميسرة: كان النساء يتعبَّدن مع أمِّ الدرداء رضي الله عنها، فإذا ضعفن عن القيام تعلقنَ بالحبال!!

(١) «السير» (٧/ ٢٦٩).

والدة الفقيه الواعظ المفسِّر زين الدين علي بن إبراهيم

المعروف بـ«ابن نجيَّة» سِبْط الشيخ أبى الفرج الشيرازى الحنبلى.

قال ناصح الدين بن الحنبلى: قال لى والدى: زين الدين سَعِد بدعاءٍ والدته؛ كانت صالحة حافظة تعرِف التفسير.

قال زين الدين: كنا نسمع من خالى التفسير، ثم أجىء إليها فتقول: أيش فسَّر أخى اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا. فتقول: ذكَرَ قولَ فلان؟ وذكر الشيخ الفلانى؟ فأقول: لا، فتقول: ترك هذا... وسمعتُ والدى يقول: كانت تحفظ كتاب «الجواهر»، وهو ثلاثون مجلدة، تأليف والدها الشيخ أبى الفرج، وأقعدتْ أربعين سنة فى محرابها[١].

أمُّ عليّ بن المديني ... لله درُّها

قال على بن المدينى: «غبتُ عن البصرة فى مخرجى إلى اليمن - ثلاث سنين - وأمى حَية، فلمَّا قَدِمتُ، قالت: يا بنى: فلانٌ لكَ صديق، وفلان لك عدوٌّ. قلتُ: من أين علمت يا أُمَّهْ؟ قالت: كان فلان وفلان - فذكرتْ منهم يحيى بن سعيد - يجيئون مُسَلِّمين، فيعزُّونى، ويقولون: اصبرى، فلو قدم عليك، سرَّكِ بما ترين. فعلمتُ أن هؤلاء أصدقاء، وفلان وفلان إذا جاءوا، يقولون لى: اكتبى إليه، وضيِّقى عليه ليَقْدُم»[٢].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٤٤٠).

(٢) «السير» (١١/ ٤٩).

فاطمة بنتُ عبَّاس بن أبي الفتح: تستحضر أكثر «المغني»

قال عنها ابن رجب: «أُمُّ زينب الواعظة، الزاهدة العابدة، الشيخة الفقيهة، العالمة المسنِدة المفتية، الخائفة الخاشعة، السيدة القانتة، المرابطة المتواضعة، الدَّينة العفيفة، الخيِّرة الصالحة، المتقنة المحقِّقة، الكاملة الفاضلة، المتفنِّنة البغدادية، الواحدة فى عصرها، والفريدة فى دهْرها، المقصودة فى كل ناحية.

كانت جليلة القدر، وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقانًا بالغًا، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر حتى برعت.

كانت إذا أشكل عليها امرٌ سألت ابن تيمية عنه فيفتيها، ويتعجّب منها ومن فهمها، ويبالغ فى الثناء عليها.

وكانت مجتهدة، صوَّامة قوَّامة، قوَّالة بالحقِّ، خشنة العيش، قانعة باليسير، آمِرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، انتفع بها خلقٌ كثير، وعلا صِيتُها، وارتفع محلُّها. توفيت ليلة عَرفة. رَحِمَهَاٱللَّهُ»[1].

قال عنها ابن كثير: «كانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية فى مؤاخاتهم النساء والمردان، وتنكر أحوالهم، وأصول أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال.

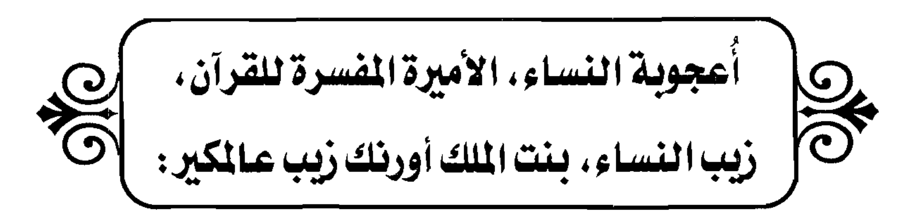
وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعت الشيخ تقى الدين يثنى عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من المغنى أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها، وهى التى خَتَّمَتْ نساءً كثيرًا القرآن منهن: أم زوجتى عائشة بنت صديق زوجة الشيخ جمال الدين المزى،

(١) «ذيل طبقاتِ الحنابلة» (٢/ ٤٦٧-٤٦٨).

وهى التى أقرأت ابنتها زوجتى أمة الرحيم زينب رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين»[١].

«وكانت تصعد المنبر وتعِظُ النساء».

خلع عليها أهل دهْرها ألقابًا عديدة، وكلها صفات وصلت بها منتهى حدودها[٢].



أُعجوبة النساء، الأميرة المفسرة للقرآن، زيب النساء، بنت الملك أورنك زيب عالمكير:

هى زيب النساء (أي: زينة النساء) الهندية «بيكم»[٣] ابنة الشاه محيى الدين أورنك زيب عالمكير، سلطان الهند قاتِل الأسود وخير ملوك الأرض. وُلدتْ سنة ١٠٤٨ هـ، وتوفيت سنة ١١١٣ هـ. كانت حافظة لكتاب الله مفسِّرة له، وهى المرأة التى تفخر بها النساء، إذ هى المرأة الوحيدة التى لها تفسير للقرآن ويسمَّى هذا التفسير «زيب التفاسير». فلله درُّها أميرة ومفسِّرة!!

قال الأستاذ محمد خير يوسف: فى «معجم المفسِّرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض، الذى ضُمَّت محتوياته فى مجلَّدين ضخمين ..لم أرَ فيه سوى ذِكْر امرأة واحدة لها تفسير، وهى زيب النساء بنت الشاه محيى الدين أورنك زيب عالمكير»[٤].

وكان للأميرة ديوان من الشعر[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٢).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٩٠).

(٣) يعنى: خاتون: وزيب كلمة فارسية معناها «زينة»، ومعنى تفسيرها: زين التفاسير.

(٤) «قارئات حافظات» لمحمد خير يوسف (١٩/ ٤٧-٤٨).

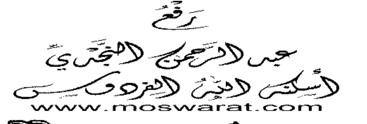
(٥) «صلاح الأمة» د. سيد العفانى (٧/ ١٧٨ : ١٨١) بتصرف.

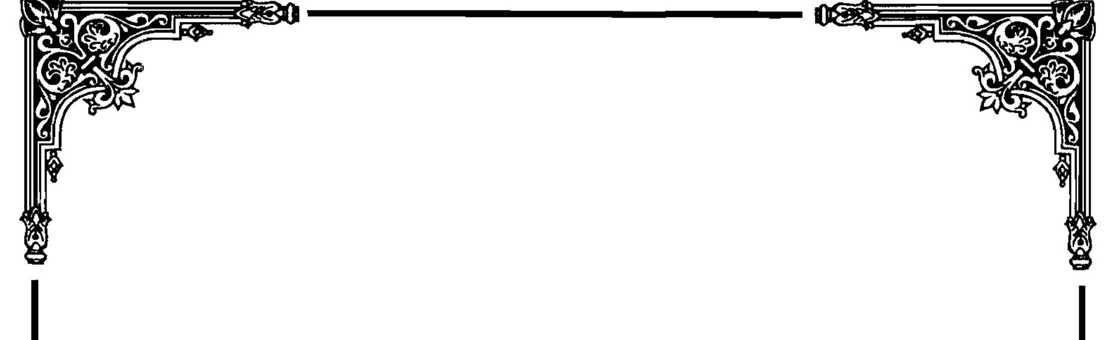
أخت صلاح الدين الأيوبي

قال الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ: قد رأيت بنفسي وأنا مدرس بالإحساء نسخة لسنن أبي داود عند آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي.

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفُضِّلت النساء على الرجالِ

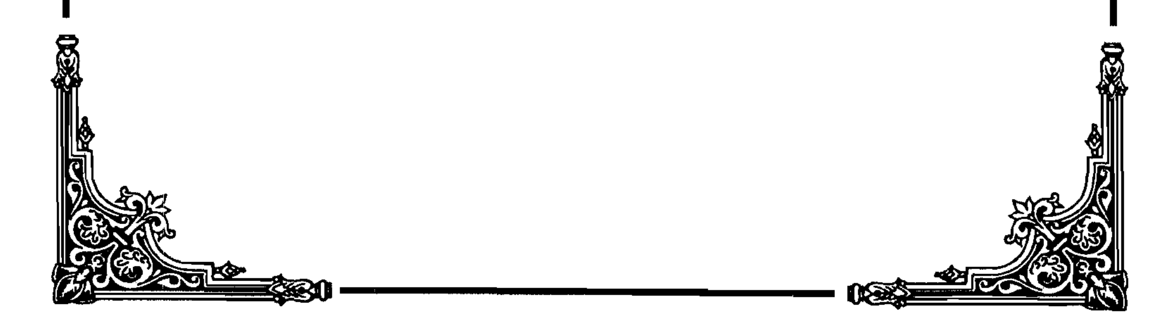
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... وما التذكير فخرٌ للهلالِ





مواقف إيمانية

في الدعوة إلى الله (جل وعلا)





الترغيب فى نشر العلم

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علَّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته، يلحقُه من بعد موته**»[١].

وعن أبى أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أربعةٌ تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: رجلٌ مات مُرابطًا فى سبيل الله، ورجلٌ علَّم علمًا، أُجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وُجدت ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له**»[٢].

وعن أبى قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ ما يُخلِّف الإنسان من بعده ثلاثٌ: ولدٌ صالح يدعو له، وصدقةٌ تجرى يبلغُه أجرُها، وعلمٌ يُنتفع به من بعده**»[٣].

فضل الدعوة إلى الله (جل وعلا)

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٤].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة المرسلين

(١) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٢) صحيح: رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١١٤)، وصحيح الجامع (٨٧٧).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه، وابن حبان وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٢٦).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل فى أُممهم، والناس تَبَعٌ لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يُبلِّغ ما أُنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أَمر النبى ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا.. وتبليغ سُنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم فى أممهم.

ويكفى فى هذا قول النبى ﷺ لعلى ومعاذ أيضًا: «**لأن يهدى الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النعم**»[١] وقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى فاتُّبع عليه، كان له مثُل أجر من اتبعه إلى عمله، إلى يوم القيامة**»[٢].

«**وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم**»[٣].

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾[٦].

وعن أبى مسعود عُقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دَلَّ على خيرٍ فلهُ مثلُ أجر فاعله**»[٧].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم بلفظ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

(٣) جلاء الأفهام (٢٤٩-٢٥٠).

(٤) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (١٠٤).

(٧) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة.

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هُدى كان لهُ من الأجر مثلُ أجُور من تبعهُ لا ينقُصُ ذلك من أُجُورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعهُ لا ينقُصُ ذلك من آثامهم شيئًا»[١].

تعليم الناس الخير

۞ عن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله، وملائكته، وأهل السموات والأرضين، حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت، ليُصلُّون على معلم الناس الخير»[٢].

۞ وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبى ﷺ قال: «مَن علَّم علمًا، فله أجر من عمل به، لا ينقُصُ من أجر العامل»[٣].

۞ وعن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يُعلمه، كان كأجر حاجٍّ، تامًّا حجتُهُ»[٤].

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء مسجدى هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمُهُ، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[٥].

۞ وعن أبى قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ ما يُخلفُ الرجلُ من بعده ثلاثٌ، ولدٌ صالحٌ يدعُو لهُ، وصدقةٌ تجرى يبلُغُهُ أجرُها، وعلمٌ يُنتفع به من بعده»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٢) صحيح: رواه الترمذى والطبرانى فى الكبير، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٩٦).

(٤) حسن صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وقال الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٨٦): حسن صحيح.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٨٤).

(٦) حسن: رواه ابن ماجه، وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٢٦).

نقل العلم للغير

۞ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾(١).

۞ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضَّر الله امرءًا سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يُبلغهُ غيره، فرُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(٢).

۞ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نضَّر الله امرءًا سمع منا شيئًا، فبلغهُ كما سمعهُ، فرُب مُبلَّغٍ أوعى من سامعٍ**»(٣).

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسمعُون، ويُسمعُ منكُم، ويُسمعُ ممن سمع منكُم**»(٤).

۞ قال سعيد بن جبير رحمه الله: لأن أنشر علمى أحب إلىَّ من أن أذهب به إلى قبرى.

توريث المصاحف وكُتب العلم

قال ﷺ: «**إن مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته، بعد موته، علمًا نشرهُ، وولدًا صالحًا تركهُ، ومُصحفًا ورَّثهُ، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناهُ، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقُهُ من بعد موته**»(٥).

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى والضياء، وابن حبان وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٦٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٦٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٤٧).

(٥) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).



إن تبليغ سُنَّة الحبيب ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو

إن سناء الهمة في نُشدان الكمال الممكن،... ومَن أراد المنزلة العليا القصوى من الجنة فعليه أن يكون في المنزلة القصوى في هذه الحياة الدنيا، واحدة بواحدة، ولكل سلعة ثمن[1].

❁ **قال الإمام ابن القيم رحمه الله:**

(وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخُلفائهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه)[2]. اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) المنطلق (ص ١٢١).

(٢) التفسير القيم (ص ٤٣١).

فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها وإسلام عمر رضي الله عنه

لقد كان عمر رضي الله عنه شديدًا فى الجاهلية ولما بُعث النبى ﷺ وآمن معه عدد قليل من الناس كان عمر يؤذيهم ويعذبهم عذابًا شديدًا حتى أنه كان يُعذب بعض الجوارى ثم يتركهن ويقول لهن: أنا ما تركتكن رحمة بكن ولكن لأنى مللت منكن،... وكان يشرب الخمر كثيرًا.

وفى يوم من الأيام لقى عمر امرأة تُسمى (أم عبد الله بنت أبى حثمة) وكانت قد عزمت على أن ترحل هى وزوجها عامر إلى بلاد الحبشة فرارًا من تعذيب قريش.... فقال لها عمر: إلى أين يا أم عبد الله؟ قالت: نخرج فى أرض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجًا.

فقال عمر: صحبكم الله يا أم عبد الله.

فلما عاد زوجها عامر قالت له: لقد لقيت عمر وقال لى كذا ورأيته يتكلم برقة شديدة.

فقال زوجها عامر: أتظنين أن عمر سيُسلم؟!!! والله لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر بن الخطاب.

۞ وهكذا كان الناس جميعًا فى يئسٍ شديد من إسلام عمر لكن الله إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

۞ ففى يوم من الأيام خرج عمر بن الخطاب إلى حانة من حانات الخمر ليشرب الخمر فلم يجد صاحب الحانة فقال فى نفسه: لو أنى جئت الكعبة فطُفت بها سبعة أشواط... فلما ذهب إلى الكعبة وجد النبى ﷺ قائمًا يصلى فقال عمر: إنها فرصة عظيمة أن أستمع إلى محمد لأعرف ماذا يقول....

قال: فأردت أن أقترب منه ولكن أريد ألا يرانى حتى لا يفزع منى.

قال: فجئت من قِبل الحجر فدخلت تحت ثياب الكعبة حتى لا يرانى

وجعلت أمشى رويدًا رويدًا حتى أصبحت أمامه لكنه لا يرانى لأنى كنت خلف أستار الكعبة.

قال: فلما سمعت القرآن تعجَّبت من حلاوته فتأثرت به ثم قلت فى نفسى إنه لقول شاعر... فسمعت النبى يقرأ ويقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾[١].

فقال عمر: إنه كاهن[٢].

فقرأ النبى ﷺ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]. وظل عمر واقفًا فى مكانه حتى انتهى النبى ﷺ من صلاته ثم انصرف.

۞ وبدأ عمر يعيش صراعًا مع نفسه: هل يظل على شركه ليعيش آمنًا مطمئنًا بين قومه وعشيرته الذين يحاربون كل من أسلم.

۞ أم يُسلم ويعادى قومه وعشيرته وبخاصة وأن له مكانة كبيرة فى قريش فهو سفير قريش.

ومن أجل ذلك تأخر إسلام عمر قليلًا لكن الله هيأ له الأسباب التى جعلت قلبه ينشرح للإسلام.

فقد كان النبى ﷺ يدعو فى ذلك الوقت ويقول: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبى جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب**»[٤].

۞ ففى يوم من الأيام عَلِم عمر أن النبى ﷺ وبعض أصحابه قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا فأخذ سيفه يريد قتل النبى ﷺ فلقيه رجل من بنى زُهرة - وهم أخوال النبى ﷺ - فقال له: إلى أين يا عمر؟

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٤٠ - ٤١).

(٢) الكاهن: هو الذى يدَّعى معرفة الغيب ويقوم بخدمة المعبد.

(٣) سورة الحاقة: الآية: (٤٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٣٦).

قال: إلى محمد لأقتله فقد فرَّق أمر قريش وعاب دينها وسَبَّ آلهتها.

فقال له الرجل: وهل تظن أن بنى هاشم وبنى عبد مناف سيتركوك تمشى على الأرض بعدها دون أن يقتلوك بعد أن قتلت محمدًا؟

فقال له عمر: يبدو أنك قد صبأت وتركت دين قومك واتبعت محمدًا.

قال الرجل: ألا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرهم؟

قال عمر: وأى أهل بيت؟

قال الرجل: لقد أسلمت أختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد واتبعا محمدًا على دينه.

فرجع عمر وذهب إلى أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنهما وكان خبَّاب ابن الأرت رضي الله عنه يجلس معهما يعلمهما القرآن وكان معه صحيفة مكتوب فيها سورة طه.

فلما اقترب عمر من بيت أخته سمع صوت رجل يُعلمهما القرآن فلما دخل اختبأ خبَّاب فى مكان من البيت.

فقال عمر لأخته: ما هذا الصوت الذى سمعته؟

قالت: ما سمعنا شيئًا.

فقال عمر: لقد سمعت أنكما اتبعتما محمدًا على دينه.

فقال له سعيد: أما آن الآوان يا عمر لأن تُسلم لله وتدع الأصنام التى يعبدها قومك.

فقام عمر وضربه ضربًا شديدًا حتى طرحه أرضًا فقامت فاطمة لتدافع عن زوجها فضربها عمر حتى سالت الدماء من وجهها.

فقالت له: نعم لقد أسلمنا لله.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر الدماء تسيل من وجه أخته رقَّ قلبه لها رقة شديدة وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى بيدك.

فقالت له: إنى أخشى أن تمزقها.

فحلف لها عمر أن لن يمسها بسوء.

فقالت له: إنك مشرك نجس وهذه الصحيفة لا يمسها إلا المطهرون فقم واغتسل.

فقام عمر فاغتسل ثم عاد إليها وأخذ منها الصحيفة وبدأ يقرأ فيها ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾(١)، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾(٢).

فأحسَّ عمر بروعة القرآن وعظمته فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خبَّاب خرج من مخبئه وقال له: أبشر يا عمر فقد سمعت رسول الله يدعو فيقول: «**اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام**»، وإنى لأرجو الله أن تكون أنت يا عمر.

۞ فقال عمر لخباب: يا خباب دُلنى على محمد حتى آتيه فأُسلم فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نَفَرٌ من أصحابه فأخذ عمر سيفه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من فتحة بالباب فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًّا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «**ائذن له**» فأذن له

(١) سورة طه: الآيتان: (١ - ٢).

(٢) سورة طه: الآية: (١٤).

الرجلُ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: «**ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة**» فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة، عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم وأصر على أن يخرجوا جميعًا أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء(١).

۞ وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد أمام المشركين فى صَفَّين... على رأس الصف الأول عمر بن الخطاب وعلى رأس الصف الثانى حمزة بن عبد المطلب. فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء بفضل الله جل وعلا.

۞ ۞ ۞

(١) رواه أحمد (٣٧١) فى فضائل الصحابة.

أم شريك رضي الله عنها

❁ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي بمكة، فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا فتدعوهن وتُرغبهن فى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: «لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم»، قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى شيء موطأ ولا غيره، ثم تركونى ثلاثًا لا يُطعمونى ولا يَسقونى، فنزلوا منزلًا وكانوا إذا نزلوا منزلًا أوثقونى فى الشمس واستظلوا، وحبسوا عنى الطعام والشراب، فلا تزال تلك حالى حتى يرتحلوا، قالت: فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع عليَّ منه ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلًا ثم رُفع منى، ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلًا ثم رُفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مرارًا حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى. فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: «انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟» فقلت: «لا والله ما فعلت ولكنه كان من الأمر كذا وكذا»، فقالوا: «لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا». فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتهم»[1].

❁ هكذا يُكرم الله أولياءه الصادقين... فلقد ضربت أم شريك رضي الله عنها أروع الأمثلة فى الدعوة إلى الله وفى الثبات على الإيمان والعقيدة... وهى صابرة راضية محتسبة فى سبيل نجاح دعوتها المباركة فلم يخطر على بالها أبدًا أن تلين أو تضعف فتتنازل عن بعض الأشياء من أجل أن تُنقذ نفسها من الموت والهلاك فكانت النتيجة أن الله (عز وجل) أكرمها أيما إكرام وأقرَّ عينها بإسلام قومها ليكونوا جميعًا فى ميزان حسناتها يوم القيامة فقد قال ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ**

(١) الإصابة (٨/ ٣٤٨)، حلية الأولياء (٢/ ٦٦).

لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[(١)].

وقال ﷺ: «لأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[(٢)].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

أم سليم رضي الله عنها كان مهرها الإسلام

إن قدر الأخت المسلمة وقيمتها الحقيقية ليست فى قيمة المهر الذى يقدمه الزوج لها ولكن قيمتها تتمثل فى تمسكها بدينها وحيائها... ولذلك نقول لكل أخت مسلمة: ها هى أم سُليم رضي الله عنها تعطى للكون كله درسًا لا يُنسى أبدًا وذلك عندما تقدَّم لها أبو طلحة رضي الله عنه وكان مشركًا وقتها فرفضت كل أمواله ورضيت أن يكون مهرها إسلامه لله (جل وعلا).

❁ فها هو أبو طلحة يتقدم للزواج من أم سليم، وعرض عليها مهرًا غاليًا. إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكبرياء وهى تقول:

إنه لا ينبغى أن أتزوج مشركًا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان. وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت[1].

فأحس أبو طلحة بضيق شديد فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، ولكن حبه الصادق جعله يعود فى اليوم التالى يُمنيها بمهرٍ أكبر وعيشة رغدة عساها تلين وتقبل.

ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية - التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها حيث المال والجاه والشباب - تشعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدب جم: (ما مثلك يُرد يا أبا طلحة ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك فقال: ما ذاك دهرك. قالت: وما دهرى؟ قال: الصفراء والبيضاء -أى: الذهب والفضة- قالت: فإنى لا أريد صفراء ولا بيضاء

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٣١٢) ونحوه الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٧) وكذا فى الحلية (٢/ ٥٩) وإسناده صحيح.

أريد منك الإسلام. قال: فمن لى بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ... فانطلق يريد النبى وهو جالس فى أصحابه، فلما رآه قال: «**جاءكم أبو طلحة غُرة الإسلام بين عينيه**» فجاء فأخبر النبى بما قالت أم سليم فتزوجها على ذلك.

وفى رواية أخرى: (والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد. ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره)(١).

لقد هزت هذه الكلمات أعماق أبى طلحة وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًا، فليست هى بالمرأة اللعوب التى تنهار أمام المغريات، إنها المرأة العاقلة التى تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأمًّا لأولاده ؟؟!

وما شعر إلا ولسانه يردد (أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله).

فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس وهى تقول بسعادة بالغة أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوِّج أبا طلحة فزوَّجها وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت راوى الحديث عن أنس: (فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم كان مهرها الإسلام) (٢).

۞ فهل سنسمع عن أخت من أخواتنا المؤمنات ترضى بأن يكون مهرها الإسلام... وأخرى مهرها القرآن... وثالثة مهرها حفظ صحيح البخارى ومسلم؟

نرجو أن نسمع فى وقت قريب عن (أم سُليم) هذا الزمان.

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٣٤١) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٢) صحيح: انظرى السابق.



أم حكيم بنت الحارث وحرصها على إسلام زوجها عكرمة

لما أسلمت أُمُّ حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة (يوم الفتح)، وفرَّ زوجها إلى اليمن، وكان النبى ﷺ قد أهدر دمه ولو كان مُعلَّقًا بأستار الكعبة، حرصت أم حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على إسلام زوجها، فبذلت لذلك جهودًا عظيمة. وكان عكرمة قد غادر مكة نحو الغرب فى اتجاه جدة، يريد اليمن عن طريق البحر، خوفًا من القتل، فاستأمنت أُمُّ حكيم النبى ﷺ لزوجها، وخرجت فى طلبه، وكانت قد اصطحبت معها غلامًا لها مملوكًا إلى جدة، فاستغل الوضع المضطرب التى هى عليه، فراودها عن نفسها أثناء الطريق، فجعلت تُمنِّيه «وكانت امرأةً عفيفة فاضلة عاقلة، حتى قدمت على حى من العرب هم بنو عكٍّ، فطلبت منهم اعتقال الغلام، بعد أن أخبرتهم خبر صنيعه القبيح، فأوثقوه كتافًا، وأبقوه لديهم حسب طلبها، ثم واصلت سفرها حتى وصلت ميناء جدة»[1].

وكان عكرمة قد ركب السفينة، وعندما ركبها قال له رُبَّانها - وكان مسلمًا-: أخلص فقال: أى شىء أقول: قال: قل: لا إله إلا الله. قال عكرمة متعجِّبًا: ما هربت إلا من هذا. وبينا هو يحاور ربان السفينة، إذ بامرأته العفيفة الوفية تناديه فى إلحاحٍ: يا ابن عمّ جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك فوقف لها، واستوضحها: ما الخبر؟ فقالت: إنى استأمنت لك محمدًا رسول الله ﷺ. قال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم.

وفى رواية أخرى: فأدركته وقد ركب سفينة فنادته: «يا ابن عم، هذا أمانٌ معى من رسول الله ﷺ، فإن تُسلم وتَقبل أمان رسول الله ﷺ فأنا زوجتك، وإلا انقطعت العصمة فيما بينى وبينك»[2].

---

(١) فتح مكة لمحمد أحمد بشاميل (ص ٢٢٧).

(٢) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٧٥٤-٧٥٦).

وعاد معها، وفى الطريق «جعل عكرمة يطلب امرأته، يجامعها، فتأبى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة»[١]، فجعل يقول لها: إن أمرًا منعك منى لَأَمرٌ كبير. وفى أثناء العودة سألها عن غلامها الرومى ... فأخبرته خبر محاولته الدنيئة، فلما وصل حيث الغلام مكتوفًا، قتله فى الحال، وذلك قبل أن يُسلم. فلما دنا عكرمة من مكة، بشَّر النبى ﷺ أصحابه بإسلام عكرمة، فقال: «**يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنًا مهاجرًا**».

وذكر المؤرخون أن الرسول ﷺ لما أقبل عليه عكرمة وثب إليه، وما على النبى ﷺ رداء، فرحًا بعكرمة، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه، وزوجته متنقبة، فقال: يا محمد، إن هذه أخبرتنى أنك أمَّنتنى. فقال رسول الله ﷺ: «**صدقت، فأنت آمن**». فقال عكرمة: فإلامَ تدعو؟ قال: «**أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة**». فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق، وأمر حسنٍ جميل، قد كنت والله فينا - قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه - وأنت أصدقنا حديثًا وأبرنا برًّا. ثم قال عكرمة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ، وقال: «**لا تسألنى شيئًا أعطيه أحدًا إلا أعطيتكه**». فقال عكرمة: فإنى أسألك أن تستغفر لى كل عداوةٍ عاديتكها، أو مسير وضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته فى وجهك، أو أنت غائبٌ عنه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع، يريد المسير إطفاء نورك، فاغفر له ما نال منى من عِرض، فى وجهى أو أنا غائب عنه**». فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله. ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقها فى صدٍّ عن سبيل الله، إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتال في صدٍّ عن سبيل الله، إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله»[٢].

(١) تاريخ ابن عساكر (١١/ ٧٥٤-٧٥٦).

(٢) فتح مكة لبشاميل (ص٢٢٨، ٢٢٩)، نقلًا عن مغازى الواقدى (٢/ ٨٥٣)، وزاد المعاد (٢/ ٢٩٨).

وكان إسلام الصنديد عكرمة حسنةً من حسناتٍ، يسوقها الله بفضله ومَنِّه على يد أم حكيم رضي الله عنها.

نعم، هذه هى المرأة المسلمة فى وضاءتها وعفتها ووفائها ودعوتها لدينها.

❁ **قال توماس. أو. أرنولد:** «يرجع الفضل فى إسلام كثيرٍ من أمراء المغول إلى تأثير زوجةٍ مسلمة، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سببًا فى إسلام كثيرٍ من الأتراك الوثنيين، عندما كانوا قد أغاروا على الأقطار الإسلامية».

وقال توماس: «ويقال: إن نساء قزان التتريات بوجهٍ خاص، ذوات غيرةٍ باعتبارهن داعياتٍ إلى الإسلام، ولا تمنع المتمسكة بدينها من أن تحتل مكانها إلى جانب الولى من الرجال فى زمرة الداعين إلى العقيدة»[1].

فيا ربات الخدور ... يا من سرتُن على ركب القانتات العابدات الداعيات.. لا بد من الدعوة إلى الله عز وجل ... لا بد أن تخالط الدعوة إلى الله عز وجل دماءكن، وأنفاسكن، لا بد أن تُؤْثِرن الدعوة إلى الله على كل شىء. فأهل الباطل ديدنهم: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾[2] فما أحراكن بالصبر على الدعوة إلى الله[3].

❁ ❁ ❁

(١) الدعوة إلى الإسلام (ص ٤٥١-٤٥٢).

(٢) سورة ص: الآية: (٦).

(٣) صلاح الأمة فى علو الهمة - د. سيد العفانى (٢/ ٧٤-٧٦).

رابعة العدوية تدعو رجلاً جاء ليسرقها

رُوى أن لصًّا دخل على «رابعة العدوية» ليلًا ليسرقها، لكنه لم يجد عندها ما يطلبه، فانصرف، وكانت رابعة آنذاك تصلى بين يدى الله تعالى، فلما أحست به قطعت صلاتها، وأقبلت عليه، وقالت له تعظه وتدعوه إلى الله:

يا هذا، إنك جئت تطلب الدنيا فلم تجدها، فهل لك فى الآخرة؟!

فقال لها: وما ذاك؟

فقالت له: تأخذ هذا الإبريق وتتوضأ، وتدخل هذا المكان وتصلى فيه ركعتين لله، فلعلك لا تنصرف حتى يمنحك الله فضله وهداه .. فقَبِل اللص نصحها وسمع وعظها وتوضأ وصلى، فلما سجد أطال السجود، فدنت منه رابعة، فإذا هو يبكى ويناجى ربه، ويسأله التوبة والغفران، وسمعته بعد ذلك يقول:

إذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى
وَتُخفى الذنب عن خلقى ... وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما ... يعاتبنى ويقصينى

فلما سمعته يقول ذلك بكت، ورفعت وجهها إلى السماء، وقالت: «إلهى.. هذا عاصى وقف ببابك ساعة، فقبلته، وأنا منذ عرفتك، وأنا واقفة على بابك أصلى، أتراك قبلتنى؟».

فسمعت من يهتف بها، ويقول لها: «يا رابعة، من أجلك أكرمناه، وبدعوتك قبلناه وبصلاتك وصلاته غُفر له».

مواقف إيمانية

في الطاعة والعبادة



فضائل قيام الليل

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

لقد جاءت أحاديث كثيرة تُرغِّب فى قيام الليل وسأكتفى بذكر بعضها لعل الله أن ينفع بها كل مسلم ومسلمة فى الدنيا والآخرة.

۞ وحسبُنا أن جبريل عليه السلام قال للنبى ﷺ: «....**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعِزَّه استغناؤه عن الناس**»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد! فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[٥].

وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجنة غُرفًا يُرى**

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (١٥-١٨).

(٣) سورة السجدة: الآيتان: (١٦-١٧).

(٤) حسن: رواه الحاكم فى المستدرك، والطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى الشعب، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٣١) وصحيح الجامع (٧٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»[١].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»[٣].

وعن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[٤].

۞ وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن»[٥].

۞ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين»[٦].

۞ ۞ ۞

---

(١) حسن: رواه أحمد، وابن حبان والبيهقى والترمذى، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، والنسائى، والحاكم، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١١٧٣).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٣٩).

فضل من أيقظ أهله لقيام الليل

فقد قال الحق (جل وعلا): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[١].

وقال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[٢].

۞ فمن باب حرص الزوج على زوجته وحرصها عليه لابد أن يتعاونا على قيام الليل ليفوزا بهذا الأجر العظيم.

۞ قال ﷺ: **«رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**[٣].

۞ وقال ﷺ: **«من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»**[٤].

فضل النوم بنية قيام الليل

فلا بد أن نستحضر نية قيام الليل عند النوم... فإن تيسَّر لنا القيام فالحمد لله.. وإن لم يتيسر فقد فُزنا بالأجر إذا كنا قد أخلصنا النية لله بأننا سنقوم الليل.

۞ قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يُحدِّث نفسه بقيام ساعة من الليل فينامُ عنها، إلا كان نومُه صدقة تصدَّق الله بها عليه وكتب له أجر ما نوى»**[٥].

---

(١) سورة التحريم الآية: (٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٠٣٠).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٦٠٢).

۞ وقال ﷺ: «ما من امرئٍ يكون له صلاة بليل، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة»[١].

فضل من نام عن وِرده فقضاه

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل»[٢].

۞ ۞ ۞

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائى، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قيام الراكعات الساجدات(١)

❁ أختي الفاضلة:

سأقص عليك طرفًا من ذِكر العابدات المتهجدات الراكعات الساجدات اللاتى أضناهن طول القيام لعل العزائم أن تستيقظ فى قلوبنا أجمعين.

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

فى «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بشَّر خديجة ببيت فى الجنة من قَصَب(٢) لا صخب فيه ولا نصب.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتانى جبريل فقال: يا رسول الله هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومنّى**»، وهى رضي الله عنها أول من آمن بالله من الرجال والنساء.

نزلت على الرسول ﷺ وهى معه آيات سورة المزمل ... يأمر الله عز وجل نبيه بقيام الليل فقام وقامت معه، وقام الصحابة اثنا عشر شهرًا حتى انتفخت أرجلهم، ثم نزل التخفيف فى نهاية السورة ... آمنت برسالة زوجها ﷺ حين كفر الناس، وصدَّقته إذ كذّبه الناس ... حتى يتوجها ربها بنزول ملك الوحى جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ قائلًا له: «**أقرئ خديجة من ربها السلام**».

قالت عائشة: ماتت قبل أن تُفرض الصلاة يعنى: قبل أن يُعرج بالنبى ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) بتصرف من كتاب (رهبان الليل) للدكتور: سيد حسين العفانى -حفظه الله-.

(٢) القصب: هو اللؤلؤ المجوف.




أم المؤمنين الصدِّيقة بنت الصدِّيق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

قال القاسم: «كانت عائشة تصوم الدهر»[١].

وعنه قال: «كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها، فأُسَلِّم عليها، فغدوت يومًا فإذا هى قائمة تُسبِّح، وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[٢] وتدعو وتبكى وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتى، ثم رجعت، فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى»[٣].. إذا كان هذا نهارها فكيف تكون إذا جنَّ الليل.



أم المؤمنين حفصة بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وهى التى كانت تسامى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فى مكانتها عند رسول الله ﷺ... كانت عابدة، خاشعة، قانتة رضي الله عنها، وقد صَحَّ أن النبى ﷺ طلَّقها، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: «**إنها صوَّامة، قوَّامة، وهى زوجتك فى الجنة**»[٤]، فأى شهادة وتزكية بعد شهادة الله عز وجل وتزكيته حفصة بنت الفاروق رضي الله عنهما؟!

(١) «الإجابة» للزركشى (ص ٦٧).

(٢) سورة الطور: الآية (٢٧).

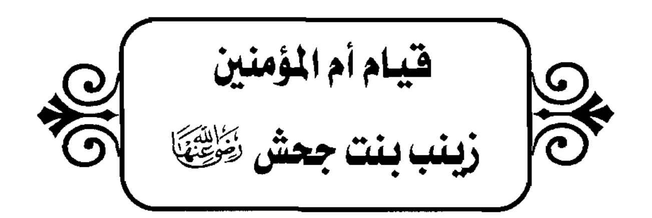
(٣) «السمط الثمين» ص (٩٠).

(٤) حسن: رواه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ١٦)، والطبرانى فى الكبير (١٨/ ٣٦٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٥١).

وعن نافع قال: ماتت حفصة حتى ما تفطر - أي: كانت تسرد الصيام-[١].

وأي شهادة أعظم من شهادة المولى ﷻ وجبريل لابنة الفاروق بأنها صوَّامة قوَّامة؟!

انظري رحمك الله كيف كان تهجد حفصة رضي الله عنها وصيامها سببًا لإبقائها زوجًا لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة؟ وكيف لا تكون قوَّامة وهي بنت أبيها؟



قيام أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

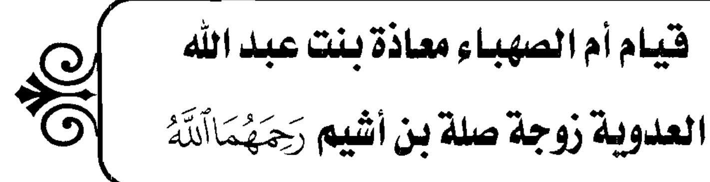
فى «الإصابة» قالت عنها عائشة عند موتها: لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل... ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدى أنها ذكرت زينب فترحَّمت عليها وقالت: وكانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معجبة وكان يستكثر منها[٢]. وكانت صالحة صوامة قوامة صناعًا تصدَّق بذلك كله على المساكين... وعند البخارى: دخل النبى ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى ﷺ: «**لا ... حُلُّوه، ليُصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد**»[٣]، رضى الله عنك أم المؤمنين يا من زوَّجك الله من فوق سبع سماوات.

---

(١) أخرجه ابن سعد بسندٍ صحيح كما قال ابن حجر فى «الإصابة» (ج٤ ص٢٧٣).

(٢) «الإصابة» لابن حجر.

(٣) «فتح البارى شرح صحيح البخارى» كتاب التهجد.




قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية زوجة صلة بن أشيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ

كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ تلميذة لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين.

كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ تصلى الليل الطويل، فكانت تكلّ الرجال وهى لا تكلّ[١].

لما أُهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيتًا مطيبًا، فقام يصلى حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فِعْلِه، فقال له: إنك أدخلتنى بيتًا أذكرتنى به النار، ثم أدخلتنى بيتًا أذكرتنى به الجنة، فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت[٢].

كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ إذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه، فما تنام حتى تمسى، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[٣].

وكانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ تحيى الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول: «يا نفس، النوم أمامك، لو قدْ مِتِّ لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور». وكانت تقول: «عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد فى ظلمة القبور».

❁ ❁ ❁

(١) «تنبيه المغترين» ص (١١٧).
(٢) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلى ص (٢٣).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٢٢)، «مختصر قيام الليل» ص (٢٦).

حفصة بنت سيرين أم الهذيل رَحِمَهَاٱللَّهُ

كانت رَحِمَهَاٱللَّهُ تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طُفِئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح، ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو قائلة، وكانت تدخل مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها.

وكانت رَحِمَهَاٱللَّهُ تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب.

قيام ابنة أم حسان الأسدية رَحِمَهَاٱللَّهُ

عن سفيان الثوري قال: دخلت على بنت أم حسان الأسدية في جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود، وليس به خفاء.

قال سفيان: وكان إذا جنَّ عليها الليل دخلت محرابًا لها، وأغلقت عليها ثم نادت،... إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم.

قيام رابعة العدوية رَحِمَهَاٱللَّهُ

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية، وكانت مضرب المثل في تَدلُّه القلب واحتراق الكبد حبًّا لله وإيثارًا لرضاه، وكانت تواصل صيامها وقيامها، وتتابع زفراتها، وتدفق عبراتها، وتستقل كل ذلك في جنب الله.

قال يومًا شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها: «وا حزناه» فقالت: «لا تكذب! بل قل: وا قلة حزناه، ولو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

۞ قالت عنها أشبه الناس بها فى نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبى شوال – وكانت من خيار إماء الله–: «كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر. فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور»[(١)].

قيام عجردة العمية رَحِمَهَا ٱللَّهُ

قال رجاء بن مسلم العبدى: كنا نكون عند عجردة العَمية فى الدار فكانت تحيى الليل صلاة، وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السَّحَر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون.

«إليك قطع العابدون دُجى الليالى بتكبير الدلج إلى ظُلَم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعنى إليك في درجة المقربين، وأن تُلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم»، ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو فى سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

۞ وحدثت آمنة بنت يعْلى بن سُهَيل قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم أو اليومين، قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنَّعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلى إلى السَّحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر، فقلت لها – أو قال بعض أهل الدار –: لو نمت من الليل شيئًا، فبكت وقالت: ذِكر الموت لا يدعنى أنام[(٢)].

(١) «صفة الصفوة» (ج ٤ ص ٢٩، ٣٠).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٣١).

قيام عفيرة العابدة وليلها رَحِمَهَا ٱللَّهُ

قيل لها: إنك لا تنامين بالليل فبكت ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلًا ولا نهارًا؟ [١].

وكانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ لا تضع جنبها إلى الأرض فى ليل وتقول: أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة، وكانت لا تمل من البكاء فقيل لها: أما تسأمين من كثرة البكاء؟ فقالت: كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه؟! [٢].

۞ وكانت تقول فى مناجاتها: «عصيتك بكل جارحة منى على حدتها، والله لئن أعنتَ لأطيعنَّك ما استطعتُ بكل جارحة عصيتك بها» [٣].

عمرة امرأة حبيب العجمي رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ انتبهت ليلة وزوجها نائم فأنبهته فى السَّحر وقالت له: قم يا سيدى فقد ذهب الليل وجاء النهار،وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قُدّامنا ونحن قد بقينا [٤].

قيام بردة الصريمية وبكاؤها رَحِمَهَا ٱللَّهُ

كانت بالبصرة، وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيب، وقد خلوت بك يا محبوبى، أفتراك تعذبنى وحبك فى قلبى؟ لا تفعل يا حبيباه [٥].

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص (٢٩).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٣٤)، و«تنبيه المغترين» ص (١١٦).

(٣) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٣٤).

(٤) صفة الصفوة (٢/ ٣٥).

(٥) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٣٦).

وكانت تقول: ربما سمعتُ القرآن فأرى مُلك بنى مروان قد حُوى لى.

وكانت تبكى حتى يرحمها من رآها، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب[١].

أم حيان السُّلَمية رَحِمَهَاٱللَّهُ

قال أبو خلدة: ما رأيت رجلًا قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم فى مسجد الحى كأنها نخلة تصفقها الرياح يمينًا وشمالًا[٢].

وكانت تقرأ القرآن في يوم وليلة.



حسنة العابدة رَحِمَهَاٱللَّهُ

كانت رَحِمَهَاٱللَّهُ جميلة، ولقد تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيى الليل وليس فى بيتها شىء.

قالت لها امرأة تزوجى فقالت: هات رجلًا زاهدًا لا يكلفنى من أمر الدنيا شيئًا ولا أظنك تقدرين عليه، فوالله ما فى نفسى أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلًا يبكى ويُبكينى، ويصوم ويأمرنى، ويتصدق ويحضنى عليها فبها ونعمت، وإلَّا فعلى الرجال السلام[٣]، رَحِمَهَاٱللَّهُ أى: أنها لا ترغب إلَّا فى الزواج ممَّن يمَّمَ وجهه صوب الدار الآخرة.

---

(١) «تنبيه المغترين» ص (١١٦).

(٢) «صفة الصفوة» (ج ٤ ص ٣٨).

(٣) «صفة الصفوة» (ج ٤ ص ٣٩، ٤٠).

غصنة وعالية رَحِمَهُمَاٱللَّهُ

وكانتا من عابدات البصرة.

قال أبو الوليد العبدى: ربما رأيت غصنة وعَالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فى ركعة (١).

رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهَاٱللَّهُ

قال أحمد: قلت لرابعة وقد قامت بالليل: قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل. فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت .. قال: وجلست آكل وجعلت تذكرنى فقلت لها: دَعينا يهنينا طعامُنا. قالت: ليس أنا وأنت مِمَّن يتنغَّص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

قال زَوجها ريحانة الشام: ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا من أثر العبادة.

وقالت لى: لست أحبك حب الأزواج.. وإنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مِلْكى ومَالى مثلك ومثلُ إخوانك. قال أحمد: وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علىَّ، فكانت إذا طبخت قِدرًا قالت: كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لى: لست أستحل أن أمنعك نفسى (٢) وغيرى، اذهب فتزوج، قال: فتزوجت ثلاثًا، وكانت تطعمنى اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٤١)..

(٢) لا يفهم من هذا الكلام .. عصيانها لزوجها فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد بن حنبل ومعنى كلامها والله أعلم: «شعورها بتقصيرها فى حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصرة فى حقه، فزوَّجته عليها من مالها ثلاثة من النسوة...» والله أعلم.

وكانت رَحِمَهَاٱللَّهُ تقول: «ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر»[١]، يا سبحان الله: امرأة تُزوج زوجها من مالها ثلاثة من النسوة... ولا تقوم إلا إذا نوديت.

لا تقعدن لذكرنا فى ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد



جارية الحسن بن صالح رَحِمَهَاٱللَّهُ

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته، فباعها لقوم فلما صلَّت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلى إلى الفجر، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضى من الليل: يا أهل الدار قوموا، يا أهل الدار صلوا، فقالوا لها: «نحن لا نقوم إلا الفجر، فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت: بعتنى لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم... فردَّها الحسن إليه رحمة بها ووفاءً بحقها»[٢].

جارية رومية رَحِمَهَاٱللَّهُ

وقال عبد الله بن الحسن: (كانت لى جارية رومية، وكنت بها مُعجبًا، فكانت فى بعض الليالى نائمة إلى جنبى، فانتبهت، فالتمستها، فلم أجدها، فقمت أطلبها، فإذا هى ساجدة، وهى تقول: «بحبك لى إلا ما غفرت لى ذنوبى»، فقلت لها: «لا تقولى: بحبك لى، ولكن قولى: بحبى لك» - يعنى: إرشادًا لها إلى التوسل المشروع بالعمل الصالح - فقالت: «لا يا مولاى، بحبه لى أخرجنى

(١) «صفة الصفوة» (ج٤ ص ٣٠٢)..

(٢) «صفة الصفوة» (ج٣ ص ١٩٥).

من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لى أيقظ عينى، وكثير من خلقه نيام»)[١].

حبيبة العدوية رَحِمَهَا ٱللَّهُ

وعن عبد الله المكى أبى محمد قال:

(كانت «حبيبة العدوية» إذا صلَّت العتمة قامت على سطح لها، وشدَّت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: «إلهى قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلَّقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك»، ثم تُقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر، قالت: «إلهى هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ، أم رددتها على فأُعزَّى؟ وعزتك لهذا دأبى ودأبك ما أبقيتنى، وعزتك لو انتهرتنى عن بابك ما برحت، لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك»)[٢].

جارية حبشية رَحِمَهَا ٱللَّهُ

وقال بعض الصالحين: (خرجت يومًا إلى السوق، ومعى جارية حبشية، فاحتبستها فى موضع بناحية السوق، وذهبت فى بعض حوائجى، وقلت: «لا تبرحى حتى أنصرف إليك»، قال: فانصرفت، فلم أجدها فى الموضع، فانصرفت إلى منزلى، وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى، فقالت: «يا مولاى لا تعجل على، إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى، فخفت أن يخسف بذلك الموضع»، فعجبت لقولها، وقلت لها: «أنت حرة»، فقالت: «ساء ما صنعت، كنت أخدمك فيكون لى أجران، وأما الآن فقد

(١) «إحياء علوم الدين» (١٥/ ٢٧٧٥ - ٢٧٧٦)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١٥/ ٢٧٧٤ - ٢٧٧٥).

ذهب عنى أحدهما»)[١].

امرأة رياح القيسي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ

۞ تزوج رياح القيسي امرأة .. فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته، قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، فقالت: يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر ... ثم نادته، فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعرى مَن غرَّنى بك يا رياح، قال: فقامت الربع الآخر.

ويقول زوجها: كانت إذا صلت العشاء تطيبت. ولبست أحسن ثيابها ثم تأتينى، فتقول: لك حاجة... فإن قلت: نعم، كانت معى... وإن قلت: لا قامت فنزعت ثيابها، ثم صفَّت بين قدميها حتى تصبح[٢].

۞ ۞ ۞

(١) «إحياء علوم الدين» (١٥/ ٢٧٧٦ - ٢٧٧٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٥).

وها هي باقة عطرة من حياة العابدات

۞ رُوى عن (عجرة) أنها كانت تحيى الليل، وكانت مكفوفة البصر، فإذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دُجى الليل يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك يا إلهى أسألك لا بغيرك أن تجعلنى فى أوّل زمرة السابقين وأن ترفعنى لديك فى عليين فى درجة المقربين، وأن تُلحقنى بعبادك الصالحين، فأنت أرحم الرحماء، وأعظم العظماء، وأكرم الكرماء يا كريم، ثم تخرّ ساجدة، فيُسمع لها وجبة - أى: سقطة- ثم لا تزال تدعو وتبكى إلى الفجر.

۞ وقال محمد بن معاذ حدثتنى امرأة من المتعبدات قالت: رأيت فى منامى كأنى أُدخلت الجنة، فإذا أهل الجنة قيام على أبوابها، فقلت: ما شأن أهل الجنة قيام؟ فقال لى قائل: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التى زُخرفت الجنان لقدومها! فقلت: ومن هذه المرأة؟ فقيل: أمة سوداء من أهل الأيكة يقال لها: شعوانة. قالت: أختى والله، قالت: فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديت: يا أختى أما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألحقنى بك؟ قالت: فتبسمت إلىَّ وقالت: لم يأن الأوان لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين: الزمى الحزن قلبك وقدّمى محبة الله على هواك ولا يضرك متى مُتّ.

۞ وقال بعض الصالحين خرجت يومًا إلى السوق ومعى جارية حبشية فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت: لا تبرحى حتى أنصرف إليك، قال: فانصرفت فلم أجدها فى الموضع، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى فقالت: يا مولاى لا تعجل علىَّ إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى فخفت

أن يُخسف بذلك الموضع! فعجبت لقولها وقلت لها: أنت حرة. فقالت لى: ساء ما صنعت... كنت أخدمك فيكون لى أجران، وأما الآن فقد ذهب عنى أحدهما.

۞ وقال الخوّاص: دخلنا على (رحلة) العابدة، وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى أُقعدت، وكانت تصلى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكّرناها شيئًا من العفو ليهون عليها الأمر، قال: فشهقت ثم قالت: علمى بنفسى قرح فؤادى وكلم كبدى والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئًا مذكورًا، ثم أقبلت على صلاتها.

۞ ۞ ۞

صيام العابدات الخاشعات

صوم السيدة المكرمة الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد ابن السيد سِبْط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما العلوية الحسنية

كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ وأكرمها بين الصالحات العوابد، زاهدة، تقية، نقية، تقوم الليل، وتصوم النهار حتى قيل لها: ترفَّقى بنفسك. لكثرة ما رأوا منها، فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟! حجَّت ثلاثين حجَّة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره»(١).

قال عنها ابن كثير: «كانت عابدة زاهدة كثيرة الخير»(٢).

«توفيت رَحِمَهَا ٱللَّهُ تعالى وهى صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن، هذا لا يكون. وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ (٣)(٤).

صوم رحلة العابدة مولاة معاوية

عن سعيد بن عبد العزيز قال: «ما بالشام ولا بالعراق أفضل من رحلة، ودخل عليها نفر من القراء، فكلموها فى الرِّفْق بنفسها فقالت: ما لى وللرفق بها! فإنما هى أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شىء، لم يدركه غدًا، والله يا إخوتاه لأصلين ما

(١) عودة الحجاب (٢/ ٦٠٧ – ٦٠٨).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٩– ٣٠٧).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٢).
(٤) مرآة الزمان (ص ٨٢).

أقلتنى جوارحى، ولأصومنَّ له أيام حياتى، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى. ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيُحِبّ أن يقصِّر فيه.

ولقد قامت رَحِمَهَاٱللَّهُ حتى أُقعدت، وصامت حتى اسودَّت وبكت حتى عمشتْ، وكانت تقول: علمى بنفسى قرَّح فؤادى، وكَلَم قلبى والله لَوَدِدْتُ أن الله لم يخْلُقنِي ولم أكُ شيئًا مذكورًا، وكانت رَحِمَهَاٱللَّهُ تخرج إلى الساحل، فتغسل ثياب المرابطين فى سبيل الله»[1].

صوم ميمونة بنت الأقرع

عابدة زاهدة، كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء، وأخبر المروزى فقال: «ذكرتُ لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع فقلت له: إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزال: إذا بعت هذا الغزل فقل: إنى ربما كنت صائمة فأرخى يدى فيه. ثم ذهبتْ ورجعتْ فقالت: رُد علىَّ الغزل، أخاف ألا تبين للناس هذا»[2].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٠، ٤١).

(٢) أعلام النساء لعمر رضا كحالة (٥/ ١٣٨) نقلًا عن طبقات الفقهاء الحنابلة للفراء مخطوط – نقلًا عن صلاح الأمة فى علو الهمة.



مع الذاكرات الله (جل وعلا)



فضائل الذكر في الكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

۞ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت**»[٥].

ورواه مسلم فقال: «**مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه، مثل الحي والميت**»[٦].

۞ وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»[٧].

۞ وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله العظيم**

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٥٢).

(٣) سورة الجمعة: الآية: (١٠).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٧) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٧٠٠).

وبحمده، غُرست له نخلة فى الجنة»[١].

۞ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أُسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[٢].

۞ وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»[٣].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال، يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون. فقال: «ألا أعلمكم شيئًا تدركون به مَن سبقكم، وتسبقون به مَن بعدكم. ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتحمدون وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين» قال أبو صالح الراوى عن أبى هريرة، لما سُئل عن كيفية ذكرهن، قال: يقول:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥)، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين[١].

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

۞ وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك**» فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**»[٢].

۞ ۞ ۞

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٣) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائي (١٣٠٣) كتاب السهو، وأحمد (٢١٦٢١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

ثمرات الذكر

وها أنا أسرد لكِ بعض ثمرات الذكر مختصرة:

١- أن الله يذكر من يذكره .
٢- يجعلك فى معية الله (جل وعلا).
٣- الفوز بمحبة الله (جل وعلا).
٤- الله يباهى بك الملائكة.
٥- الفوز برضوان الله (جل وعلا).
٦- صلاة الله وملائكته على أهل الذكر .
٧- سبب للفلاح فى الدنيا والآخرة.
٨- حرز من الشيطان.
٩- يطرد الشيطان.
١٠- أنه يحل عُقَد الشيطان .
١١- أنه يُزيل الهم والغم.
١٢- أنه بذكر الله تطمئن القلوب .
١٣- الذكر حياة القلوب والأبدان.
١٤- بالذكر تُغفر الذنوب.
١٥- أهل الذكر هم السابقون.
١٦- تَحفُّك الملائكة وتتنزل عليك السكينة .
١٧- بالذكر تُقبل الصلوات وتُستجاب الدعوات .
١٨- تُفتح أبواب السماء.
١٩- ترطيب اللسان.
٢٠- زيادة الإيمان.

٢١- الفوز بكنز من كنوز الجنة.

٢٢- من أسباب الثبات والنصر.

٢٣- ذكر الله يُسهل الصعب وييسر العسير .

٢٤- الذاكرة لا يُرد دعاؤها.

٢٥- يعصمك الله من الوقوع فى المعاصى .

٢٦- يدفع الله عنك العذاب .

٢٧- الذكر يعينك على أعباء الحياة ويعطيك القوة .

٢٨- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل للجهاد فى سبيل الله.

٢٩- الملائكة تبنى للذاكرة دورًا فى الجنة وتغرس لها نخلًا .

٣٠- أنه يجلب الرزق.

٣١- أنه سبب للفوز بحفظ الله.

٣٢- أنه سبب للنجاة من عذاب الله.

٣٣- أن تَسعد بك جليستك.

٣٤- أنه أمان من الحسرة يوم القيامة.

٣٥- أن دوام الذكر يوجب الأمان من نسيانه .

٣٦- علاج لقسوة القلب.

٣٧- أن الذكر نورٌ للذاكرة فى الدنيا والآخرة .

٣٨- أن الذكر يجعلك فى جنة الدنيا.

٣٩- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات .

٤٠- أنه سبب للأمان.

٤١- الملائكة تستغفر للذاكرة كما تستغفر للتائبة.

٤٢- الملائكة تتنافس على رفع الذكر.

٤٣- الذكر يحفظ عليك ولدك.

٤٤- الذكر يحفظ عليك جوارحك.

٤٥- الذكر يحفظ عليك طعامك.

٤٦- سبب لإنجاب الذرية.

٤٧- الذكر يُثقل الموازين.

٤٨- أهل الذكر فى ظل عرش الرحمن .

٤٩- الذاكرة تُرفع درجتها فى الجنة .

فاطمة بنت النبي ﷺ

عن أبى البخترى، قال: قال علىٌّ لأمه: اكفى فاطمة الخدمة خارجًا، وتكفيك هى العمل فى البيت، والعجن والخبز والطحن [(١)].

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تعانى من عمل البيت فاحتاجت إلى من يخدمها... فكانت تلك القصة المباركة التى كانت سببًا فى أن يُسدى النبى ﷺ نصيحته الغالية لراحة فاطمة رضي الله عنها ونساء الأمة من بعدها.

۞ عن على رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ لما زوَّج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف، ورحاءين، وسقاءين، قال: فقال علىٌّ لفاطمة يومًا: «لقد سنوت [(٢)] حتى اشتكيت صدرى، وقد جاء الله بسبيٍ، فاذهبى، فاستخدمى»، فقالت: «وأنا والله، قد طحنت حتى مجلت [(٣)] يداى».

فأتت النبى ﷺ فقال: «ما جاء بك أى بُنية؟» فقالت: «جئت لأُسلِّم عليك»، واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعًا فذكر له (على) حالهما، قال ﷺ: **«لا والله لا أعطيكما، وأَدعْ أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم»**، فرجعا، فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: **«مكانكما ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتمانى؟»** فقالا: «بلى»، فقال: **«كلمات علمنيهن جبريل: تُسبِّحان فى دُبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا**

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات [السير (٢/ ١٢٥)].

(٢) سنوت الدلو: إذا جررتها من البئر.

(٣) مجلت يدها: ثخن جلدها، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة.

وثلاثين»، قال على: «فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن»، قال له ابن الكواء: «ولا ليلة صِفِّين؟» فقال: «قاتلكم الله يا أهل الطروق ولا ليلة صفين»[1][2].

وفى رواية للبخارى: **«ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين. فهو خير لكما من خادم»**.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٧١) فضائل الصحابة – ومسلم (٢٧٢٧) الذكر والدعاء.

(٢) قال ابن حجر: قال الطبرى: (يؤخَذ من حديث على رضي الله عنه فى شكوى فاطمة أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز وطحن وغير ذلك، أن ذلك لا يلزم الزوج إذا كان معروفًا أن مثلها يلى ذلك بنفسه، ووجه الأخذ أن فاطمة لما سألت أباها الخادم فلم يأمر زوجها أن يكفيها ذلك إما بإخدامها بخادم أو باستئجار من يقوم بذلك، أو يتعاطى ذلك بنفسه، ولو كانت على الزوج لأمره به، كما أمره أن يسوق الصداق قبل الدخول) اهـ، [فتح البارى (٩/ ٥٠٦ – ٥٠٧)].

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

مَرَّ عليها رسول الله ﷺ وهى فى مُصلاها أول النهار، ثم مر عليها فى الظهيرة فوجدها جالسة خاشعة تُسبِّح ربها فقال لها: «**ما زلت على حالك؟**».

لقد مضى على حالها هذا وقت طويل، وهى خاشعة مُسبحة عابدة قانتة، عند ذلك أتحفها رسول الله ﷺ بخصوصية فى الذكر والدعاء والابتهال، أراد أن يعلمها تسبيحًا يليق بما رآه عليها من خشوع فى العبادة وإخلاص فيها فقال لها: «**ألا أعلمك كلمات تقولينهن: سبحان الله عدد خلقه**» ثلاث مرات، «**سبحان الله رضا نفسه**» ثلاث مرات، «**سبحان الله زنة عرشه**» ثلاث مرات، «**سبحان الله مداد كلماته**» ثلاث مرات.

هنيئًا لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها هذه الأقوال الطيبة التى منحها إياها رسول الله ﷺ.

وتقول جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أتى علىَّ رسول الله ﷺ فقال: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[١].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء.

أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لقد كانت أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحب أن تسأل عن أعمال الخير، فتقول: دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كنت أصلى صلاة ثقلت عنها، فدُلَّنى على عمل أعمله يأجرنى الله عليه وأنا قاعدة.

۞ وفى رواية أخرى:

قلت: يا رسول الله إنى قد كبرت، فمُرنى بعمل أعمله يأجرنى الله عليه وأنا جالسة فقال ﷺ: **«يا أم هانئ، إذا أصبحتِ سبِّحى الله، وهلليه مائة، واحمديه مائة، وكبِّريه مائة، فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة، ومائة تكبيرة كمائة بدنة تهدينها، ومائة تهليلة لا تُبقى ذنبًا قبلها ولا بعدها»** (١).

۞ وفى رواية أخرى:

«سبِّحى الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل، واحمدى الله مائة تحميده، فإنها تعدل مائة فرس مُسرجة مُلجمة تحملين عليها فى سبيل الله، وكبِّرى الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل مائة بدنة متقبلة، وهللى الله مائة تهليلة، فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفع لأحد عمل أفضل منها إلا أن يأتى بمثل ما أتيت» (٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٧٩٠) بإسناد صحيح (١٨/ ٣٦٣)، ورواه ابن ماجه برقم (٣٨١٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٩٢): حسن.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦٧٩٠) بإسناد صحيح (١٨/ ٣٦٣)، ورواه ابن ماجه برقم (٣٨١٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٩٢): حسن.

معاذة بنت عبد الله رَحِمَهَاٱللَّهُ

۞ كانت معاذةُ قد وهبت نفسها للعبادة والصَّلاة، فلا تكاد تخلو إلى نفسها إلا وهى على موعدٍ مع الصَّلاة، فقد كانت تحيى الليل كله بالصلاة والذكر والتسبيح، وكانت تصلى فى كل يوم وليلة ستمائة ركعة، وتقرأُ من القرآن كلّ ليلة [١]، فإذا جاء النَّهار قالت:

هذا يومى الذى أموتُ فيه. فما تنام.

فإذا جاء الليل قالت:

هذه ليلتى التى أموتُ فيها، فلا تنام حتى تصبح؛ فإذا غلبها النَّوم، قامت فجالت فى الدار تعاتبُ نفسها، ثم لا تزال تدور إلى الصَّباح تخاف الموت على غَفلة ونوم.

۞ وكانت إذا هجم الشِّتاء ببردِهِ على النَّاس، تعمد معاذة إلى لبس الثِّياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم، ولا تتكاسل عن العبادة والمناجاة، وكان إلى جانبها زوجها يجتهد فى عبادته أيضًا حتى ضُرب المثل بهما.

قال أبو السّوار العدوى: بنو عدّى أشد أهل هذه البلدة – البصرة – اجتهادًا، هذا أبو الصهباء لا ينام ليله ولا يفطر نهاره، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السَّماء أربعين عامًا [٢].

۞ ۞ ۞

(١) وصف الله ﷻ الصَّالحات فقال: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، فالقانتات: هن الطائعات.

والحافظات للغيب: أي اللاتي يحفظن غيبة أزواجهن، فلا يَخُنَّه في نفس أو مال، وهذا أسمى ما تكون عليه المرأة،... وكانت معاذة العدوية من هذا الصنف رَحِمَهَاٱللَّهُ.

(٢) نساء من عصر التابعين (ص ١٨٤ – ١٨٥).

أم الدرداء الصغرى رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ كانت أوقاتُ أمِّ الدرداء رَحِمَهَا ٱللَّهُ كلُّها معمورة بالطَّاعة والعلم والعبادة، وكان بيتها موئلًا لكل متبتلٍ أوَّاب، وكل فقيه مجتهد، وكل امرأة عابدة، وكان كثير من العُباد والزهاد يأتونها ليأخذوا عنها العلم والحديث ويذكروا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

۞ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: كان الرِّجال يقرءون عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامعِ دمشق [1].

۞ وهذا أحدُ علماء التَّابعين الثِّقات وهو عون بن عبد الله يقول: كنَّا نأتي أمَّ الدرداء فنذكر الله عندها.

۞ أمَّا النساء فكنَّ يصرفن أوقاتهنَّ عند أمِّ الدَّرداء بالذكر والصلاة.

قال يونس بن ميسرة: كن – النساء – يتعبدن مع أم الدرداء يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام.

۞ وواصلت أم الدَّرداء عبادتها بالصلاة والذكر، فلم تكن تُرى إلا وهي ساجدة قانتة ... وعن مواصلتها للصلاة يقول ميمون بن مهران: ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتُها مصلية.

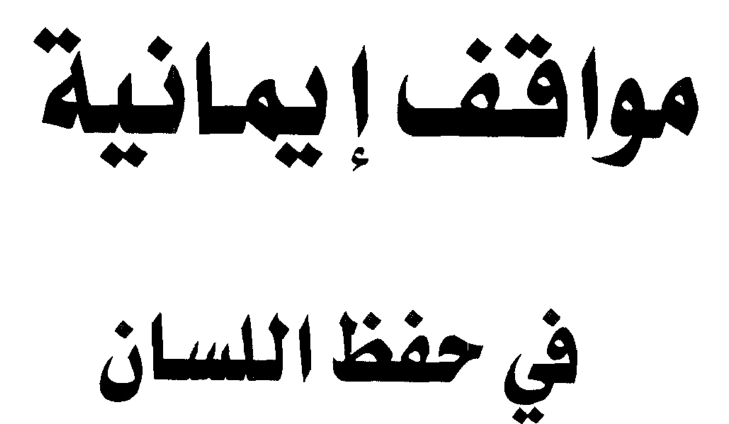
ووصف الإمام مكحول الشَّامي صلاتها فقال: كانت أمُّ الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرَّجل وكانت فقيهة.

۞ وكانت أمُّ الدرداء رَحِمَهَا ٱللَّهُ كلَّما زادت في العبادة والزهد، ازدادت تواضعًا وتُقى... روى هذا إبراهيم بن أبي عبلة قال: قُلت لأم الدرداء: ادعي لنا. قالت: أو بلغتُ أنا ذلك؟! ترى أنَّها ليست أهلًا لهذا– [2].

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ٥٠).

(٢) نساء من عصر التابعين (ص ٢٣٤ – ٢٣٥).



مواقف إيمانية

في حفظ اللسان



حفظ اللسان

سُئل رسول الله ﷺ: «أى الإسلام أفضل؟». قال: **«مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده»**[١].

۞ بل لقد أخبر النبى ﷺ أن العبد قد يقول كلمة فتهوى به فى جهنم.. وقد يقول كلمة يرفعه الله بها فى الجنة درجات.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقى لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقى لها بالًا، يهوى بها فى جهنم»**[٢].

۞ وحسبُنا أن نعلم أن النبى ﷺ قد ضمن الجنة لمن صان لسانه وفرجه،... فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يضمن لى ما بين لحييه[٣] وما بين رجليه[٤] أضمن له الجنة»**[٥].

۞ فعلى المسلم أن يفكر جيدًا قبل أن يتكلم بأى كلمة فإن السلامة لا يعدلها شىء.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه»**[٦].

وقال ﷺ: **«إذا سبَّكَ رجلٌ بما يعلمُ منكَ، فلا تسبَّهُ بما تعلمُ منهُ، فيكون أجرُ ذلك لكَ ووبالُهُ عليه»**[٧].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٢) كتاب الإيمان.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.
(٣) هو اللسان. واللحيان: العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان.
(٤) هو الفرج.
(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.
(٦) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩١١).
(٧) صحيح: رواه ابن منيع وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٤).

ولذلك وضَّح النبى ﷺ خطورة اللسان فقال:

«إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإنَّ الأعضاءَ كلها تُكفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ: اتَّقِ الله فينا، فإنما نحنُ بكَ، فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[1].

خطورة الغيبة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4].

اعلم أنه ينبغى لكل مُكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير فى العادة، والسلامة لا يعدلها شىء.

۞ وعن أبى بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يوم النحر بمنى فى حجة الوداع: «إن دماءكم، وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت»[5].

۞ وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم

---

(١) رواه الترمذى وابن خزيمة، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١).
تُكفِّر اللسان: أى: تذل وتخضع.

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٤) سورة ق: الآية: (١٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٥٠) كتاب الأضاحى، ومسلم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.

حرام: دمه وعرضه وماله»[١].

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن قال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه في جوف بيته»**[٢].

۞ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»**[٣].

المغتابة والمستمعة للغيبة وزرهما سواء

واعلمي أيتها الأخت الفاضلة أن التي تستمع للغيبة وزرها مثل وزر المغتابة.

والدليل على ذلك أنه في قصة توبة ماعز الأسلمي رضي الله عنه جاء في بعض الروايات أنه لما رجم رسول الله ﷺ «ماعزًا» في الزنا قال رجل لصاحبه: هذا رُجم رَجم الكلب فمر رسول الله ﷺ وهما معه بجيفة فقال: **«انهشا منها»** فقالا: ننهش جيفة؟! فقال: **«ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»**[٤].

۞ والشاهد هو قول النبي ﷺ: **«ما أصبتما»** فحكم على المستمع أنه إن لم يدفع الغيبة عن أخيه فهو والمغتاب في الوزر سواء.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤/ ٤٨٧٨) كتاب الأدب، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢١٣) والصحيحة (٥٣٣) و«صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٤/ ١٤٨)، والنسائي بسندٍ جيد وأصله في صحيح مسلم.

نصرة المسلمة بظهر الغيب

۞ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نصر أخاه بظهر الغيب، نصرهُ الله فى الدنيا والآخرة**»[١].

۞ وعن جابر وأبى طلحة الأنصارى رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئ يخذُلُ مسلمًا فى موطن يُنتقصُ فيه من عِرضه، ويُنتهكُ فيه من حُرمته، إلا خذلهُ الله تعالى فى موطن يحبُّ فيه نُصرته، وما من أحدٍ ينصُرُ مسلمًا فى موطن يُنتقصُ فيه من عرضه، وتنتهكُ فيه من حُرمته، إلا نصره الله فى موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتهُ**»[٢].

۞ وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا النبى ﷺ بسبعٍ، ونهانا عن سبعٍ فذكر: «**عيادة المريض، واتباع الجنائز وتشميت العاطس، وردّ السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعى، وإبرار المقسم**»[٣].

---

(١) حسن: رواه البيهقى فى السنن والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٧٤).

(٢) حسن: رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٠٦٦) كتاب اللباس.

الذبُّ عن عِرض أختك المسلمة

❁ قال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[١].

❁ عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَن ذَبَّ عن عِرض أخيه بالغيبة، كان حقًّا على الله أن يُعتقه من النار»**[٢].

❁ وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن رَدَّ عن عِرض أخيه، كان له حجابًا من النار»**[٣].

❁ وعنه رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَن ذَبَّ عن عِرض أخيه، رَدَّ الله عنه عذاب النار يوم القيامة»**[٤].

---

(١) سورة النور: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٤٠).

(٣) صحيح: رواه البيهقى فى السنن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٦٣).

(٤) صحيح: رواه الترمذى وابن أبى الدنيا وأبو الشيخ فى كتاب التوبيخ، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٤٨).

موقفٌ عظيم لأبي أيوب الأنصاري وزوجته

وكان لأبى أيوب موقف جليل فى حادثة الإفك التى تولى كِبرها رأس المنافقين عبد الله بن أُبى ابن سلول ... فلقد خاض كثير من المسلمين فى تلك الحادثة وهلك بسببها من هلك وإذا بأبى أيوب يقف موقف المؤمن الصادق صاحب القلب التقى النقى الذى لا يظن بالناس إلا خيرًا فكيف بأم المؤمنين الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سماوات.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير فى هذه الآية: نزلت فى أبى أيوب الأنصارى وامرأته رضي الله عنهما، فإن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، فذلك قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، كما قال أبو أيوب وصاحبته[٢].

---

(١) سورة النور: الآية (١٢).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٦).

درسٌ عظيم في حفظ اللسان

كان الحبيب ﷺ لا يجامل أحدًا فى دين الله (جل وعلا) بل كان لا تمنعه محبته لأى شخص من أن يكون منصفًا.

وها هى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لرسول الله ﷺ مشيرة إلى قِصر أم المؤمنين صفية بنت حُيى رضي الله عنها .. حسبُك من صفية هكذا (تعنى أنها قصيرة) فماذا قال رسول الله ﷺ لعائشة أحب امرأة إليه؟! قال عليه الصلاة والسلام: «**لقد قُلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»[1].

فمع محبته لها عليه الصلاة والسلام لم يتركها تخوض فى عرض أختها المسلمة وتغتابها وتأكل من لحم أختها.

۞ ولقد استفادت أمنا عائشة رضي الله عنها من هذا الدرس جيدًا فلم تذكر أحدًا بسوء حتى آخر لحظة من حياتها.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرج الترمذى بإسنادٍ صحيح (٢٥٠٢) عن عائشة.

موقف عظيم لأمنا زينب بنت جحش رضي الله عنها

لما كانت حادثة (الإفك) التى كادت أن تعصف بقلب أمنا عائشة رضي الله عنها وإذا بأمنا زينب رضي الله عنها تقف موقفًا عظيمًا جعلها تحتل مكانًا عاليًا فى قلب أمنا عائشة رضي الله عنها

❁ **ففى الحديث الذى رواه البخارى فى حادثة الإفك وفيه:**

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يسْأَلُ زَينَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِى، فَقَالَ: «**يا زَينَبُ مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيتِ؟**» فَقَالَتْ: يا رَسُولَ اللهِ أَحْمِى سَمْعِى وَبَصَرِى، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيرًا، قَالَتْ: وَهِى الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ[1].

وفى الحديث الذى رواه مسلم - فى جزء من حديث- قالت عائشة رضي الله عنها: «...فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِى ﷺ زَينَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِى ﷺ، وَهِى الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْهُنَّ فِى الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَينَبَ. وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيئَةَ»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٤٢) كتاب فضائل الصحابة.

موقف عجيب

❁ **أختي الفاضلة:**

تأملى هذا الموقف الذى يدل على خطر اللسان، وهذا الموقف قد حدث فى عهد الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ:

كانت امرأة مُغسلة تغسل امرأة ميتة، وبينما هى تصب الماء عليها، إذ بها وهى تمرر يدها عليها تقول: «كثيرًا ما زنى هذا الفرج». فماذا حدث؟

لقد التصقت يد المرأة المغسلة بجسد المرأة الميتة، وكأن بينه وبين يد المرأة مغناطيسية شديدة الجذب.

فماذا تفعل المرأة المغسلة؟ وماذا يفعل من حولها؟ إنهم يريدون أن يدفنوا الميتة، فما كان منهم إلا أن قاموا باستشارة العلماء، فمن قائل: نقطع يد المغسلة؛ لأن حُرمة الميت كحرمة الحى، ومن قائل نقطع شيئًا من جسد الميتة فالحى أولى من الميت... واضطربت الآراء، لكنهم قالوا: كيف نفتى وإمامنا مالك بين أظهرنا؟!

ثم ذهبوا إلى الإمام مالك، فقال لهم: قولوا للمغسلة: ماذا قلتِ فى حق الميتة؟

فقالت المغسلة: قلت كثيرًا ما زنى هذا الفرج!

فقال الإمام: هذا قَذْفٌ وأرى أن تجلدوا المرأة المغسلة ثمانين جلدة من وراء حجاب... وبالفعل جلدوا المغسلة.. فانفصمت يدها عن جسد المغسلة.

❁ فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظ ألسنتنا وأن يجعلنا ممن لا ينطقون كلمة إلا فيما يُرضيه (سبحانه وتعالى) وأن يحفظنا من الغيبة والنميمة والقذف والبهتان والكذب وشهادة الزور وسائر الآفات.



مواقف إيمانية

فى الورع والبعد عن الحرام



هكذا كانت المرأة المسلمة

لقد كانت المرأة من نساء سلفنا الصالح حريصة كل الحرص على أن تأكل اللقمة الحلال وأن تبتعد كل البعد عن اللقمة الحرام.

فكانت الواحدة من نساء السلف تقول لزوجها عندما يخرج فى الصباح إلى العمل: يا زوجى اتقِ الله فينا ولا تُطعمنا إلا من الحلال فإنَّا نصبر على الجوع والعطش، ولا نصبر على نار جهنم.

❀ ❀ ❀

امرأة تُعلِّم الرجال الورع

قال بِشْر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ:

تعلمت الورع من أختى، فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل:

كنت مع أبى يومًا من الأيام فى المنزل. فدقَّ داقٌّ الباب، فقال لى: اخرج فانظر من بالباب؟

فخرجت فإذا امرأة قالت لى: استأذن لى على أبى عبد الله -يعنى أباه- قال: فاستاذنته فقال: أدخلها.

قال: فدخلت فجلست، فسلمت عليه، فقالت له: يا أبا عبد الله أنا امرأة اغزل بالليل فى السراج، فربما طُفِئ السراج فأغزل فى القمر، فعلىَّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟

فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق، فعليك أن تبينى ذلك.

فقالت: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟

قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء إلى الله.

قال عبد الله: فودعته وخرجت.

قال: فقال لى: يا بنى، ما سمعت قط إنسانًا يسأل عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة، فانظر أين تدخل؟

قال: فتبعتها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، فإذا هى أخته.

فقال: فرجعت، فقلت له ...فقال الإمام: محالٌ أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر بن الحارث[1].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى.

كان النبى ﷺ مثالاً فى الورع

لقد كان النبى ﷺ أسوة وقدوة ومثالًا يقتدى به فى الورع.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن على رضي الله عنهما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه، فقال له النبى ﷺ بالفارسية: «**كِخْ كِخْ**[١]**، أما تعرف أنَّا لا نأكل الصدقة**»[٢].

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**»[٣].

النبى ﷺ يحض الأمة على الورع

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على الورع فيقول ﷺ: «**فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة وخير دينكم الورع**»[٤].

۞ عن الحسن بن على رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**»[٥].

۞ عن النواس بن سمعان الأنصارى رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع**

---

(١) كخ كخ: كلمة زجر للصبى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٩١) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٣٣) كتاب فى اللقطة، ومسلم (١٠٧١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه البزار فى مسنده (٧/ ٣٧١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ١٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٨١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٧٨).

عليه الناس»[1].

۞ عن طريف أبى تميمة قال: «شهدت صفوان وجُندبًا وأصحابه وهو يوصيهم فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: سمعته يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة»، قال: «ومن شاقَّ شاقَّ الله عليه يوم القيامة»، فقالوا: أوصنا، فقال: «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبًا فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كف من دم هراقه فليفعل»[2].

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس»[3].

۞ وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده، لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ثم يأتى به يحمله على ظهره، فيبيعه فيأكل خير له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ ترابًا فيجعله فى فيه خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله عليه»[4].

۞ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة فى طعمة»[5].

۞ وقال ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧١٥٢) كتاب الأحكام.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٧٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٢) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٧٤٣٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٧٤٨٢).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٣٣).

حمى، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»(١).

۞ وقال ﷺ: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»(٢).

ثمرة الورع فى الأمم السابقة

إن العبد يجنى ثمرة الورع فى الدنيا والآخرة .. ولذا أخبرنا النبى ﷺ عن ثمرة الورع من خلال قصة من قصص بنى إسرائيل التى حدثت فعلًا وعلمها النبى ﷺ بالوحى فقال ﷺ: «**اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب، فقال الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقوا**»(٣).

۞ ۞ ۞

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى مسند الشاميين (١/ ٢١٥)، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٨٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٢١) كتاب الأقضية.

ورع أبى بكر الصديق رضي الله عنه

وها هى صفحة ناصعة من ورع صديق الأمة الأكبر رضي الله عنه ....

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشىء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال: أبو بكر وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه»(١).

ورع الفاروق عمر رضي الله عنه

وها هو الفاروق رضي الله عنه يسطر على جبين التاريخ صفحات مضيئة تتألق روعة وجمالًا وإجلالًا من الورع.

وإليكم جميعًا تلك المشاهد التى يعجز القلم عن وصفها أو حتى عن مجرد التعليق عليها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتريت إبلًا وسقتها إلى الحِمى، فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق، فرأى إبلًا سمانًا فقال: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بخٍ بخٍ.. ابن أمير المؤمنين! فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل أنضاء -هزيلة- اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون، فقال عمر: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر!

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢) كتاب المناقب.

خذ رأس مالك، واجعل الربح فى بيت مال المسلمين[١].

وعن مجاهد قال: أنفق عمر بن الخطاب فى حجة حجها ثمانين درهمًا من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف، ويضرب بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا فى مال الله تعالى[٢].

وعن قتادة قال: لما ورد عمر الشام، صُنع له طعام لم ير قبله مثله فلما أوتى به قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقت عيناه، فقال: إن كان حظنا فى هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بونًا بعيدًا.

وعن البراء بن معرور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يومًا حتى أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنُعت له العسل - وصفوه له - وفى بيت المال عُكة عسل فقال: إن أذنتم لى فيها أخذتها، وإلا فهى علىَّ حرام[٣].

❁ ❁ ❁

(١) أخبار عمر رضي الله عنه (ص: ٢٩٢).

(٢) أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة (٤/ ١٦١) بسند صحيح.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٠٩).

خطورة أكل الحرام

ومن المخالفات التى انتشرت بين بعض الناس أكل الحرام وعدم تحرى اللقمة الحلال... وتلك مصيبة كبيرة سببها الأول ضعف الوازع الدينى وضعف المراقبة... لأن صاحب القلب الحى يحرص كل الحرص على أن يأكل حلالًا... أما صاحب القلب المريض فلا يشغله أن يأكل من حلالٍ أم من حرام.

۞ وهذا ما أخبر عنه النبى ﷺ.

قال ﷺ: «**يأتى على الناس زمان ما يبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلالٍ أو حرامٍ؟**»(١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرُ من الناس، فَمَن اتَّقى الشُبُهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشُبهات، وقع فى الحرامِ....**»(٢).

۞ ولابد أن نعلم أن أكل الحرام يمنع من قبول الدعاء.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله تعالى طَيبُ لا يقبلُ إلا طيبًا، وإن الله تعالى أَمَر المؤمنين بما أَمَر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾**(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٤)**. ثم ذَكَرَ الرجل يطيلِ السَّفَر أشْعَثَ أغبر يمُد يدَيه إلى السّماء يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّى**

(١) صحيح: رواه النسائى (٤٤٥٤) عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٨٠٠٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) سورة المؤمنون:٥١.

(٤) سورة البقرة:١٧٢.

بالحرام، فأنَّى يستْجاب لذلك؟»[١].

۞ قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أَمْ أَبَى عَلِمَ أَوْ لَمْ يعْلم، ومن كانت طُعْمته حلالًا أطاعته جوارحه وَوُفِّقَتْ للخيرات».

۞ بل إن أكل الحرام من أسباب دخول النار - أعاذنا الله وإياكم منها:

سئُل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخلُ الناس النار؟.

قال: «**الفم، والفرْج**».

وسئُل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟

قال: «**تقوى الله، وحُسن الخُلُق**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ إلا كانتِ النَّارُ أَوْلَى به**»[٣].

۞ وتأملي معى كيف كان ورع أصحاب النبى ﷺ وعلى رأسهم (الصدِّيق) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان لأبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غلام يخرج له الخَراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشىء، فأكل منه أبو بكر... فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟... فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك. هذا الذى أكلت منه... فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٧٨٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٦١٤)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢) كتاب المناقب.

۞ قال عبد الله بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ:

«خرجتُ مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق، فانحدر عليه رَاعٍ من الجبل فقال له:

يا راعى بِعْنى شاةً من هذه الغنم.

فقال: إنِّى مملوك.

فقال عمر: قل لسيدك أكلها الذئب[١]؟.

قال: فأين الله؟.

فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه قال: أعْتقتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة»[٢].

۞ يقول الإمام ابن القيم: ما أخذ العبد ما حُرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربِّه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالًا.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك، وأن مَنْ ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلب شهوتُه صبرَه، وهواهُ عقلَه.

فالأول من ضعف علمه، والثانى من ضعف عقله وبصيرته[٣].

فيجب على كل مسلم أن يتقى الله فى نفسه وفى زوجته وأولاده فلا يطعمهم إلا حلالًا... ولقد كانت المرأة من سلفنا الصالح تقول لزوجها إذا أراد الخروج فى الصباح: اتق الله فينا ولا تُطعمنا حرامًا فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم[٤].

۞ ۞ ۞

---

(١) يختبره بذلك.

(٢) الإحياء (٤/ ٣٩٨).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٧٣).

(٤) مخالفات يقع فيها الرجال/ للمصنف (ص: ١٨).

أسباب الرزق الحلال [١]

وإذا كنا نُحذر إخواننا المسلمين من أكل الحرام فلابد أن نذكر لهم أسباب الرزق الحلال.

ولابد أن نعلم أولًا أن الحصول على الرزق الحلال يحتاج إلى إعانة وتوفيق من الله (جل وعلا).

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأسباب التى جعلها الله سببًا للحصول على الرزق الحلال، بل ولزيادة الرزق الحلال، بل وللبركة فى هذا الرزق.

١- الإيمان والتقوى :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [٢].

قال الإمام الرازى: بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشى والأنعام وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجرى مجرى الأب، والأرض تجرى مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره» [٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [٤]

قال الحافظ ابن كثير: «أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من جهة لا تخطر بباله» [٥].

---

(١) بتصرف من كتابى (أسباب الرزق الحلال).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) التفسير الكبير (١٢/ ١٨٥) - تفسير الخازن (٢/ ٢٦٦).

(٤) سورة الطلاق: الآيتان: (٢-٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٠).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أكبر آية في القرآن فرجًا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[1].

٢- إقامة شرع الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾[2].

فإقامة شرع الله فى أرضه سبب للرخاء وسعة الرزق.

ولذا فإنى أقول لك أيها الأخ الكريم: حَكِّم شرع الله فى نفسك وفى بيتك وستجد رزقك تحت رجليك يأتيك فى يُسرٍ وسهولة.

٣- التفرغ لعبادة الله (جل وعلا):

وليس معنى التفرغ للعبادة أن يترك الإنسان السعى على العمل ويجلس للعبادة ويقول: إن الله سيبعث الرزق إلىَّ!!!

ولكن المقصود أن يسعى الإنسان على الرزق، ولكن قلبه يكون متعلقًا بربه فى كل لحظة من عمره.. وإذا كان فى العبادة فلابد أن يكون خاضعًا وخاشعًا لله تعالى، بل ومستحضرًا لعظمة الرب جل جلاله ممتثلًا قول النبى ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «**يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسُدَّ فقرك**»[4].

❁ **ولذا قال الإمام ابن القيم:**

فرِّغ خاطرَك للهمِّ بما أُمِرْتَ به، ولا تشغله بما ضُمِنَ لك؛ فإن الرزق

---

(١) تفسير ابن مسعود (٢/ ٦٥١).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩١٤).

والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سَدَّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمَّل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم من طريق واحد وهو السُّرّة، فلمّا خرج من بطن الأم وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمَّت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طرقًا ثمانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخِر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًّا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنَّى له بذلك؟! لَعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه.

فـ ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾[١] ﴿فَأَبَىٰ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾[٢] والله المستعان[٣].

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص:٨٧ : ٨٨) ط . دار الخانى.

٤- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[(١)].

فمن استقام على الطاعة فإن الله ييسر له أسباب الرزق ويملأ قلبه رضًا بما يأتيه من الرزق، سواءً كان قليلًا أم كثيرًا.

٥- التوكل:

التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[(٣)].

ففى هذا الحديث لطيفة: أن كل الحيوانات والهوام يدخرون الطعام إلا الطيور، فهى لا تدخر شيئًا، فإذا أصبحت سَّبحت بحمد ربها وخرجت متوكلة عليه ثم ترجع برزقها ورزق أولادها.

٦- الاستغفار والتوبة:

ولقد شرع الله لنا الاستغفار هنا؛ لأننا إذا قصَّرنا فى أسباب الرزق؛ فإن الاستغفار يجبر هذا التقصير.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[(٤)].

---

(١) سورة الجن: الآية: (١٦).

(٢) سورة الطلاق: الآية (٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٤) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

قال الشعبى: خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُستنزل بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

٧- صلة الرحم :

قال ﷺ: «**من أحب أن يُبسَط له فى رزقه، وأن يُنسأ له فى أثره فليصل رحمه**»[١].

وفى رواية: «**من سره أن يُعظم الله رزقه، وأن يمدَّ فى أجله فليصل رحمه**»[٢].

بل لقد بلغت بركة صلة الرحم فى تكثير الأموال ونمائها وزيادتها حتى وإن كان أصحاب البيت فُجَّارًا لا يطيعون ربهم (ولكنهم يصلون الرحم).

قال ﷺ: «**إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم حتى إن أهل بيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيتٍ يتواصلون فيحتاجون**»[٣].

٨- الصلاة :

قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤].

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢١٧٨) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩١).

(٣) حسن لغيره: رواه ابن حبان (٢/ ١٨٢ ، رقم ٤٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٧)، وقال: حسن لغيره.

(٤) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٣٧).

وإذا كان الله ﷻ يرزق أهل الفساد والمعاصى، فهل يمنع رزقه عن أهل الإيمان والتقوى الذين يسجدون لله ليلًا ونهارًا؟

٩- الشكر:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١].

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خَبثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[٢].

يقول الشيخ أبو الحسن السندى: «اجعلوا أحدهما تابعًا للآخر واقعًا على عقبه، أى إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا فإنهما متتابعان»[٣].

وقال الإمام الطيبى فى شرح قوله ﷺ: «فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»: إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال.

١١- الهجرة فى سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[٥].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٨١٠) كتاب الحج، والنسائى (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٣) فيض القدير للمناوى (٣/ ٢٢٥) - حاشية السندى على سنن النسائى (٥/ ١١٥).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٥) سورة الحج: الآيتان: (٥٨-٥٩).

فإن كان النبى ﷺ قال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية....**»[١].

إلا أن هناك هجرة أخرى شرعها الله لمن كان يعيش فى مجتمع فاسد يبارز الله بالذنوب والمعاصى.. وهذا هو الذى فعله الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا، بل ويفعله كل مؤمن لا يتمكن من عبادة ربه - عز وجل - فعليه أن يترك أرضه ويعيش فى مكان يستطيع أن يعبد ربه فيه ويأمن على نفسه فيه من الفتن.

۞ وهناك هجرة ثالثة لا تنتهى أبدًا إلى قيام الساعة: وهى هجرة الذنوب والمعاصى... فقد قال النبى ﷺ: «**....والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[٢].

١٢- الجهاد فى سبيل الله :

إن الله تعالى حَرَّم الغنائم على الأمم من قبلنا ثم أحلها لنا فقال: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

قال ﷺ: «**ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم - : المجاهد فى سبيل الله....**»[٤].

وقال ﷺ: «**جُعل رزقى تحت ظل رمحى وجُعل الذلة والصَّغار على من خالف أمرى**»[٥].

١٣- الزواج :

إن الزواج سبب عظيم من أسباب الرزق، وذلك لأن الله حرّم الفواحش

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الحج.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٠) كتاب الإيمان.

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٦٩).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٣١).

وحضَّ على المكارم... ولذلك فإنه حرَّم الزنا وأحلَّ النكاح.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ولذا قال ﷺ: «**ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف**»(٢).

١٤- الدعاء:

إن الدعاء من أهم أسباب الرزق؛ لأن المؤمن عندما يدعو ربه أن يرزقه فهو ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣).

وقال ﷺ: «**إن ربى حَيِىٌّ كريم يستحى أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صِفرًا**»(٤).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «**.... يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أُطعمكم، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أَكْسُكم....** »(٥).

فتوجه إلى الله واسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقك وأن يوسع عليك بما ينفعك فى دينك ودنياك.

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٣) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

١٥- الصدقة :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[١] .

وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[٢] .

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ أقسِمُ عليهنَّ: ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقة....**»[٣] .

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «**أنفِق يا ابن آدم أُنفِق عليك**»[٤] .

١٦- الإنفاق على طلبة العلم الشرعى :

لقد ذكر الله ﷻ المصارف الشرعية للزكاة فى سورة التوبة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٥]، فكان من أولهم (الفقراء)... فإذا كان الفقير طالب علم مجتهد، فهذا أحقّ الناس بالصدقة؛ لأنه واقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام.

- ومما يدل على أن الإنفاق على طلبة العلم من أسباب الرزق أنه: «كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ - أى لطلب العلم - والآخر يحترف - يشتغل بحرفة - فشكا المحترف أخاه إلى النبى ﷺ فقال: «**لعلك تُرزق به**»[٦] .

---

(١) سورة الليل: الآيات: (٥: ٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٥) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٨٤).

- فيوضح له النبي ﷺ أنه لا ينبغي له أن يَمُنَّ على أخيه، فلربما يأتيه الرزق بسبب إنفاقه على أخيه الذي تفرغ لطلب العلم الشرعي.

١٧- الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ موضحًا أن الإحسان إلى الضعفاء من أسباب الرزق: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟**» (١).

وفي رواية: «**هل تُنصرون إلا بضعفائكم بدعوتهم وإخلاصهم؟**» (٢).

ومن بين الضعفاء الذين يكرمنا الله ويرزقنا إذا أحسنَّا إليهم: اليتامى والنساء.

فقد قال ﷺ: «**إني أُحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**» (٣).

١٨- السعي والأخذ بالأسباب:

إننا إذا كنا نتحدث عن أسباب الرزق فليس معنى ذلك أن نترك السعي والأخذ بالأسباب.. فالأصل أننا نجمع بين هذين الأمرين... السعي والأخذ بأسباب الرزق.

ولذا قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٤).

وقال ﷺ: «**إن داود النبي كان لا يأكل إلا من عمل يده**» (٥).

وكان الحبيب ﷺ يرعى الغنم قبل البعثة، بل وكان يخرج في تجارة خديجة رضي الله عنها.. وهكذا فالأصل هو السعي والأخذ بالأسباب شريطة أن يكون القلب متعلقًا بالله جل وعلا.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠٣٤).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٤٧).

(٤) سورة الملك: الآية: (١٥).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٠٧٣) كتاب البيوع.

مواقف إيمانية

في التوبة إلى الله (جل وعلا)



فوائد وثمرات التوبة

إن فوائد التوبة يا أختاه لا نستطيع أن نكتبها أو أن نحيط بها، لكن حسبنا أن نستشعر أن التوبة:

١- سبب لمحبة الله (جل وعلا):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

٢- سبب للخروج من دائرة الظالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢].

٣- طاعة لأمر الله:

فقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

٤- سبب لمحو الذنوب:

قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٤].

٥- سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٣) سورة النور: الآية: (٣١).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٥) سورة القصص: الآية: (٦٧).

(٦) سورة مريم: الآية: (٦٠).

٦- تبديل السيئات إلى حسنات:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

٧- سبب في سعة الرزق والقوة:

قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(٢).

٨- تجعل العبد يهرب من العذاب والوحشة إلى الأنس والرحمة:

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٣).

٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة:

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(٤).

١٠- تطهر قلب التائب:

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِن هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ على قَلْبِهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِى ذَكَرَ اللهُ تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٥)»(٦).

❁ ❁ ❁

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٢) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٣) سورة الذاريات: الآية: (٥٠).

(٤) سورة هود: الآية: (٣).

(٥) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٦) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

شروط التوبة

إن للتوبة شروطًا يجب أن نتعرف عليها لكى تَحسُن توبتنا:

١- الإقلاع عن الذنوب:

فإنه والله تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب ... ولذلك يجب على التائب أن يترك المعصية فور توبته إلى الله (جل وعلا).

٢- الندم على فعل تلك الذنوب:

إن الندم توبة ... والعبد إذا لم يندم على ما فعل من المعاصى كان ذلك دليلًا على رضاه بفعلها، وهذا كله يقدح فى توبة العبد.

٣- العزم على أن لا يعود إليها أبدًا:

وينبغى على التائب أن يعزم على أن لا يعود إلى مقارفة الذنوب مرة أخرى ... ولكنه إن فعل ذلك ثم عاد إلى نفس الذنب أو إلى غيره من الذنوب فإن توبته عن الذنب الماضى صحيحة ويلزمه أن يتوب من الذنوب التى وقع فيها بعد ذلك.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: **«أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَى رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تبارك وتعالى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَى رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيفعَلْ مَا شَاء»**(١). وقوله تعالى: **«فَلْيفعَلْ مَا شَاء»**. أى: ما دام يفعل هكذا، يذنب ويتوبُ أغفرُ له، فإن التوبة تهدمُ ما قبلها.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

يقول الإمام النووى رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما أورد هذا الحديث وغيره: وهذه الأحاديث ظاهرة فى الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب فى كل مرة قُبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحَّت توبته. اهـ.[1]

٤- الإخلاص في التوبة:

وذلك بأن يتوب العبد ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا) ... لا للخوف من أى مخلوق أو لأنه عاجز عن فعل المعصية أو لأنه يخشى على سمعته وجاهه، أو لأى حظٍّ دنيوى.

٥- التحلل من المظالم:

قال ﷺ: «من كان لأخيه عنده مظلمة من مالٍ أو عِرضٍ فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»[2].

فيجب على كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَرُدَّ المظالم إلى أصحابها من قبل أن يجد نفسه يوم القيامة مفلسًا من الحسنات ... فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئات مَن ظلمهم فتُطرح عليه ثم يُطرَح فى النار ... أعاذنا الله جميعًا من نار جهنم.

٦- التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها:

قال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

وقد ذكر ابن حجر أحاديث وآثارًا كثيرة تدلُّ على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: «فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضًا متفقة على أن الشمس إذا

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٧/ ١١٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٤) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

طلعت من المغرب، أُغلق باب التوبة، ولم يُفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة»[(١)].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إن الله ﷻ جعل بالمغرب بابًا عُرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من قِبله، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ ...﴾ الآية»**[(٢)].

❀ ❀ ❀

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٤: ٣٥٥).

(٢) رواه الترمذي (٩/ ٥١٧: ٥١٨) وقال: حسن صحيح، وقال ابن كثير في تفسيره صححه النسائي.

علامات صحة التوبة

وها هى أيتها الأخت الطاهرة بعض علامات صحة التوبة للعبد المؤمن:

۞ من علامات صحة التوبة أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

۞ ومنها ألا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١)، فهناك يزول خوفه.

۞ ومنها انخلاع قلبه، وتقطعه ندمًا وخوفًا.

۞ ومنها كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شىءٌ، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع ولا رياضة، ولا حب مجرد، إنما هى أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدى الرب كسرة عامة، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدى ربه طريحًا ذليلًا خاشعًا، كحال عبد آبقٍ من سيده، فأُخذ فأُحضر بين يديه، ولم يجد من ينجيه من سطوته، ولم يجد منه بُدًّا، ولا عنه غناءً ولا منه مهربًا، وعلم أنّ حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه فى رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضعفه وعجزه، وقوة سيده، وذله وعز سيده.

فيجتمع فى هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع، ما أنفعها للعبد وما أجدى عائدتها عليه، وما أعظم جبره بها، وما أقربه بها من سيده، فليس شىءٌ أحب إلى سيده من هذه الكسرة والخضوع والتذلل والإخبات والانطراح بين يديه والاستسلام له.

فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: أسألك بعزِّك وذُلى إلا رحمتنى، أسألك

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك.

هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه. وذَلَّ لك قلبه:

يا من ألوذُ به فيما أُؤملُهُ ... ومن أعوذ به مما أحاذِرُهُ

لا يَجبر الناسُ عظمًا أنت كاسِرُهُ ... ولا يهيضُون عظمًا أنت جابِرُهُ

الأمور التى تعين على التوبة

إن الأمور التى تُعين على التوبة كثيرة منها:

١- إخلاص النية لله تعالى فى التوبة وجميع الأعمال الأخرى... قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِىَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه**»(٢).

٢- أن يحاول التائب قدر ما يستطيع أن يعمل أعمالًا صالحة تثبته على طريق الخير وترجح ميزان حسناته وتُذهب سيئاته... قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٣)، ووصى النبى ﷺ معاذًا لما بعثه إلى اليمن فقال: «**يا معاذ اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «...فالكيِّس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات...»(٥).

٣- أن يستشعر قُبح وفداحة الذنب أو الذنوب التى ارتكبها وضررها عليه فى الدنيا والآخرة.

٤- أن يبتعد عن المكان الذى يمارس فيه المعصية، بحيث لا يعود لارتياد

---

(١) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٢) رواه أحمد (٢٠٢٢٢) أول مسند البصريين، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٥): وهو بلفظ: «**إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه**». وسنده صحيح.

(٣) سورة هود: الآية: (١١٤).

(٤) **حسن**: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٥/ ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧).

(٥) الوصية الجامعة (ص: ٣).

المكان الذى فيه المعصية.

٥- إتلاف الأدوات التى كان يعمل بها المعصية كأن يرمى ويكسر المُسكر المتبقى عنده أو آلات اللهو.

٦- أن يجد لنفسه رفقة صالحة تعينه على الخير من الصالحين، وأن لا يجالس رفقاء السوء الذين كان يعمل المعاصى معهم.

٧- أن يداوم على قراءة الآيات المخوفة للمذنبين فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٨- أن يتذكر أن العقوبة المعجلة قد تأتيه فى أى وقت... قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

٩- أن يداوم على ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فى جميع الأوقات... فذكر الله من أعظم الأسباب المعينة على طرد الشيطان... ويحاول المحافظة على الأذكار، خاصة التى تقال فى الصباح والمساء وعند النوم وغيرها الثابتة عن الرسول ﷺ.

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٤).

التوبة الصادقة

وإننى أهدى إليك أيتها التقية النقية تلك التوبة التى تجعل القلب يخشع، بل ويبكى الدماء بدل الدموع على رؤية أنوار التوحيد والإخلاص من سلفنا الصالح فى نفس الوقت الذى نرى فيه ظلمات المعصية والإصرار عليها من أنفسنا.

فإنا لله وإنا إليه راجعون على قلوبنا التى قست فأصبحت كالحجارة بل أشد قسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

إنها توبة ماعز والغامدية رضي الله عنهما.

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ: «**وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**». قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**». قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيمَ أُطَهِّرُكَ**». فَقَالَ: مِنَ الزِّنَا. فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبِهِ جُنُونٌ**». فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «**أَشَرِبَ خَمْرًا؟**». فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَزَنَيْتَ؟**». فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِى يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِى بِالْحِجَارَةِ قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ**». قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّة لَوَسِعَتْهُمْ**».

(١) سورة البقرة: الآية: (٧٤).

قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الأَزْدِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ: «**وَيْحَكِ ارْجِعِى فَاسْتَغْفِرِى اللهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ**». فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِى كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ. قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ؟**». قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَا. فَقَالَ: «**آنْتِ؟**». قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا: «**حَتَّى تَضَعِى مَا فِى بَطْنِكِ**». قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ: فَأَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ. فَقَالَ: «**إِذًا لاَ نَرْجُمَهَا وَنَدَعَ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ**». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ. قَالَ: فَرَجَمَهَا[1].

وفى رواية: «... فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى خِرْقَةٍ قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ: «**اذْهَبِى فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ**». فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِىَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِىُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ»[2].

أيتها الأخت الطاهرة: لا تيأسى من رحمة الله واعلمى أنك غير معصومة من الخطأ والذنوب، بل واعلمى بأن العصمة قد دُفنت يوم أن دُفن رسول الله ﷺ.

وها هو المثال أمامك... امرأة تزنى ويحركها قانون الإيمان لتعترف على نفسها فتفوز بشهادة النبى ﷺ لها بصدق توبتها.

أما قانون البشر فمن السهل اليسير أن نتحايل عليه؛ لأنه ليس من عند الله.

فاجعلى إيمانك حاديًا لك على التوبة والعودة إلى ربك الذى هو أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥) كتاب الحدود.

توبة المرأة التي أرادت أن تفتن الربيع بن خُثيم

أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد (الربيع بن خُثيم) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فذهبوا إلى امرأة من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك! فقالوا لها: هذا ثمن قُبلة واحدة تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغى وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزنى.

ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها وحيائها المترتب على تجرُّدها من الإيمان ... فقام إليها (الربيع) مسرعًا وقال لها: كيف بك يا أَمة الله إذا نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين... أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير... أم كيف بك يوم تقفين بين يدى العزيز الجليل... أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تُرمين فى الجحيم!!!

ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة صائمة حتى لُقِّبت بعد ذلك بعابدة الكوفة ... فقال هؤلاء الفُجار الذين أرسلوها لإفساد الربيع بن خثيم: أردنا منها أن تُفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا.

تابت قبل أن تموت بساعة

خرجت الأخت (هدى) من بيتها وليس لها هَمٌّ سوى أن يجعلها الله سببًا لهداية مَن حولها، وفجأة وجدت فتاة تلبس (الاسترتش) فأشفقت عليها من النار، فتقدمت وقالت لها بكل عطف ورحمة: إننى أستأذنك أن تأتى معى إلى الجنة!! فتعجبت الفتاة وقالت: وأين هي الجنة؟! قالت: في بيت من بيوت الله. فاستجابت لها الفتاة ودخلت معها المسجد فوجدت أن الكل ينظر إليها نظرة عجيبة، فأشفقت عليها (هدى) وأسرعت إلى خارج المسجد واشترت لها حجابًا، وقالت لها: البسى هذا الحجاب حتى لا ينظر إليك أحد وبعد المحاضرة انزعيه إن شئتِ ... فقامت الفتاة وارتدت الحجاب لأول مرة، بل وأزالت المساحيق من على وجهها وتوضأت لأول مرة، وصلَّت المغرب واستمعت إلى الدرس (وكان عن وصف الجنة والنار) ثم صلَّت العشاء، ولما حان وقت الانصراف قالت لها (هدى): الآن تستطيعى أن تنزعى الحجاب إن شئت. فقالت لها الفتاة: والله لقد ذقت حلاوة الإيمان، فلن أخلع الحجاب أبدًا، ولن أترك الصلاة، بل سأكون داعية إلى الله وسأجعل حياتى وقفًا لله ﷻ.

وما هى إلا لحظات حتى خرجت من المسجد فصدمتها سيارة فماتت، وسالت الدماء الشريفة التى تحركت لدين الله واحترقت شوقًا للقاء الله فرزقها الله حُسن الخاتمة بعد أن كانت منذ ساعة واحدة ممن قال فيهن رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما** - وذكر منهما - **ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها...**» (رواه مسلم).

نعم أيتها الأخت المسلمة ... إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك ذهب بعضك ... بل أنتِ كالمسافر إلى الله ولا بد للمسافر من يوم يصل فيه ...إنه اليوم الذى

تقفين فيه بين يدى الحق جَلَّجَلَالُهُ فيسألك عن كل صغيرة وكبيرة... ويا له من موقفٍ يجعل الولدان شيبًا!!!

أختاه: ألست مسلمة؟ ألست تريدين الجنة؟ إذن فاستمعى إلى قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[1]. إنها دعوة لحياة القلب والعِرض والدين والحياء .. فمن استجابت لتلك الدعوة فسوف تنضم لتلك القافلة المباركة التى شرفها الله بهذا الخطاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[2]. ويا له من شرف عظيم أن تنضمى يا أختاه لتلك القافلة المباركة التى على رأسها أزواج النبى ﷺ وبناته.

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٥٩).



توبة امرأة مغربية بعد إصابتها بالسرطان وشفائها منه في بيت الله الحرام



«ليلى الحلو» امرأة مغربية، أُصيبت بمرض (السرطان)، فعجز الأطباء عن علاجها، ففقدت الأمل إلا في الله الذى لم تكن تعرفه من قبل، فتوجهت إليه فى بيته الحرام، وهناك كان الشفاء، والآن أتركك مع الأخت ليلى لتروى تفاصيل قصتها بنفسها، فتقول:

منذ تسع سنوات أُصبت بمرض خطير جدًّا، وهو مرض السرطان، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جدًّا، وهناك فى المغرب لا نسميه السرطان، وإنما نسميه (الغول) أو (المرض الخبيث).

أُصبت بالتاج الأيسر، وكان إيمانى بالله ضعيفًا جدًّا، كنت غافلة عن الله تعالى، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته، وأن شبابه وصحته كذلك، وما كنت أظن أبدًا أنى سأُصاب بمرضٍ خطير كالسرطان، فلما أُصبت بهذا المرض وزلزلنى زلزالًا شديدًا، وفكرت فى الهروب، ولكن إلى أين ومرضى معى أينما كنت؟! فكرت فى الانتحار، ولكنى كنت أحب زوجى وأولادى، وما فكرت أن الله سيعاقبنى إذا انتحرت، لأنى كنت غافلة عن الله كما أسلفت.

وأراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهدينى بهذا المرض، وأن يهدى بى كثيرًا من الناس فبدأت الأمور تتطور.

لما أُصبتُ بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا، وزُرت عددًا من الأطباء هناك، فقالوا لزوجى: لابدّ من إزالة الثدى .. وبعد ذلك استعمال أدوية حادّة تُسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين، وتعطى لحية على الوجه، كما تُسقط الأظافر

والأسنان، فرفضتُ رفضًا كليًّا، وقلت: إننى أُفضل أن أموت بثديى وشعرى وكل ما خلق الله بى ولا أُشوَّه، وطلبتُ من الأطباء أن يكتبوا لى علاجًا خفيفًا ففعلوا. فرجعتُ إلى المغرب، واستعملتُ الدواء فلم يؤثر علىّ ففرحتُ بذلك، وقلت فى نفسى: لعل الأطباء قد أخطئوا، وأنى لم أُصب بمرض السرطان.

ولكن بعد ستة أشهر تقريبًا، بدأت أشعر بنقصٍ فى الوزن، لونى تغير كثيرًا وكنت أحس بالآلام، كانت معى دائمًا، فنصحنى طبيبى فى المغرب أن أتوجه إلى بلجيكا، فتوجهت إلى هناك.

وهناك، كانت المصيبة، فقد قال الأطباء لزوجى: إن المرض قد عَمَّ، وأصيبت الرئتان، وأنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة .. ثم قالوا لزوجى: من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك.

فُجِعَ زوجى بما سمع، وبدلًا من الذهاب إلى المغرب ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك، ولكنا لم نجد شيئًا، وأخيرًا حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى وأقطع ثديى وأستعمل العلاج الحاد.

لكن زوجى تذكَّر شيئًا كنا قد نسيناه، وغفلنا عنه طوال حياتنا... لقد ألهم الله زوجى أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام، لنقف بين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضُرٍّ، وذلك ما فعلناه.

خرجنا من باريس ونحن نُهلل ونُكبر، وفرحتُ كثيرًا لأننى لأول مرة سأدخل بيت الله الحرام، وأرى الكعبة المشرفة، واشتريتُ مصحفًا من مدينة باريس، وتوجهنا إلى مكة المكرمة.

وصلنا إلى بيت الله الحرام، فلما دخلنا ورأيتُ الكعبة بكيتُ كثيرًا لأننى ندمت على ما فاتنى من فرائض وصلاة وخشوع وتضرع إلى الله، وقلت: يا رب .. لقد استعصى علاجى على الأطباء، وأنت منك الداء ومنك الدواء، وقد

أُغْلِقَتْ فى وجهى جميع الأبواب، وليس لى إلا بابك فلا تُغْلِقْه فى وجهى وطُفتُ حول بيت الله، وكنت أسأل الله كثيرًا بأن لا يخيبنى، وأن لا يخذلنى، وأن يحير الأطباء فى أمرى.

وكما ذكرت آنفًا، فقد كنت غافلة عن الله، جاهلة بدين الله، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك، وأسألهم أن يدلونى على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أستفيد منها، فنصحونى كثيرًا بتلاوة كتاب الله والتضلُّع من ماء زمزم ـ والتضلع هو أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء قد وصل إلى أضلاعه ـ كما نصحونى بالإكثار من ذكر الله، والصلاة على رسوله ﷺ.

شعرت براحة نفسية واطمئنان فى حرم الله، فطلبتُ من زوجى أن يسمح لى بالبقاء فى الحرم، وعدم الرجوع إلى الفندق، فأذِن لى.

وفى الحرم كان بجوارى بعض الأخوات المصريات والتركيات كنَّ يَريننى أبكى كثيرًا، فسألننى عن سبب بكائى فقلت: لأننى وصلتُ إلى بيت الله، وما كنت أظن أنى سأحبه هذا الحب، وثانيًا لأننى مصابة بالسرطان.

فلازمننى ولم يُكَنَّ يفارقننى، فأخبرتهن أننى معتكفة فى بيت الله، فأخبرن أزواجهن ومكثن معى، فكنا لا ننام أبدًا، ولا نأكل من الطعام إلا القليل، لكنا كنا نشرب كثيرًا من ماء زمزم، والنبى ﷺ، يقول: «**ماء زمزم لما شُرب له**»، إن شربتَه لتشفى شفاك الله، وإن شربته لظمأك قطعه الله، وإن شربته مستعيذًا أعاذك الله، فقطع الله جوعنا، وكنا نطوف دون انقطاع، حيث نصلى ركعتين ثم نعاود الطواف، ونشرب من ماء زمزم ونكثر من تلاوة القرآن، وهكذا كنا فى الليل والنهار لا ننام إلا قليلًا، عندما وصلتُ إلى بيت الله كنت هزيلة جدًّا، وكان فى نصفى الأعلى كثير من الكويرات والأورام، التى تؤكد أن السرطان قد عَمَّ جسمى الأعلى، فكُنَّ ينصحننى أن أغسل نصفى الأعلى بماء زمزم، ولكنى

كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات، فأتذكر ذلك المرض فيشغلنى ذلك عن ذكر الله وعبادته، فغسلته دون أن ألمس جسدى.

وفى اليوم الخامس ألحَّ علىَّ رفيقاتى أن أمسح جسدى بشىء من ماء زمزم فرفضتُ فى بداية الأمر، لكنى أحسستُ بقوة تدفعنى إلى أن آخذ شيئًا من ماء زمزم وأمسح بيدى على جسدى، فخفت فى المرة الأولى، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية، فترددت ولكن فى المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدى ومسحت بها على جسدى وثديى الذى كان مملوءًا كله دمًا وصديدًا وكويرات، وحدث ما لم يكن فى الحسبان، كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئًا فى جسدى، لا ألمًا ولا دمًا ولا صديدًا.

فاندهشتُ فى أول الأمر، فأدخلت يدى فى قميصى لأبحث عما فى جسدى فلم أجد شيئًا من تلك الأورام، فارتعشتُ، ولكن تذكرتُ أن الله على كل شىء قدير، فطلبت من إحدى رفيقاتى أن تلمس جسدى، وأن تبحث عن هذه الكويرات، فصحن كلهن دون شعور: الله أكبر الله أكبر.

فانطلقتُ لأخبر زوجى، ودخلتُ الفندق، فلما وقفتُ أمامه مزقتُ قميصى وأنا أقول، انظر رحمة الله، وأخبرته بما حدث فلم يصدق ذلك، وأخذ يبكى ويصيح بصوت عالٍ ويقول: هل علمتِ أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟ فقلت له: إن الآجال بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يعلم الغيب إلا الله.

مكثنا فى بيت الله أسبوعًا كاملًا، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التى لا تُحصى، ثم زرنا المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورجعنا إلى فرنسا.

وهناك حار الأطباء فى أمرى واندهشوا وكادوا يُجنّون، وصاروا يسألوننى هل أنت فلانة؟! فأقول لهم: نعم ـ بافتخار ـ وزوجى فلان، وقد رجعت إلى

ربى، وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه، فالقضاء قضاء الله، والأمر أمره.

فقالوا لى: إن حالتك غريبة جدًّا وإن الأورام قد زالت، فلا بد من إعادة الفحص.

أعادوا فحصى مرة ثانية فلم يجدوا شيئًا وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عنى.

بعد ذلك كنتُ أبحث عن سيرة النبى ﷺ، وعن سيرة أصحابه رضي الله عنهم وأبكى كثيرًا، كنت أبكى ندمًا على ما فاتنى من حُب الله ورسوله، وعلى تلك الأيام التى قضيتها بعيدة عن الله عز وجل، وأسأل الله أن يقبلنى وأن يتوب علىَّ وعلى زوجى وعلى جميع المسلمين[١].

(١) «العائدون إلى الله» (ص: ٩٣- ٩٧).

توبة فى زمن الغربة

إن التوبة تتفاعل سلبًا وإيجابًا مع الأجواء الإيمانية التى يعيشها الناس فى كل زمان ومكان. ولذلك فالتوبة فى زمن الغربة الذى نعيشه الآن أعظم من التوبة فى زمن أهل الطاعة (مع العلم بأن التوبة تختلف باختلاف الأشخاص واختلاف أحوالهم فى التوبة)، وعلى الرغم من تلك الصورة المظلمة التى نراها الآن، والتى جعلت اليأس يتسرب ويدب فى قلوب الكثيرين من بنى جلدتنا إلا أن شعاع الأمل ما زال يسطع لينير للناس طريقهم إلى التوبة والعودة إلى الفطرة وإلى الطاعة التى تقربنا من جنة الرحمن.

وها هى الأخت الكريمة التائبة - سهير عابدين - (هالة الصافى سابقًا) تقص على أخواتها قصة توبتها.

تقول السيدة سهير عابدين (المعروفة بهالة الصافى الراقصة المشهورة سابقًا): فى إحدى الأيام كنت أؤدى رقصة فى أحد فنادق القاهرة المشهورة، شعرت وأنا أرقص بأننى عبارة عن جثة، دُمية تتحرك بلا معنى، ولأول مرة أشعر بالخجل وأنا شبه عارية أرقص أمام الرجال ووسط الكؤوس.

تركت المكان، وأسرعت وأنا أبكى فى هستريا حتى وصلت إلى حجرتى، وارتديت ملابسى، وانتابنى شعور لم أحسه طيلة حياتى مع الرقص الذى بدأته منذ كان عمرى خمس عشرة سنة، فأسرعت لأتوضأ، وصليت، وساعتها شعرت لأول مرة بالسعادة والأمان، ومن يومها ارتديت الحجاب على الرغم من كثرة العروض وسخرية البعض. أديت فريضة الحج ووقفت أبكى لعل الله يغفر لى الأيام السوداء.

وتختم قصتها قائلة: «هالة الصافى ماتت ودُفن معها ماضيها، أما أنا فاسمى

سهير عابدين - أم كريم - ربة بيت، أعيش مع ابنى وزوجى، ترافقنى دموع الندم على أيام قضيتها من عمرى بعيدًا عن خالقى الذى أعطانى كل شىء... إننى الآن مولودة جديدة، أشعر بالراحة والأمان، بعد أن كان القلق والحزن صديقى بالرغم من الثراء والسهر واللهو».

وتضيف: «قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعرف سوى اللهو والرقص. كنت أعيش حياة كريهة حقيرة، كنت دائمًا عصبية، والآن أشعر أننى مولودة جديدة، أشعر أننى فى يد أمينة، تحنو علىّ وتباركنى يد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[1].

❁ ❁ ❁

(١) العائدون إلى الله - محمد بن عبد العزيز المسند (٧٧).

رحلة الرحيل

تقول: بَدَتْ أختى شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. لكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. إذا بحثت عنها وجدتها فى مُصلاها راكعة ساجدةً رافعة يديها إلى السماء.. هكذا فى الصباح وفى المساء وفى جوف الليل لا تفتر ولا تمل..

أما أنا فلقد كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصى.. وأشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنى عُرفت به.. ومَن أكثر من شيء عُرف به.. فأنا لا أؤدى واجباتى كاملة، ولست منضبطة فى صلواتى..

وفى ليلةٍ من الليالى وبعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلامًا منوعةً لمدة ثلاث ساعات متواصلةٍ.. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور..

فعدت إلى فراشى.. فنادتنى أختى نورا من مصلاها.. قلت لها: نعم ماذا تريدين يا نورا؟

قالت لى بنبرةٍ حادةٍ: لا تنامى قبل أن تصلى الفجر..

فقلت: أوووه.. بقى ساعة على صلاة الفجر، وما سمعتيه كان هو الأذان الأول..

فأجابتنى بنبرتها الحنونة -وهكذا كانت هى حتى قبل أن يصيبها المرض الشديد وتسقط طريحة الفراش-: تعالى يا هناء إلى جانبى..

وأنا لا أستطيع إطلاقًا رد طلبها.. فأنت تشعر بصفائها وصدقها.. فقلت لها: نعم ماذا تريدين؟

فقالت لى: اجلسى..

فقلت: ها قد جلست ماذا تريدين؟

فقالت مُرددة بصوتٍ عذبٍ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1]. ثم سكتت برهةً.. ثم سألتنى: ألم تؤمنى بالموت؟

فقلت: بلى إننى مؤمنة به..

قالت: ألم تؤمنى بأنك ستحاسَبين على كل صغيرةٍ وكبيرةٍ؟

فقلت: بلى.. لكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل..

قالت: يا أختى ألا تخافين من الموت وبغتته؟ انظرى هندًا هى أصغر منك وتوفيت فى حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة.. وفلانة.. الموت يا أختى لا يعرف العمر وليس مقياسًا له..

أجبتها بصوتٍ خائفٍ حيث مصلاها المظلم: إننى أخاف من الظلام وأخافتنى من الموت.. كيف أنام الآن؟ كنت أظن أنك وافقتى على السفر معنا هذه الأجازة.

فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبى لذلك..

فقالت: لعلى هذه السنة أسافر سفرًا بعيدًا.. إلى مكان آخر.. ربما يا هناء فالأعمار بيد الله تعالى.. وانفجرت بالبكاء..

تفكرت فى مرضها الشديد، وأن الأطباء أخبروا أبى سرًّا أن المرض ربما لن يمهلها طويلًا.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشىء؟

قلت لها: نورا.. ما لكِ؟ بِمَ تفكرين؟

فجاءنى صوتها القوى هذه المرة: هل تعتقدين أنى أقول هذا؛ لأنى مريضة؟ كلا.. ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما عشرين سنة.. ربما أربعين.. ثم ماذا؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

لمعت يدها فى الظلام وهزتها بقوة.. قائلة: لا فرق بيننا، كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى الجنة أو إلى النار.. تصبحين على خيرٍ يا هناء..

هرولت مسرعةً وصوتها يطرق أذنى، هداك الله.. لا تنسِ الصلاة..

وفى الثامنة صباحًا أسمع طرقًا على الباب.. هذا ليس موعد استيقاظى.. بكاء.. وأصوات.. ماذا جرى؟

لقد تردَّت حالة أختى نورا.. وذهب بها أبى إلى المستشفى.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا سفر هذه السنة، مكتوب علىَّ البقاء هذه السنة فى بيتنا..

وبعد انتظار طويل.. بعد الواحدة ظهرًا، هاتَفنا أبى من المستشفى قائلًا.. تستطيعون زيارتها الآن.. هيا بسرعةٍ.. أخبرتنى أمى أن حديث أبى غير مطمئن وأن صوته متغير.. ركبنا فى السيارة.. أمى بجوارى تدعو لها.. إنها بحقٍّ بنت صالحة ومطيعة.. لم أرها تضيع وقتًا أبدًا.. دخلنا من الباب الخارجى للمستشفى وصعدنا درجات السلم بسرعةٍ...

قالت الممرضة: إنها فى غرفة العناية المركزة وسآخذكم إليها، إنها بنت طيبة، وطمأنت أمى أنها فى تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها.. وقالت لنا: ممنوع الدخول لأكثر من شخصٍ واحدٍ... هذه غرفة العناية المركزة.

وفى وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التى فى باب الغرفة رأيت عينى أختى نورا تنظر إلىَّ، وأمى واقفة بجوارها، بعد دقيقتين خرجت أمى التى لم تستطع إخفاء دمعتها.

سمحوا لى بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيرًا..

فقلت لها: كيف حالك يا نورا؟ لقد كنتِ بخيرٍ البارحة.. ماذا جرى لك؟

أجابتنى بعد أن ضغطت على يدى قائلة: وأنا الآن والحمد لله بخير.. فجلست بجانبها على حافة السرير فلامست يدى ساقها.. فإذا بها تُبعده عنى..

قلت لها: أنا آسفة إذ ضايقتك.. قالت: كلا؛ ولكنى تفكرت فى قول الله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾(١). أوصيك يا هناء بالدعاء لى فربما أستقبل عما قريب أول أيام الآخرة.. سفرى بعيد وزادى قليل.. سقطت دمعة من عينى بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أنتبه أين أنا.. استمرت عيناى فى البكاء.. أصبح أبى خائفًا علىَّ أكثر من نورا.. لم نتعود مثل هذا البكاء من قبل..

ومع غروب شمس ذلك اليوم الحزين.. ساد صمت طويل فى بيتنا.. دخلت علينا ابنة خالتى.. وابنة عمتى.. أحداث سريعة.. كثر القادمون.. واختلطت الأصوات.. شىء واحد عرفته.. نورا ماتت.

لم أعد أميز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا.. يا الله.. أين أنا؟ وماذا يجرى؟ عجزت حتى عن البكاء.. تذكرت مَن قاسمتنى رحم أمى، فنحن توأمان.. تذكرت من شاركتنى همومى.. تذكرت من نفَّست عنى كربتى.. من دعت لى بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالى طويلة وهى تحدثنى عن الموت والحساب.

الله المستعان.. هذه أول ليلةٍ لها فى قبرها.. اللهم ارحمها ونورٌ لها قبرها.. هذا هو مصلاها.. وهذا هو مصحفها.. وهذه هى سجادتها.. وهذا.. وهذا.. بل هذا هو فستانها الوردى الذى قالت لى: سأخبئه لزواجى.. تذكرتها وبكيت على أيامى الضائعة.. بكيت بكاءً متواصلًا ودعوت الله أن يتوب علىَّ ويعفو عنى.. دعوت الله أن يثبتها فى قبرها كما كانت تحب دائمًا أن تدعو هى، رَحِمَهَا ٱللَّهُ تعالى.

---

(١) سورة القيامة: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

وقفة قبل الندم

أختاه: تذكري يوم أن دعانا الله إلى التوبة فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[1].

بل تذكري يوم أن طمأن قلوبنا بقرب رحمته ومغفرته حتى لا نقنط فقال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

ثم تذكري مرة أخرى يوم أن ابتعد الكثير من المسلمين والمسلمات عن طاعة الله وعن التوبة، فقال تعالى مصورًا حال أهل الغفلة الذين صرفهم الله عن آياته وصرف آياته عنهم، فقال عن حالهم في الدنيا: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[3].

ثم عقَّب بعد ذلك بوصفهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٤٦).

أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[١].

ثم أنذر الله عباده قبل يوم الحسرة، فقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

ثم تذكرى حالهم فى الآخرة، فقد قال تعالى عنهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

(٢) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

(٤) سورة السجدة: الآيات: (١٢-١٤).

(٥) سورة ق: الآيات: (١٦-٢٢).

لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[1].

فما أحوجنا والله إلى التوبة قبل الندم والحسرة فى يوم لا ينفع فيه ندم ولا تُجدى فيه حسرة.

فالتوبة التوبة يا أختاه... التوبة التوبة يا أختاه.

(١) سورة الفجر: الآيات: (٢١-٢٦).

مواقف إيمانية

في الدخول إلى الإسلام



مواقف إيمانية في الدخول إلى الإسلام

إن الإسلام هو الدين الذى يخاطب الفطرة النقية ويلمس المشاعر الصادقة ولذلك فما كان لأصحاب الفِطَر النقية والمشاعر الصادقة أن يعرفوا الإسلام على حقيقته إلا وتلمس حلاوته شغاف القلوب.

۞ ومن المعلوم أن المرأة بطبعها يغلب عليها العاطفة فإذا توجهت تلك العاطفة إلى الطريق الصحيح الذى رسمه الله لنا فأسلمت لخالقها (جل وعلا) فإنك تجد الإيمان فى قلبها أشد رسوخًا من الجبال.

۞ ومن هنا جاء اهتمام أعداء هذا الدين بإفساد المرأة؛ سواء كانت مسلمة أو كافرة وذلك لأنهم يعلمون أن المرأة تمثل نصف المجتمع بل وهى التى تلد النصف الآخر، ومن ثم جاءت مقولة أحدهم واضحة: كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ.

فكادوا للمرأة المكائد حتى أخرجوها من خدرها ونكّسوا فطرتها.

۞ ولكن بعد كل هذا يحفظ الله المرأة المسلمة من أيدى العابثين ويفتح قلوب نساء كثيرات من غير المسلمات للإسلام ليعلم الكون كله أن الإسلام هو دين الفطرة النقية.

۞ وها أنا أعرض لحضراتكم نماذج مشرقة لنساء فتح الله قلوبهن للإسلام فأشرقت قلوبهن بنور الإسلام وعشن طاهرات عفيفات قائمات صائمات... وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

۞ فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هذه النماذج المشرقة التى تملأ القلوب ثقة ويقينًا فى وعد الله ووعد رسول الله ﷺ بنصرة الإسلام وعز المسلمين.

۞ ۞ ۞

حسن معاملة المسلمين قادتها إلى الإسلام

كان يومًا ممطرًا فى نيويورك، وكنت مرتبكة بحمل الأغراض الكثيرة فى يد وتهدئة ابنتى فى اليد الأخرى إذ تقدم أحدهم تجاهى وعرض علىَّ المساعدة،... كانت امرأة فى الأربعين من عمرها، ذات وجه حسن، وسألتنى بصدق: هل تريدين المساعدة؟ وأمام حيرتى وحاجتى الأكيدة لها قلتُ: نعم، وصلنا إلى باب منزلنا مبللتين تمامًا فرجوتها أن تدخل معى لشرب القهوة ردًّا للجميل فوافقت على مضض، وبعد أن شربنا القهوة سألتنى: هل أنت مسلمة؟ فابتسمتُ وأجبتُ: نعم فأنت تعرفين ذلك من خلال حجابى، ولكن ماذا عنك أنت؟! فقالت بحذر: أنا مسيحية، قلتُ لها: أهلًا بك وأشكرك كثيرًا على مساعدتك، قالت: ظننتُ أنك ستطردينني، فأجبتُ بدهشة: لماذا؟ بسبب دينك؟! فابتسمتُ لها وتابعتُ: هذا ليس من آداب الإسلام، فالإسلام والحمد لله يحترم الأديان الأخرى، فلدينا دين واسع رحب الصدر، منفتح على العالم، نَسألُ ونُسألُ عن كل الأمور، وللتصديق على كلامى أرحبُ بك دائمًا فى منزلى، وسأعمل على الإجابة عن أى تساؤل يخطر فى بالك حول الدين الإسلامى.

غادرت المرأة منزلنا وهى مسرورة بصداقتى، ومنذ ذلك اليوم بدأت تلك المرأة تأتى لزيارتى بعد أن فتحت لها باب الأسئلة على مصراعيه، كانت لديها فكرة خاطئة عن الإسلام والمسلمين، ورويدًا رويدًا بدأت تنجلى أفكارها وأخذت تحبُ دينى الذى أعتز به وأفتخر به دون أن أخدش مشاعرها من ناحية دينها، لكن ما حصل أن بعض صديقاتى المسلمات ابتعدن عنى عندما عرفن بصداقتى لها، وأصبحن يتجنبن اللقاء بى عندما تكون فى ضيافتى، وأخذ لومهن

لى يزداد يومًا بعد يوم.. كيف تُدخلينها إلى منزلك؟ وكيف تسمحين لها بلمس أغراضك؟ وكيف تصلين وهى جالسة بقربك؟، وكنتُ أحاول دائمًا جاهدة إقناعهن بأن الإسلام يأمر بدعوة أهل الكتاب، ولم أكترث إليهن وبقيت على صداقتى لهذه المرأة التى كانت تقترب منى يومًا بعد يوم، وذات مرة فوجئتُ عندما سألتنى عن كتب مترجمة من العربية إلى الإنكليزية تتحدث عن الإسلام، سُررتُ فى قرارة نفسى إلى هذه المبادرة وبدأتُ أبتاع لها الكتب المناسبة بعد أن أهديتها قرآنًا مترجمًا، وكان إذا استعصى علىَّ سؤال أتصلُ مباشرة بأحد الدعاة وآخذ منه الجواب الصحيح.

يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد آخر وسنة ومثلها أصبحت صديقتى تعرف كل شىء عن الإسلام، وذات يوم كنتُ جالسة فى منزلى أُعلم ابنتى سورة الإخلاص، طُرق الباب وعندما فتحتُ ذهلت بما رأيت، لقد كانت صديقتى المسيحية تبتسم لى من خلال حجاب لفَّت به رأسها، وبادرتنى سعيدة قائلة: لقد أشهرتُ إسلامى اليوم وفكرتُ أن تكونى أول من أبشره بهذا، حقًّا لقد كانت سعادتى لا توصف إذ حضنتها باكية وأنا أقول لها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ فتابعت هى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1]، وبعد أيام قمتُ بدعوة جميع صديقاتى لأعرفهن على أختهن الجديدة فى الإسلام، وأنا أتمنى فى قرارة نفسى أن يكن قد تعلمن درسًا مفيدًا من هذه التجربة المميزة التى لا تُنسى[2].

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٢) مجموعة القصص الإسلامية، موقع الشامسى نت.

هذا الطفل كان سبب إسلامها

حضرت أوليف روبنسون إلى المملكة العربية السعودية منذ عامين وعملت فى المملكة وفكرة اعتناق الإسلام كانت قد بدأت معها منذ أكثر من ثمانى سنوات؛ ولكنها اعتنقت الإسلام منذ سبعة أشهر فقط. وهذا الحوار يكشف لنا كيف اقتنعت بالإسلام؟ وكيف تغلبت على المشكلات التى تعرضت لها بسبب إسلامها.

الجندى المسلم: ما قصتك مع الإسلام؟

أوليف: بدأت قصتى مع الإسلام منذ عام ١٩٩٢م حيث كنت أعمل معلمة فى إحدى المؤسسات النصرانية التى ابتعثتنى إلى مدينة صغيرة فى جنوب إفريقيا وهى ملاوى وكنت مُجبرة على قبول ذلك حيث توفى زوجى بعد صراع مع مرض السرطان وترك لى ابنتين، وكانت هذه المؤسسة تدفع للبنتين كامل نفقتهما فى غيابى، وتقوم بسداد مصروفاتهما فى حين أنه يصل إلىَّ فى مقر عملى مبلغ صغير جدًّا من المال لا يكفى لسد رمقى، ومن هنا بدأت القصة حيث كان فى هذا البلد ولد صغير مسلم وعنده بعض العنزات، وقد لمس ظروفى فكان يقوم بإحضار لبن عنزاته إلىَّ مع بعض البيض كل يوم بدون أن أطلب منه شيئًا.

ومن هنا بدأت أفكر فى الإسلام وكيف يُعلم الناس الخير! وكيف أن هذا الطفل المسلم يحسن إلى معلمته التى ليست على دينه؛ فأخذ التفكير فى الإسلام طريقه إلى عقلى خاصة أن ملاوى كان معظم سكانها من المسلمين.

ورغم أنى لم أكن مسلمة إلا أنهم كانوا دائمًا بجوارى ويقدمون لى المساعدة فى أى وقت أحتاجه. كل ذلك جعلنى أفكر فى الإسلام تفكيرًا جادًّا.

الجندى المسلم: قَدِمت إلى المملكة العربية السعودية، وهى بلد تدين بالإسلام؛ فما الشىء الذى جذبك للإسلام مما رأيته فى المملكة؟!

أوليف: الصلاة هى الشىء الأول والمهم الذى شدنى للإسلام أكثر.. إننى رأيت المصلين فى كل مكان فى المستشفى يقف الرجال جماعات كثيرة وقليلة فى أى مكان، كذلك داخل أقسام التنويم رأيت المرضى أنفسهم يصلون، وكذلك النساء يلجأن إلى زاوية بعيدة فى القسم ليؤدين الصلاة.

والأغرب من وجهة نظرى أنه فى المطار أجد المسافرين يفترشون أرض المطار لأداء الصلاة؛ فهذه الطريقة السهلة البسيطة للعبادة هى التى شدتنى؛ لأنها مختلفة عن التكلف الذى كنت أجده فى الكنيسة. وكذلك أعجبنى تمسك المصلين بصلاتهم.

كذلك من أهم الأشياء التى أحببتها أكثر فى المملكة، وأثرت فى نفسى تأثيرًا كبيرًا عناية الأولاد بآبائهم وأمهاتهم؛ فالأقسام فى المستشفى مليئة بالمرضى كبار السن وتجد أولادهم من حولهم فى كل وقت، ولا يدخرون جهدًا فى نيل رضاهم وهم على فراش المرض، على خلاف المجتمعات الغربية المادية التى لا تقيم وزنًا لمقام الأب والأم.

الجندى المسلم: هل كان لمجيئك من مجتمع غربى نصرانى إلى مجتمع مسلم شرقى أثر فى القضاء على صراع تجاه الإسلام فى داخلك؟

أوليف: فى الحقيقة لم يكن هناك صراع فى نفسى، وكنت مهيأة تمامًا قبل المجىء للمملكة لاعتناق الإسلام؛ بل إننى اخترت المملكة بالذات لتكون بدايتى مع الإسلام؛ لأن فيها قبلة المسلمين وأحكام الشريعة الإسلامية ظاهرة فيها، فاختيارى للعمل فى المملكة كان عن قصد منى لتكون بدايتى فى الإسلام منها.

الجندى المسلم: كثير ممن يدخلون فى الإسلام يجدون ردة فعل غاضبة من أسرهم وأصدقائهم فلربما ضايقوهم، بل إن بعضهم ربما قاطعته أسرته؟ فماذا كان رد فعل أسرتك لما تلقَّت نبأ إسلامك؟

أوليف: أفراد أسرتى هنأونى على هذه الخطوة، ورحبوا بها؛ لأنهم كانوا يعلمون منذ البداية أننى فى الطريق إلى الإسلام بما كنت أذكر من إعجابى بالإسلام وبالمسلمين وحياتهم، وكان اثنان من أفراد أسرتى يقرآن القرآن لمعرفة الإسلام، وخلال إجازتى الصيفية كنت أذهب إلى المركز الإسلامى فى جنوب إفريقيا، وكانت إحدى ابنتى تذهب معى يوميًّا للتعرف على هذا الدين الجديد، كما أن أمى الآن تشاهد بعض الأفلام - للشيخ أحمد ديدات - التى يعرض فيها الإسلام، ويبين فيها المآخذ على الدين النصرانى المحرف.

الجندى المسلم: بالطبع بعد اعتناق الإسلام يواجه المسلم الجديد بعض المشاكل مع أصدقائه القدامى وخاصة فى مجال العمل فماذا كان رد فعلك؟

أوليف: نعم لقد واجهت الكثير، وكنت أتغلب على هذه المشاكل والمضايقات بالاستعانة بالله وحده، وأدعوه دائمًا أن يثبتنى؛ وبالفعل بعد مدة من إسلامى أشعر الآن أننى أقوى، ولا أكترث بمثل هذه التفاهات، ومقتنعة بالإسلام اقتناعًا تامًّا بحمد الله تعالى.

الجندى المسلم: ماذا عن الإسلام فى جنوب إفريقيا؟

أوليف: الإسلام هناك منتشر جدًّا، ويوجد الكثير من المراكز الإسلامية، وقد ذهبت لأحد المراكز ويرأسه الشيخ أحمد خان فى الوقت الحاضر بعد أن لازم الشيخ أحمد ديدات الفراش مريضًا.

وهذه المراكز تقدم الخدمات الكثيرة منها: رعاية الأيتام، ومساعدة الفقراء، وتحفيظ القرآن، وإلقاء الدروس الدينية، والآن يوجد فى هذا المركز الذى

ذهبت إليه تسعة عشر يتيمًا يعيشون داخله، ويكفلهم المركز تمامًا، كما أننى الآن بدأت أوجه مساعدتى لمثل هذه المراكز، وأكثر المسلمين هناك من الهنود القادمين إلى البلد إضافة لأهل البلد من المسلمين.

الجندى المسلم: من وجهة نظرك كمسلمة جديدة ما أمثل طريقة للدعوة مما ترين أنه قد أثر فيك ودعاك للإسلام؟

أوليف: **أولًا**: تقديم الكتب، وتعريف الآخرين بالإسلام؛ ولكن دون محاولة التأثير عليهم أو إجبارهم على ذلك؛ ولكن لابد أن يكون بطريقة ودية، كما أن التأثير بالقدوة الحسنة له أثر بالغ، فقد تأثرت بمحافظة المرضى على الصلاة فى المستشفى، وتأثرت أيضًا بعناية الأولاد بآبائهم وأمهاتهم؛ فكان ذلك دعوة لى إلى الإسلام بلا كتاب ولا شريط وإنما بالمعاملة الحسنة الطيبة التى دعا إليها هذا الدين العظيم.

الجندى المسلم: ما أغرب موقف مر عليك منذ إسلامك؟

أوليف: منذ فترة ليست بعيدة وقبل سفرى للأجازة تصدقت بمبلغ (١٠٠٠ ريال) لأحد المحتاجين من غير المسلمين؛ لأن أمه مرضت وكان يحتاج للمساعدة للسفر إليها وزيارتها، ولامنى زملائى فى العمل، وكانوا يسخرون منى ويقولون: «لقد فقدت هذا المال» ولكنى كنت أقول لهم: لم أفقد شيئًا وقد فعلت ذلك فى سبيل الله تعالى. وبالفعل بعدها بيومين حملت حقائبى، وذهبت للمطار «مطار أبها» استعدادًا للسفر لجنوب أفريقيا، وفوجئت بموظف المطار يبلغنى أن وزن حقائبى يفوق الوزن المسموح به، وعلى أن أدفع مبلغ (١٣٠٠ ريال) للوزن الزائد؛ ولكنه نظر إلىَّ وسألنى فى دهشة:

هل أنت مسلمة؟

وبالطبع فإن غطاء رأسى هو الذى لفت نظره لهذا السؤال فأجبته: نعم لقد

اعتنقت الإسلام منذ شهور قليلة.

فابتسم لي الموظف وقال: ليست هناك حاجة في دفع المبلغ المطلوب. إنها هدية مقدمة من المطار لك؛ فتذكرت المبلغ الذي أعطيته لهذا المحتاج وقدَّ لامني عليه الناس ووددت أن أخبرهم بما حدث ليعلموا أن من قدم خيرًا لا يضيع وإنما يجده عند الله تعالى.

- وفوق ذلك فبعد عودتي من أجازتي فوجئت أنها قد أسلمت بسبب تأثرها بهذه المساعدة.

الجندي المسلم: في ختام هذا الحوار نشكر لك تفضلك بالإجابة على أسئلتنا، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياك على الإسلام إلى أن نلقاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى [١]

---

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد (١٠٢) بتصرف.

غض بصره والتزامه كان سبب إسلامها

قصة حقيقية وقعت في أمريكا لأحد الشباب الملتزمين، يقول:

عندما كان يدرس في إحدى جامعات أمريكا وتعرفون أن التعليم هناك مختلط بين الشباب والفتيات ولابد من ذلك، وكان لا يكلم الفتيات ولا يطلب منهن شيئًا ولا يلتفت إليهن أثناء الحديث... قال: وكان الدكتور يحترم رغبتي هذه ويحاول أن لا يضعني في أي موقف يجعلني أحتك بهن أو أكلمهن.

يقول: سارت الأمور على هذا الوضع وإلى أن وصلنا إلى المرحلة النهائية؛ جاءني الدكتور وقال لي: أعرف وأحترم رغبتك في عدم الاختلاط بالفتيات ولكن هناك شيء لابد منه وعليك التكيف معه الفترة المقبلة وهو بحث التخرج؛ لأنكم ستُقسَّمون إلى مجموعات مختلطة لتكتبوا البحث الخاص بكم وسيكون من ضمن مجموعتكم فتاة أمريكية، فلم أجد بُدًّا من الموافقة.

يقول: استمرت اللقاءات بيننا في الكلية على طاولة واحدة فكنت لا أنظر إلى الفتاة، وإن تكلمت أكلمها بدون النظر إليها، وإذا ناولتني أي ورقة آخذها منها كذلك ولا أنظر إليها، صبرت الفتاة مدة على هذا الوضع وفي يوم هبَّت وقامت بسبِّي وسب العرب، وقالت: إنكم لا تحترمون النساء ولستم حضاريين، ولم تدع شيئًا في القاموس إلا وقالته... وتركتها حتى انتهت وهدأت ثورتها ثم قلت لها: لو كان عندك قطعة من الماس الغالية ألا تضعينها في قطعة من المخمل بعناية وحرص ثم تضعينها داخل الخزنة وتحفظينها بعيدًا عن الأعين قالت: نعم. قلت: كذلك المرأة عندنا فهي غالية ولا تُكشف إلا على زوجها.. هي لزوجها وزوجها لها، لا علاقات جنسية قبل الزواج ولا صداقات، يحافظ كل طرف على الآخر وهناك حب واحترام بينهما، لا يجوز للمرأة أن

تنظر لغير زوجها وكذلك الزوج، أما عندكم هنا فإن المرأة مثل سيجارة الحشيش يأخذ منها الإنسان نفسًا أو نفسين ثم يمررها إلى صديقه وصديقه يمررها إلى الآخر ثم إلى الآخر وكذلك حتى تنتهى ثم يُرمَى بها بين الأرجل وتُداس ثم يبحث عن أخرى وهلم جرًّا، بعد النقاش انقطعت عن المجموعة لمدة أسبوع أو أكثر، وفى يوم جاءت امرأة متحجبة وجلست فى آخر الفصل استغربت لأنه لم تكن معنا طوال الدراسة فى الجامعة أى امرأة محجبة وعند انتهاء المادة تحدثت معنا فكانت المفاجأة أنها لم تكن سوى الفتاة الأمريكية والتى كانت من ضمن مجموعتنا والتى تناقشت معى وقالت بأنها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ودخلت فى الإسلام؛ -وحسب قولها- هزتها الكلمات فكانت فى الصميم، فلله الحمد والمنة[١].

***

(١) نقلًا عن موقع الإسلام الحق.

فلبينية تُسلم بسبب السجود

درست هذه الفتاة فى مدارس الراهبات وكانت من عائلة متدينة تحرص على غرس تدريس المسيحية فى نفس الإبنة الوحيدة حتى أنها أُجبرت على الانضمام إلى جامعة متخصصة فى تدريس المسيحية على اعتبار أنها ستكون داعية إلى المسيحية فيما بعد، إلا أنها كانت تحضر المحاضرات وهى شبه مُغيبة ولا تستطيع التركيز وكانت تستعجب من اعتبار النبى عيسى إلهًا فتسخر من أساتذة الجامعة مما يثير غضبهم وأحيانًا كانت تُطرد من المحاضرات، وبعد انتهاء الجامعة انضمت أيضًا إلى دراسة التمريض وقدمت أوراقها إلى عدد من مكاتب العمل فقُبلت للعمل فى استراليا مما أفرح والديها بسبب الرواتب العالية التى تُعطى للممرضات هناك وقبل يوم من السفر أحست بضيق فى صدرها أرجعته إلى فراق والديها وهى الطفلة الوحيدة وفجأة أخبرها أحدهم أن موافقة للعمل فى السعودية قد وصلت للتو وبلا شعور أو تفكير أخبرته أنها موافقة تمامًا، مما أثار والديها وأغضبهم وقالوا لها: «أتتركين استراليا المنفتحة؟ وتتجهين إلى السعودية المنغلقة»، لكنها لم تأبه لهم، ولا تعلم حتى الآن القوة التى شعرت بها لتواجههم وحزمت حقائبها واتجهت للعمل فى مستشفى الملك فهد، وفى أول يوم لدوامها رأت من خلال نافذة غرفة الممرضات والعاملين المسلمين فى المستشفى ومحيطه يصلون الظهر فى فناء المستشفى فتعجبت لمن يسجد هؤلاء؟ ومن الذى يستحق السجود؟ فكان هذا المنظر دافعًا لها للتعمق فى الإسلام.

وقد أسلمت والآن هى داعية إلى الله مع زوجها وتقيم فى بيتها دروسًا فى حفظ القرآن وقد أسلم على يدها الكثير من الفلبينيات[1].

---

(١) نقلًا عن موقع نور الإسلام.

الحجاب كان سبب دخولها الإسلام

حاولت كثيرًا أن تتجنب المضايقات الكثيرة من الشباب عند ذهابها إلى عملها فى إحدى المستشفيات ولكن من غير فائدة، وتحيرت! كيف إيقاف هذه التحرشات والمضايقات؟ وأصبح هذا الأمر كابوسًا يؤرقها، وفى يوم من الأيام رأت على زميلتها لباسًا غريبًا لم تعهده من قبل، إنه حجاب وعباءة هدية من لجنة التعريف بالإسلام لزميلتها بعد أن أعلنت إسلامها، وبدأت زميلتها تشرح لها جمال الإسلام وتكامله وحفظه وصيانته للمرأة، وما هذا اللباس إلا وسيلة من وسائل حماية المرأة من الأذى، حيث قول الله -تعالى- موجهًا كلامه للنساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [١].

بعد سماعها لهذه الآيات من زميلتها أرادت أن تجرب حقيقة هذا الأمر، فطلبت أن تعطيها حجابًا وعباءة، فلبسته تجربة وليس اقتناعًا، وبعد مرور عشرة أيام توسلت إلى زميلتها أن تأخذها إلى لجنة التعريف بالإسلام لتعلن إسلامها، فقد رأت عظمة هذا الإسلام من خلال هذه الآية، وثبت لها عمليًّا عدم تعرض أى إنسان لها عندما لبست هذا الحجاب، فقالت: أشهد أن الإسلام حقٌّ، ثم شهدت شهادة التوحيد ودخلت فى هذا الدين العظيم، والأرض لا تسعها من شدة الفرح. هكذا يدخل ديننا أفواج دون إكراه، بينما يشك بعض أبنائنا بعدالة الإسلام، ويطعنون فى القرآن بحجة عدم إعطائه المرأة حقوقها، ويبثون جهلهم وحماقتهم واستهزاءهم بدين الله وقرآنه صباح مساء.

أسأل الله لهم الهداية وجلاء الغشاوة التى رانت على بصائرهم وقلوبهم [٢].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٩).

(٢) قصص من الواقع، عبد الحميد البلالى ص(٤٩، ٥٠).

أسلمت ببركة الدعوة الرحيمة

أعطى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العقل لبنى آدم ليستعملوه لا ليهملوه وإلا كانوا كالبهائهم التى جُردت منه، فإذا تجرد الإنسان من العقل صار هو والحيوان سواء وزاد الحيوان عليه درجة، وذلك بمعرفة ربه وخالقه ورازقه بفطرته التى فطره الله عليها... «إيمان بيرنز» أمريكية مسلمة تحرص حرصًا شديدًا على التمسك بقيم الإسلام ومبادئه وأحكامه وتتباهى دائمًا أمام الأقارب والأصدقاء بعظمة دينها الجديد، الإسلام. تحكى الأمريكية «ميشيل بيرنز» التى اختارت لنفسها اسم «إيمان» قصة إسلامها قائلة: وُلدت فى قرية «كوكومو» بولاية إنديانا لأبوين شديدى التعصب للكنيسة، وانعكس هذا التعصب على معاملتهما لى ولشقيقتى الصغرى حيث حاولا منذ نعومة أظافرنا أن يجتذبانا إلى حضور الطقوس والصلوات يوم الأحد من كل أسبوع. ولكنى وجدت نفسى لا أطيق الذهاب إلى تلك الكنيسة. وهكذا بدأت أبحث عن الديانات الأخرى، وبدأت أُكثر من القراءة وأبحث فى كل ما يتيسر لى الحصول عليه من كتب ومراجع تتناول الأديان الأخرى والفلسفات المختلفة فى عالمنا. وقرأت عن اليونانية فلم أقتنع بها، ولم تعجبنى الفلسفات جميعها، ونفرت نفورًا تامًّا من اليهودية وزادنى نفورًا ممارسات اليهود العدوانية وانحلالهم.

وذات يوم كنت أقلب فى المكتبة بحثًا عن المزيد من المراجع الخاصة بالديانات فإذا بى أجدنى وجهًا لوجه أمام ترجمة لمعانى القرآن الكريم، فى ذلك الوقت لم أكن أعلم من القرآن سوى أنه كتاب المسلمين الذين يشوه اليهود صورهم.

وتستطرد «إيمان» قائلة: وجدت نفسى أنكبُّ على قراءة معانى القرآن

الكريم بكل طاقاتى. وأسرعت إلى المركز الإسلامى بمدينة «غرب لافايت»، وهناك استقبلنى أخوات مؤمنات لست أعرف كيف أصف مدى كرم أخلاقهن، والنور الذى يسطع من وجوههن، فقد رحبن بى، وبالغن فى تكريمى، والحفاوة بى، ولم يتركن فى نفسى سؤالاً عن الإسلام إلا أجبن عنه بكل سعة أفق، حتى ازداد اقتناعى وعشقى للدين الحنيف. ووجدت نفسى أودعهن على وعد باللقاء مرة أخرى بعد فترة أزيد فيها من بحثى وقراءتى عن هذا الدين.

وتضيف إيمان: وكانت لهفتى على الدخول فى الإسلام عظيمة، لقد صُمت شهر رمضان المعظم بالفعل قبل أن أُشهر إسلامى، وبدأت أدرب نفسى على إقامة الصلوات الخمس خلال بضعة أشهر ترددت فيها على المركز الإسلامى فى «غرب لافايت» وتعددت لقاءاتى بالأخوات المسلمات هناك. وكانت تلك اللقاءات كافية لكى تجعلنى أسارع بإشهار إسلامى فى يوم لن أنساه ما عشت؛ لأننى أعتبره يوم مولدى الحقيقى.

وبعد ذلك التحقت بقسم الدراسات العربية بجامعة «أنديانا» لكى أتعلم اللغة العربية «لغة القرآن الكريم».

وعن العقبات والمشاكل التى واجهتها إيمان بعد إسلامها تقول: أول هذه المشاكل كان هو رد الفعل الذى واجهت به أسرتى نبأ اعتناقى للإسلام، فقد سخر منى أبى وأمى وبقية أهلى وراحوا يرددون أننى قد جُننت أصابنى هوس. والحمد لله فقد تزوجت من شاب مسلم، وقد رزقنا الله تعالى طفلين هما «عبد الله» و«فاطمة» وأنا شديدة الحرص على تربيتهما تربية إسلامية صحيحة، وأن أباعد بينهما وبين ما يموج به المجتمع الأمريكى من انحلال، وتسيب، وبُعد عن طهارة الإسلام، وتعاليم السماء السامية.

وتختم إيمان بيرنز حديثها قائلة: أتوجه إلى الله ﷻ بالحمد كل الحمد،

وأثنى عليه بما لا يحصى من الحمد والشكر والثناء، فلولا عنايته ورحمته وفضله ما اهتديت إلى الإسلام أبدًا، وأعاهده جل وعلا على الجهاد فى سبيله. فقد لمست مدى تعطش الغربيين إلى الإسلام وهديه. وكانت لى جارة عجوز تخطت السبعين من عمرها وحدث أن أهديتها ذات يوم نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم، وبعد أيام فوجئت بها تقابلنى غاضبة، وتبكى بحرارة صائحة فى وجهى: لماذا تركتينى كل هذه المدة. ولم تعلمينى شيئًا من مبادئ هذا الدين وكتابه العظيم؟ وكانت فرحتى هائلة حينما نطقت العجوز بالشهادتين، وأحمد الله تعالى على فضله ونعمته فقد قال النبى ﷺ: «**لأن يهدى الله بك رجلًا خير لك من الدنيا وما فيها**»[1].

لقد طال تجوالك أيتها السيدة المؤمنة وهذا هو الواجب على كل إنسان، وذلك بأن يبحث بعقله فى كل ما يعرض عليه فإن الحق يطرق القلب ويهز الفطرة ويدفعها دفعًا إلى الإيمان، لذا كانت إيمان بيرنز تصوم وهى على دينها وتصلى أحيانًا لأن العقل قد استجاب لهذا الدين الجديد بدافع من فطرتها، فما أجمل الصوم وما أجمل الصلاة[2].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) نقلًا عن موقع مكنون نت.



جينى جراى
من ظلمات النصرانية إلى نور الإسلام

حينما تتدفق أشعة الشمس أنهارًا من الضياء.. تنساب فى الآفاق.. لتظهر لنا من اهتدى إلى الإسلام بما شاهد من مزايا هذا الدين القويم.. وجدنا أنفسنا أمام «جينى» التى قصَّت علينا قصة هدايتها، وخروجها من ظلمات النصرانية إلى نور الإسلام، فهيا بنا إلى هذا اللقاء:

أنا جينى جراى بريطانية، متزوجة ولدىَّ طفلان، وأعمل ممرضة فى إحدى المستشفيات فى عيادة جراحة الوجه والفكين منذ ست سنوات ونصف تقريبًا، ولى هنا فى السعودية ما يقارب السبع سنوات، وأنا مسلمة منذ ست سنوات تقريبًا.

۞ كيف بدأت قصة اعتناقك الإسلام؟

قالت: قبل مجيئى إلى المملكة العربية السعودية لم أكن مسلمة ولم أكن أعرف عن الإسلام شيئًا سوى ما كنا نأخذه فى الثانوية العامة كجزء من دراستنا لمادة الأديان، ومن الأمور التى أتذكرها أن معلمة هذه المادة وهى من المنصرات كانت تقول: إن الإسلام هو دين العرب فقط وإن المسلمين لا يؤمنون بأن عيسى ابن الله.

وعندما قدمت إلى السعودية بدأت أسمع كثيرًا من القصص الكاذبة والأفكار الخاطئة عن الإسلام، فعلى سبيل المثال سمعت أن المرأة إذا حاضت فإنهم يُخرجونها من بيتها مع مجموعة من النساء ولا يراها زوجها حتى تنتهى من حيضتها، ومنها أن الميت إذا مات فهم يحملونه فى شاحنة أو فى أى شىء ويرمونه فى الصحراء من غير دفن، وغير ذلك كثير.

كما أن كل خطأ يفعله أي مسلم يقولون: نعم إنه مسلم، أو أي حدث يحصل يقولون: هؤلاء المسلمون، فكل شيء يعلقونه بالإسلام، والسبب هو الإسلام، أما إذا كان الخطأ من جهة شخص من أي ديانة أخرى فإنهم ينسبونه لنفس الشخص أو يقولون: إنه بشر يخطئ.

بدأت العمل في المستشفى مع طبيبة سعودية وكنت دائمًا أسألها عن الإسلام، ولماذا تصلين؟ ولماذا تصومين؟ ولماذا تتحجبين؟ حيث إن هذه الأمور كانت دائمًا تثير في نفسي التعجب والتساؤل فما الذي يجعلها تقيد نفسها بهذه الأعمال؟!

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الطبيبة كانت بعد أن تنتهي من الصلاة تدعو الله بأشياء ثم تدعو الله أن أُسلم، وقالت لي ذات مرة: أنا يا جيني دائمًا أدعو الله أن تُسلمي؛ لأنك إنسانة طيبة وتعملين أعمالًا صالحة، ولكن يا جيني كل هذه الأعمال لا تنفع الإنسان إذا لم يكن مسلمًا.

وذات مرة في رمضان كانت هذه الطبيبة صائمة، فقلت لها: لا يوجد إلا أنا وأنت يمكن أن تأكلي لا بأس. فنظرت إليَّ متعجبة وقالت: أنا أفعل ذلك لله لأني مسلمة ويجب أن أصوم حتى لو كنت وحدي فالله يراني.

بدأ الصراع يدور في نفسي بين ما عرفته من قبل عن الإسلام، وبين ما لمسته في الواقع، من أجل تغيير دیانتي فما أشاهده ولاحظته عن الإسلام حببني فيه كثيرًا وبعد عدة أشهر أعلنت إسلامي.

۞ أعجبني أشياء كثيرة منها:

المعاملة الحسنة بل المثلى مع كبار السن، ولا أنسى ذلك الرجل الذي خرج من عمله ليأخذ جدته من البيت إلى موعد لها في المستشفى وينتظرها حتى تنتهي من الموعد ثم بعد ذلك يأخذها إلى البيت مرة أخرى ثم يرجع إلى

عمله فقلت له متعجبة: هذا يأخذ منك كثيرًا من الوقت والجهد؟! لماذا لا تكلف أى شخص بأن يفعل ذلك كله؟!

فكانت إجابته: لا...لا... إطلاقًا إن هذه جدتى وأنا يجب أن أحترمها وأقدرها وأبذل كل ما بوسعى لمساعدتها فهذا جزء من ردِّ معروفها وخيرها، وجزء من تعاليم أوامر ديننا.

يا إلهى.. دار فى ذهنى الكثير ومنه ذلك التناقض الذى نعيشه فى الغرب، حيث إن الابن يتخلى عن والديه وهم أقرب الناس إليه.. فى مقابل ذلك الرجل، رأيت فى إنجلترا شابًا يدخل إلى المستشفى لزيارة جدته التى كانت مريضة مرض الموت وهذا يعتبر عندهم إنسانًا بارًا، فسأل الممرضة عن غرفتها. فما لبث أن دخل إلى الغرفة ثم خرج منها فقالت له الممرضة: ما الأمر؟ فقال: إن الغرفة بها خمسة مرضى ولا أعرف أيهن جدتى، فتعجبت الممرضة من أنه لا يعرف شكل جدته، فقال: إن كثرة أعمالى جعلتنى أنشغل عنها.

- أعجبنى أيضًا كيفية صلاة المسلمين وأنها خمس مرات فى اليوم إذ إن دينى السابق لا يتطلب إلا أن تقوم بزيارة أسبوعية لأداء صلاة جماعية لا يفعلها كثير من الناس اليوم هناك، وعندما رأيت ذلك أخذت أفكر فى نعم الله علينا وعطائه لنا، وهل يكفى فى شكره أن يكون مرة فى الأسبوع؟ أليس من المفترض أن تكون الصلاة جزءًا من حياتنا اليومية؟!

- أمر آخر أعجبنى قبل إسلامى وهو أن الإسلام تناول بتوجيهاته وأحكامه جميع جوانب حياة الإنسان فهو هداية شاملة صالحة للحياة السابقة والقادمة.

۞ بعد أن أسلمت، أين بدأت طلب العلم الشرعى؟

لقد تعلمت فى فرع الجاليات وفى مكتب التوعية فى المستشفى لدينا، فدرست القرآن والثقافة الإسلامية واللغة العربية.

۞ هل هذا جعلك تجيدين اللغة العربية؟

نعم أحاول فهم لغة القرآن؛ لأن الأجر الحاصل لكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها إنما تكون فقط بقراءته باللغة العربية وزوجى ولله الحمد يساعدنى فهو لا يسمح لى أن أتكلم إلا بالعربية رغم أنه يجيد الإنجليزية.

۞ ما شاء الله يا جينى أراك ترتدين الحجاب من رأسك إلى أخمص قدميك لا يظهر منك شيء.. فكيف بدأت عندك فكرة ارتداء الحجاب؟

فى بداية الأمر بدأت بغطاء الرأس بعد أن أسلمت من اليوم التالى، وشعرت بشعور غريب عندها وبشعور من الخجل وأيضًا ممن هم حولى، وبخاصة أن كثيرًا من صديقاتى من غير المسلمات بدأن يسخرن منى ويعلقن على حجابى.

ولكن مقابل ذلك ولله الحمد كنت أجد المساندة والتشجيع من المسلمات حولى.

ومع مرور الوقت بدأت أفكر فى الحكمة الحقيقية من تشريع الحجاب والغرض الأساسى منه وكيف من المفترض أن أجمل شيء فى المرأة هو وجهها، والحجاب إنما شُرع ليغطى ما هو أكثر جمالًا وزينة حتى لا تكون هناك أى فتنة لأنظار الرجال، لذلك لابد من تغطية الوجه، بعدها بدأ شعورى بعدم الرضا وبعدم الارتياح من كشفى لوجهى، وبخاصة أن بعض الرجال يأتى ويحملق فى وجهى وينظر إلىَّ بطريقة مقززة، فقررت بعدها تغطية وجهى.. وعندما أقدمت على هذه الخطوة شعرت بسعادة لا مثيل لها وشعرت أنه قد صار هناك حاجز بينى وبين الرجال، ولا أعلم كيف يتمنى بعض النساء الآن أن يحصل العكس وهو كشف الوجه؟!!

ومما هو جدير بالذكر أننى أجزم بأن الحجاب هو لباس إسلامى له غاية حكيمة وليس كما يعتقد البعض بأنه لباس شرقى، وهذا ما يجب أن تعرفه كل مسلمة بأن الحجاب من الله وليس لباس الجَدات أو من عادات القبائل أو المناطق، ولهذا للأسف عندما نسافر إلى الخارج نرى تحرر كثير من

المسلمات، ولا أنسى تلك المرأة العربية المتحجبة فى الطائرة عندما قامت من مقعدها، وبعد فترة عادت وقد خلعت حجابها عنها، وكانت ترتدى بنطلونًا، وقد انتابتنى الدهشة وقلت: ربما لا تكون هى نفس المرأة؛ لولا عودتها لمقعدها ووجود أولادها أنفسهم، ومن الطريف أيضًا ما قالته لى إحدى الصديقات المسلمات: إنها لم تتمكن من ارتداء حجابها فى إحدى المدن التى زارتها فى الأجازة؛ لأنهم هناك يكرهون المسلمين؛ حسنًا لماذا يذهب هؤلاء النساء إلى هناك أصلًا؟!!

❁ هل تلتزمين بغطاء الوجه يا جينى حتى عندما تسافرين؟

بالطبع نعم.

❁ هل حصل لك موقف ما عند سفرك بغطاء الوجه؟

نعم: ومنها أننى عندما ذهبت إلى أمريكا مع زوجى قبل ٣ سنوات وبينما نحن فى الطريق إذ مرت بنا امرأة ورأتنى بالحجاب فصرخت فى وجه زوجى قائلة: إذا كانت زوجتك جميلة لماذا تغطى وجهها؟ ثم ذهبت، وحاولت أن ألحق بها لأوضح لها أن ارتدائى للحجاب إنما بقناعتى لا غير، لكنى لم أتمكن من اللحاق بها.

❁ هل لك نشاطات فى الدعوة وإسداء النصيحة لمن حولك؟

هذا واجبى وواجب كل مسلم، وأنا أحاول ذلك بقدر استطاعتى.

❁ هل تقومين بنصح المسلمات العرب يا جينى بما أنك تجيدين اللغة العربية؟

نعم أحاول.. ومن المواقف الطريفة التى حصلت لى عندما كنت فى مكة لأداء فريضة الحج رأيت امرأة ترتدى عباءة ضيقة جدًّا ومفصلة لجسمها فقلت لها بالعربية: «جسمك بائن، العباءة لازم تكون واسعة» وكأنها تعجبت من

لهجتي في الكلام فقالت مندهشة: إيش!!

❁ ما هو توجيهك لأولئك الذين يترددون في أمر الدعوة إلى الله أو إسداء النصيحة لمن حولهم؟

إنه من المهم جدًّا ألا تخاف من رفض الناس للنصيحة، وماذا عسى أن يُقال لك سوى أن هذا ليس من اختصاصك[١].

❁ ❁ ❁

(١) مجلة المتميزة، العدد الثامن ص(٢٢، ٢٣) إعداد نوال العلي.

ماذا قدمت لدين الله؟

كنت فى مهمة عمل فى مدينة ساوباولو فى البرازيل، ونزلت فى أحد الفنادق قريبًا من المركز الإسلامى فى المدينة..

وذات مرة توجهت إلى مسجد المركز، لأداء صلاة الفجر، وكان الجو باردًا ممطرًا، وما إن دخلت المسجد حتى غمر بدنى وروحى دفء عميق، لكن.. فاجأنى وجود امرأة تجلس فى آخر الصفوف، تضع منديلًا على رأسها، وملابسها غير محتشمة! استغربت ذلك، ودارت فى رأسى التساؤلات، لكنى أرجأت البحث عن إجابتها حتى أدرك الصلاة، كنا ثمانية مصلين، وبعد الصلاة قام شخص فى الخمسين من عمره، يتحدث الإنجليزية بطلاقة، فقال: أنا فلان من نيوزلانده، أعمل محاميًّا، وقد وُلدت هناك لأبوين مسلمين، وبعد أن كبرت تعرفت على الإسلام الحقيقى لا الوراثى، فتلذذت به أيما تلذذ، وحرصت على دعوة المحرومين إليه حتى أبرئ ذمتى أمام الله، وقد وُفقت للعمل الدعوى من خلال شبكة الإنترنت، وخاطبت كثيرًا من الناس، وممن خاطبتهم: تلك المرأة التى تجلس هناك فى آخر الصفوف، وقد بدأت حديثى معها عبر الشاشة عن العمل، فهى تعمل محامية أيضًا، ثم تعمقت أحاديثنا فى الأديان والعقائد، فأخذت أبين لها محاسن الإسلام ومزاياه، واستمرت مناقشاتنا عدة أشهر، فاقتنعت أخيرًا بدخول الإسلام عن رغبة وإيمان، لكنها لم تجد من يعينها على ذلك هنا، وبحثت عن مراكز الدعوة الإسلامية، فلم تجد إلا مركزًا مغلقًا.

خشيت أن يلين عزمها، فأتيت فورًا من نيوزلانده لحضور إسلامها، وتعليمها بعض مبادئ الدين، وإيصالها ببعض المسلمين الذين يعيشون هنا،

ليعين بعضهم بعضًا، ولولا ارتباطى بقضايا مهمة فى نيوزلانده لبقيت عدة أيام، وما أسرعت بالحضور إلا لأننى لا أدرى هل أعيش أنا، أو تعيش هى حتى أفرغ وأجد الوقت المناسب.

ثم ناداها، وقال: الآن سوف تنطق بالشهادة أمامكم، فجاءت إلى مقدمة المسجد، ونطقت بالشهادة، فقال الرجل: الآن هدأ بالى، وسأعود إلى نيوزلانده، وأتركها أمانة فى أعناقكم. يا مسلمى ساوباولو! إنها مسؤوليتكم أن تنصروها، وتتعاهدوها، وتعلموها الإسلام، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.. انتهى الرجل من كلامه، فقام أحد المصلين «من المقيمين فى ساوباولو» وقال: أنا أتعهد بها مع زوجتى البرازيلية، سرت فى جسدى قشعريرة، فلم أنتبه إلا وأدمعى تذرف، وإذ بالذى بجوارى يبكى وينتحب، والذى بجواره.. وإذ بنا نذرف الدمع عندها عرفت أنه لا يزال فى الناس من يبذل الغالى والنفيس... من أجل إنقاذ نفس من النار، وأن هناك مَنْ يبكى فرحًا بذلك، وأن هناك من سيبكى خجلًا، إذ لم يبذل شيئًا لهذا الدين، بقى أن تعرفوا أن هذا الداعية المسلم قد قطع نصف قطر الكرة الأرضية قبل أن يصل إلى «ساوباولو» ليصلى معنا صلاة الفجر![1].

❁ ❁ ❁

(١) كتبه د. فهد محمد الخضيرى. عن مجلة الأسرة.



قصة إسلام الدانمركية كريمة محمد فهيم

نشأتُ فى مدينة «أهوش» الدانمركية لأبوين نصرانيين.

درست فى طفولتى الإنجيل الذى لم يُجب عن تساؤلات ظلت تدور فى عقلى. كنت أبحث عن الدين الحق، وكنت أحب القراءة فى مجال الأديان.

تزوجت شابًّا دانمركيًّا يعمل مصممًا للملابس، وكنت أقوم بعرض للأزياء.

كان زوجى لا يعتقد بوجود إله، ويرى ما رآه «داروِن» بأن الإنسان كان قردًا ثم تطور، وكانت هذه نقطة الخلاف الدائم بيننا، فهو مادى ملحد، وأنا مؤمنة إيمانًا راسخًا بوجود خالق واحد.

أنجبت من زوجى ثلاثة أطفال قبل أن أنفصل عنه.

رحت أبحث عن الدين الحق، واطلعت على ترجمات للقرآن الكريم كانت محرفة وتحتوى على العديد من الأفكار القاديانية.

التقيت بالكثير من المسلمين الأتراك والباكستانيين، ولكن صورة الإسلام عندهم لم تكن واضحة مثل معظم المسلمين المتغربين.

لم تُرضنى هذه الصورة للإسلام فبدأت أتردد على المكتبات أبحث عن الكتب الإسلامية المترجمة.

تعرفت على محاسب مصرى يعمل فى الدانمرك، وكان داعية، فحدثنى عن الإسلام وقدم لى صورته الصحيحة.

حين كان يحدثنى عن الإسلام ويذكر لى أن الله يغفر الذنوب جميعًا عدا الشرك به كنت أبكى.

أعلنت إسلامى وتزوجت من الشاب الداعية، واسمه محمد فهيم، وصرت أقف معه أصلى مثله.

علمنى زوجى الإسلام لتبدأ رحلتى بعد ذلك فى الدعوة.

أسلم أبنائى الثلاثة (خالد ويعقوب وأمينة)، وأمى، وجدتى لأبدأ بعدها بالتحرك خارج نطاق أسرتى.

معظم الدانمركيين لا يعرفون الإسلام حقًّا ويجهلون تعاليمه، فبدأت مع ثلاث أخوات دانمركيات مسلمات باستئجار غرفة صغيرة تابعة لمسجد فى أحد المنازل، ونشرنا إعلانات فى الصحف، وتجولنا بأنفسنا، نوزع على الناس إعلانًا يقول: «إذا أردت الحصول على إجابة منطقية وسليمة عن أسئلتك فى العقيدة، وإذا أردت معرفة الحقيقة.. فاتصل بالمسلمات الدانمركيات».

قمنا بجولات فى المدارس الدانمركية للتعريف بالإسلام، وقمنا ببث برامج إذاعية عن الإسلام فى الإذاعة المحلية.

أنشأنا مدرسة وحضانة إسلاميتين للحفاظ على أطفال المسلمين.

فى الدانمارك حرية نستفيد منها لخدمة الدين الإسلامى.

أهم معوقاتنا: ندرة المال، واختلاف بعض المسلمين فيما بينهم.

بعد إعلاننا عن دعوتنا اتصل بنا بعض القساوسة وقالوا لنا: «إننا نريد أن ننقذكن من النار، ونحن نشعر بالأسى عليكن»، وحاولوا رد بعض المسلمات عن دينهن، لكننا قلنا لهم: «سنرى يوم القيامة من سيشعر بالأسى؟».

الحمد لله، بعد أن كنا أربع مسلمات صرنا الآن ٤٥ مسلمة دانمركية.

قيمة المرأة فى الغرب بقدر جمالها وأنوثتها.. فلا قيمة لها عند الرجل وفى المجتمع إذا فقدت هذين الشيئين.

حالات الطلاق كثيرة جدًّا، والمرأة هنا ضعيفة من داخلها، ولا تجد أسرة تلجأ إليها، ولا كيانًا تحتمى به وقت الشدة، ولذا فهى تلجأ إلى الأطباء النفسانيين والحبوب المهدئة [1].

---

(١) من كلمات المسلمات الجديدات (١/ ١٩-٢٢).

وأخيرًا

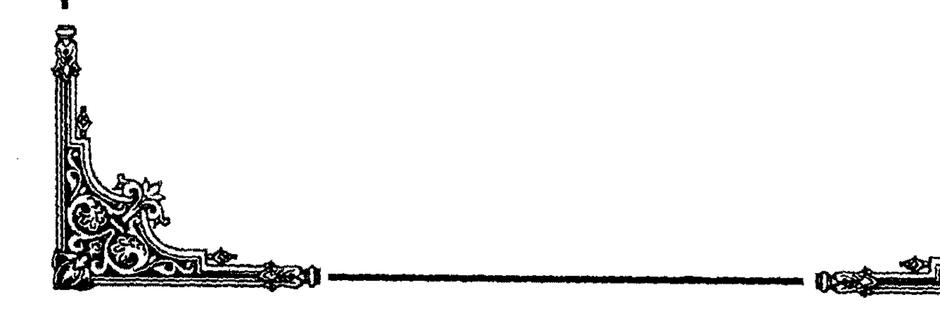
وهكذا عشنا بقلوبنا مع هذه النماذج المشرقة التى أثلجت صدورنا فيا ليتنا نعلم بأن الإسلام لم ينتشر إلا بالقدوة الطيبة والأخلاق العذبة واللين والرحمة والصدق والأمانة فتعالوا بنا لنحول الإسلام إلى واقع عملى ومنهج حياة فيرانا الناس من حولنا فيرون الإسلام من خلالنا واقعًا عمليًّا منظورًا فإن عمل رجلٍ واحد فى ألف رجل أفضل من قول ألف رجل فى رجل.

وفى الختام: فإنى أسأل الله (جل وعلا) أن يفتح قلوب الناس جميعًا للإسلام ليسعدوا فى الدنيا والآخرة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



في الثَّبات على دين الله (جل وعلا)





الثبات في زمن الغربة الثاني

نحن نعلم أنه فى زمن العزة الأول، يوم أن كان المسلمون ينهلون من النبع الصافى - من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ- كانت المرأة المسلمة تشعر بقدرها ومكانتها فلقد جاء الإسلام فأعلى قدرها ورفع مكانتها فى كل مراحل عمرها بدءًا من طفولتها وإلى أن تصبح أمًّا وجدَّة بل ويستمر التكريم لها حتى بعد موتها بأن يدعو لها ولدها ويستغفر لها ويفعل كل ما أوجبه الشرع عليه تجاه أمه التى ضحَّت من أجله بالنفس والنفيس.

۞ ودارت عجلة الزمان وأصبح المسلمون فى حالة من الضعف لا يعلمها إلا الله (ﷻ)، وذلك بسبب بُعدهم عن أصل عزهم ونبع شرفهم ومعين كرامتهم فسلط الله عليهم أذل وأحقر الأمم فاستباحوا بيضتهم ودنَّسوا مقدساتهم وسلبوا أموالهم بل واستطاعوا أن يجعلوا الكثير من المسلمات - إلا من رحم الله - يتجردن من الحياء والحجاب - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ وفى ظل تلك الفتنة التى تموج موجًا أصبحت الأخت المسلمة تنظر إلى الواقع الذى تحياه الأمة فتبكى الدماء بدل الدموع... وإذا بالغربة تعتصر قلبها.

فإذا لبست حجابها اتهموها بالتخلف والرجعية وإذا أرادت أن تطهر بيتها من أدوات الهدم والفساد اتهموها بالتزمُّت والتشدد... فماذا تصنع وهى غريبة فى مجتمعها.

فهى إذا نظرت إلى المجتمع من حولها تجد أنها فى وادٍ وأكثر أفراد المجتمع فى وادٍ آخر... إنها تريد الآخرة والجنة... وأكثر الناس من حولها يأكل بعضهم بعضًا من أجل الدرهم والدينار... إنها تجد نفسها على المنهج الصحيح وأكثر الناس من حولها يرفضون هذا المنهج ويُطلقون العنان لشهواتهم وملذاتهم... فتجد نفسها غريبة بين أفراد المجتمع... فالكل - إلا

من رحم الله- ينظر إليها وكأنها قد أتت من كوكب آخر.

۞ وها هى تنظر مرة أخرى إلى نفسها بين أفراد أسرتها فتجد أن أمها أو أباها يرفضان حجابها وقد يمنعها الأب من ذلك مع أنها تريد أن تلبس حجابها لتُرضى ربها ﷻ... وأحيانًا تجد أن الأب قد يوافق على أن تلبس حجابها - على كُره منه - ولكنه يمنعها من طلب العلم أو من استقبال أخت صالحة تعينها على طاعة الله ﷻ... فتجد الأخت نفسها فى غربة شديدة حتى فى جوف بيتها.

۞ وها هى تنظر مرة ثالثة إلى نفسها وهى فى بيت زوجها الذى خدعها فى بداية الأمر فظنت أنه شاب متدين وإذا به ينسلخ من دينه قلبًا وقالبًا ويطلب منها أن تنسلخ هى الأخرى من دينها وأن تخلع حجابها بل ويهددها أحيانًا فتجد نفسها فى غربة ما بعدها غربة - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ وأمام هذه الصور والمشاهد العجيبة ماذا تصنع الأخت المسلمة؟

والجواب: اعلمى أيتها الأخت الفاضلة - حفظك الله ورعاك - أن الدنيا كلها ساعة وأن الأنفاس معدودة وأنك ستفارقين الدنيا لا محالة وستقفين بين يدى الحق (جل وعلا) فيسألك عن كل صغيرة وكبيرة... وقد قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**»[1].

فاحذرى من الانتكاس وتمسكى بشرع الله وسُنة رسول الله ﷺ وسوف يجعل الله لك من كل هذا فرجًا ومخرجًا فقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[2].

فاحذرى أن تذوبى مع رغبات الزوج أو الأسرة أو المجتمع وليكن عزاؤك أن هذه الغربة وأن هذا الابتلاء هو طريق الأنبياء وكل من سار على دربهم وقد

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٠٩٨) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥٢٠).

(٢) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

جعل الله (ﷻ) النصيب الأوفر من البلاء من نصيب الأنبياء والصالحين ليرفع درجتهم.

واعلمي أننا سننسى كل بلاء وشقاء مع أول غمسة في جنة رب الأرض والسماء... تلكم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

بدأ الإسلام غريبًا

قال ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»(١).

وفي رواية قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يَصلحون إذا فسد الناس**»(٢) وفي رواية قال: «**أُناس صالحون في أُناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(٣).

فأهل الغربة أهل صلاح وإصلاح. صالحون ومصلحون يتحركون لدعوة الناس إلى هذا الدين العظيم.

وكما عاش النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم تلك الغربة الأولى فها نحن نعيش غربة الإسلام الثانية التي تجعل الحليم حيرانًا ولذا قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل**»(٤).

بل لقد أخبر النبي ﷺ عن الفتن في هذا الزمان فقال: «**سيأتي على الناس**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٢٤٩) أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٢١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

سنوات خدَّاعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة**»(١).

ولنا أن نتصور مدى الغربة التى يعيشها المسلم فى زمان يصدق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق. إنها الغربة التى تكاد أن تعصف بالقلوب. فاللهم ثبت قلوبنا على التوحيد والإيمان.



سنة ربانية

ولقد أخبر الحق (جل وعلا) فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ أن أهل الإيمان والتوحيد غرباء وهم قلة قليلة.

وأن أهل الفساد والإفساد هم أكثر أهل الأرض فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾(٥).

فالموحدون يعيشون دائمًا فى غربة شديدة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) كتاب الفتن، وأحمد (٧٨٥٢) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٥٠).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٤) سورة يوسف: الآية: (١٠٦).

(٥) سورة سبأ: الآية: (١٣).

آسية امرأة فرعون

وتأملي معي أيتها الأخت الفاضلة كيف كانت غربة آسية (امرأة فرعون)، وهي المؤمنة التي تعيش في قصر رأس الكفر فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى... والذي قال: ما علمت لكم من إله غيري... ومع ذلك عاشت امرأته على الإيمان والتوحيد ولم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون، طالبة إلى ربها بيتًا في الجنة. وتبرأت من صلتها بفرعون، فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء، وهي ألصق الناس به، وتبرأت من قوم فرعون، وهي تعيش بينهم. ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

❁ فلما علم فرعون بإيمانها عذبها عذابًا شديدًا لترجع عن دينها فلم تفعل.

قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: مَن غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتُزعت روحها.

وقدر ورد أنَّ فرعون لما هددها بالعذاب الشديد، وشَدَّ جسمها على الأوتاد في حر الشمس عساها أن ترجع عن إيمانها أو تكفر بربها ... لكن ذلك كله لم يؤثر، ولم ينقص من إيمانها ذرة ... حتى قالت له: يا هذا، إنك غلبتني على نفسي وجسمي، وأما قلبي فهو في عصمة ربي ... فافعل بي ما تشاء ... فمرَّ عليها نبي الله موسى عليه السلام، وهو يقول لها: «يا آسية ألك حاجة أقضيها؟»، فكانت ترد قائلة:

---

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

«يا موسى، أَرَضِي ربى أم لا يزال غضبانًا؟» فيقول لها الكليم عليه السلام: «يا آسية، كيف لا يرضى عنك ربك؟! إنه يباهى بك الملائكة فى السماء، وإن الملأ الأعلى كلهم فى انتظارك، فسلى حاجتك من الله، فإنها مقبولة». فقالت:

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ثم فاضت روحها إلى الله جل وعلا ... وماتت شهيدة حميدة ... مُؤْثِرة دينها على دنياها ... مختارة ربها على كل من سواه[2].

عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «**إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد فى يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة. فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. فكشف لها عن بيتها فى الجنة**»[4].

ولذلك جعلها الله عز وجل مثلًا للمؤمنات فى كل زمان فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فعلى الرغم من أن تيار الكفر كان شديدًا إلا أنها قاومت وسارت فى الاتجاه المضاد لتلحق بركب المؤمنات فى جنة الرحمن (جل وعلا).

---

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

(٢) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوى (١/ ٣٢) بتصرف.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) **صحيح**: رواه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٣١٦) رقم (٦٤٣١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٥٠٨).

ماشطة ابنة فرعون

كان النبى ﷺ فى رحلة التكريم العظيمة التى أكرمه الله بها... وهى رحلة الإسراء والمعراج.

وبينما كان النبى ﷺ مع جبريل عليه السلام فى السماوات العُلى إذ تنسَّم رائحة جميلة طيبة لم يشم رائحة أجمل منها فقال: «**يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟**».

فقال له جبريل: إنها رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.

فتعجب النبى ﷺ وقال له: «**وما هى قصتها يا جبريل؟**».

فقال له جبريل: كانت هذه المرأة تعيش هى وأولادها فى قصر فرعون الطاغية... وكانت تعتنى بابنة فرعون وتمشط لها شعرها وتقوم بكل شؤونها.

وفى يوم من الأيام آمنت هذه المرأة بالله - جل وعلا - وكتمت إيمانها حتى لا يعلم فرعون بذلك... لأنه إذا علم أنها آمنت بالله فسوف يقتلها هى وأولادها.

وفى يوم من الأيام كانت هذه المرأة المؤمنة تمشط شعر ابنة فرعون فسقط منها المشط على الأرض فمدت يدها لتأخذ المشط وقالت: بسم الله.

فقالت ابنة فرعون: تقصدين أبى؟

فقالت لها الماشطة: لا... ولكن ربى ورب أبيك الله -جل وعلا- فقالت ابنة فرعون: سأخبر أبى أن لك إلهًا غيره فقالت لها الماشطة: افعلى ما شئت فأنا لا أعبد إلا الله.

۞ وذهبت تلك الفتاة المغرورة ابنة فرعون إلى أبيها وأخبرته بذلك فما كان منه إلا أن دعا الماشطة وسألها: هل تعبدين إلهًا غيرى؟

قالت الماشطة: نعم.. أعبد الله ربى وربك ورب الناس أجمعين.

فما كان من فرعون الطاغية إلا أن استعمل وسيلة من أشد وسائل التعذيب

وهى عبارة عن بقرة مصنوعة من النحاس.

فأمر بإشعال النار من تحتها حتى حميت وأصبحت كأنها جمرة من النار ثم أمر بإلقاء أولاد هذه المرأة المؤمنة فى تلك البقرة النحاسية.

۞ ولكنه قبل أن يُلقى أولادها فى تلك البقرة النحاسية التى أصبحت كالفرن المشتعل طلب منها أن ترجع عن دينها وأن تعبده هو مرة أخرى فرفضت وقالت: لا أعبد إلا الله.

۞ وبدأ فرعون الطاغية يأمر الجنود بإلقاء أولادها واحدًا بعد الآخر... والأم تنظر إلى أولادها وتبكى لكنها ترفض أن تكفر بالله.. وترجو أن يجمع الله بينها وبين أولادها فى الجنة.

۞ وكادت هذه المرأة أن ينخلع قلبها وهى ترى أولادها يموتون أمام عينيها تلك الميتة البشعة.

۞ وبعد قتل أولادها لم يبق إلا طفل رضيع كان يرضع من ثديها فى تلك اللحظة فجاء الجنود بكل قسوة فنزعوه من على صدرها فرقَّ قلب هذه المرأة وتألمت ألمًا شديدًا عندما أرادوا أن يقذفوا هذا الطفل الرضيع فى تلك البقرة النحاسية المشتعلة وكادت أن تُفتن وترجع عن دينها فثبتها الله بمعجزة لا تخطر على قلب بشر.

فقد أنطق الله هذا الطفل الرضيع فقال لأمه: يا أُمه اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

۞ فأخذ الجنود هذا الطفل وألقوه فى البقرة النحاسية المشتعلة فمات.

۞ وهنا طلبت الماشطة من فرعون طلبًا وقالت له: إن لى إليك حاجة.

قال فرعون: وما حاجتك؟

قالت: أتمنى أن تجمع عظامى وعظام أولادى فى ثوب واحد وتدفننا.

فوافق فرعون.

واقتحمت الماشطة ونزلت فى تلك البقرة النحاسية المشتعلة فماتت..

وأمر فرعون جنوده أن يجمعوا عظام هذه المرأة وأولادها فى ثوب واحد وأن يدفنوهم فى قبر واحد.

وكانت رائحة الشواء تفوح من عظام المرأة وأولادها فأكرمها الله -جل وعلا- بأن جعل لها ولأولادها عطرًا جميلًا يفوح فى السماوات السبع ليشم النبى ﷺ تلك الرائحة فى رحلة الإسراء والمعراج.

❀ ❀ ❀

❀ **ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:**

«لما كانت الليلة التى أُسرى بى فيها أتت علىَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى - أى المشط - من يديها، فقالت: بسم الله فقالت لها ابنة فرعون: أبى؟ قالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك الله، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة ! وإن لك ربًّا غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربُّك الله، فأمر ببقرةٍ من نحاس، فأُحميت، ثم أمر بها أن تُلقَى هى وأولادها فيها، قالت له: إن لى إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد، وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق. قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مُرضَع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه، اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت»(١).

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وحسن إسناده مُحققو المسند (٣/ ٣٠٩).

ثبات الأم في قصة أصحاب الأخدود

وهى قصة قريبة فى نهايتها من قصة ماشطة ابنة فرعون،... فالله أنطق الطفل الرضيع ليكون سببًا فى ثبات أمه على الحق حتى آخر لحظة فى حياتها.

۞ وها هى القصة كما حكاها النبى ﷺ.

عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ

بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٥) كتاب الزهد والرقائق.

هذه القصة التى سَلَّى الله ﷻ بها نبيه ﷺ والصحابة الكرام وهم يعانون أشد ألوان العذاب بمكة مليئةٌ بالمواقف الإيمانية، وما أحوج الدعاة والداعيات وعموم الناس إلى معرفة هذه المواقف، حتى يزدادوا تمسكًا بدين الله ﷻ وصبرًا على الدعوة إليه، وهى تبين قيمة الإيمان وحرص المؤمن على دينه، ومحافظته على يقينه، وأنه يتمسك بالإيمان، ولو وُضِعَ المِنْشَارُ فى مِفْرَقِ رَأْسِهِ، كما كان من الراهب وجليس الملك ويرضى أن يُلقَى في نيران الدنيا إذا كان يفدى بذلك دينه، ويحافظ على يقينه.

وانظرى إلى الغلام الذى يضحى بنفسه حتى تنتشر دعوته، وتعلو رايته، إنها مواقف إيمانية عظيمة متتابعة يستأنس بها المؤمن فى سيره إلى الله ﷻ، وما أحوجنا فى مثل تلك الأزمنة الغابرة إلى هذه المواقف الإيمانية.

والقصةُ تبين بجلاء انتصار الإيمان واستعلاء أهله عن كل ما يراد بهم حتى لو طُرِحُوا فى النار(١).

وانظرى مرة أخرى إلى تلك المرأة الصالحة التى ضحَّت بحياتها من أجل أن تنصر دينها وعقيدتها ... وكان من الممكن أن تنطق كلمة الكفر بلسانها ما دام الإيمان يملأ قلبها إلا أنها آثرت أن تنال الشهادة فى سبيل الله (جل وعلا) لأنها تعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ... وأن الحياة الحقيقية لن تكون إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

❁ ❁ ❁

(١) مواقف إيمانية / د. أحمد فريد (ص/ ٢٤٥) بتصرف.



زِنِّيرة رضي الله عنها

كان المشركون يعذبون المسلمين عذابًا شديدًا وكان من جملة هذا العذاب أنهم كانوا يُلقون المرأة المسلمة ويحملون لها مكاوى الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويَدَعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها، وممَّن عُذب بهذا العذاب (زنيرة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قال المشركون: «ما أصاب بصرها إلا اللات والعُزَّى، فقالت لهم: «والله ما هو كذلك، وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، والله قادر على أن يرد علىَّ بصرى»، قيل: «فردَّ عليها بصرها»، فقالت قريش: «هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم»... وقد اشتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنها[(١)].

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ١٢٦).

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

كانت سودة رضي الله عنها زوجة للصحابى الجليل السكران بن عمرو رضي الله عنه وذلك قبل أن تصبح زوجة للنبي ﷺ وأُمًّا للمؤمنين.

ولقد كانت هى وزوجها فى زُمرة السابقين إلى الإسلام، فما إن علم كفار قريش بإسلامها هى وزوجها حتى صبُّوا عليهما البلاء صبًّا.

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم، واتَّبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على مَن فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يَصلب لهم، ويعصمه الله منهم.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحدٌ، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**»(١).

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام.

۞ وهاجرت سودة مع زوجها رضي الله عنهما وعاشا فى رحاب النجاشى - ذلكم الملك العادل - أطيب حياة فى ظل الإيمان والتوحيد.

وبعد ذلك عادوا إلى مكة المكرمة لينعما بصُحبة الحبيب ﷺ ... فإن

---

(١) ذكره ابن إسحاق من غير إسناد، وابن كثير فى «البداية» (٣/ ٦٦) من بلاغات ابن إسحاق - نقلًا من «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٦٦).

المؤمن يستعذب العذاب فى جوار رسول الله ﷺ عن الراحة والنعيم بعيدًا عن الحبيب ﷺ.

فلما عادا إلى مكة وجدا أن قريشًا ما زالت تعلن العداء لدعوة النبى ﷺ وتسلط على أصحابه من العذاب ألوانًا ولكن النبى ﷺ كان يطمئن قلوبهم بأن نصر الله قريب وأن العزة ستكون لأوليائه والخزى سيكون لأعدائه.

وتمر الأيام ومازال الزوجان يتعايشان فى كل لحظة مع كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ إلى أن جاءت اللحظة التى نام فيها السكران على فراش الموت وفاضت روحه إلى بارئها - جل وعلا - فمات فى مكة فحزنت عليه سودة حُزنًا شديدًا.

وأصبحت سودة رضي الله عنها وحيدة فى هذه الدنيا ولكنها صبرت صبرًا جميلًا ورضيت بقضاء الله لأنها تعلم يقينًا أن الله (جل وعلا) أرحم بعباده من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

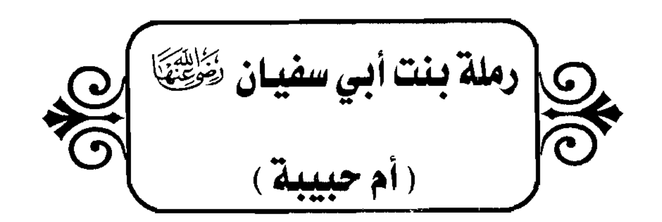
وأن العبد إذا صبر واحتسب فإن الله يعوضه خيرًا ولكنها لم يكن يخطر ببالها أبدًا أنها ستكون فى يوم من الأيام أمًّا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

وكان النبى ﷺ فى تلك الأيام حزينًا لموت خديجة رضي الله عنها التى كانت أحب الناس إلى قلبه ﷺ[1].

ومرت الأيام وجاءت المنحة الربانية من عند الرحيم الودود (جل وعلا) .. فلقد تزوجها النبى ﷺ ليعوضها عما رأته فى حياتها، ولتصبح زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ وأُمًّا للمؤمنين رضي الله عنها.

❀ ❀ ❀

(١) صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف (٦٧: ٧٠) بتصرف.



كانت أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) تعيش مع أبيها فى مكة... وكانت طيبة رقيقة القلب تحب الخير لكل الناس من حولها.

۞ وتمر الأيام ويرسل الله جل وعلا حبيبه محمدًا ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور،... وكانت أم حبيبة فى ذلك الوقت قد تزوجها عُبيد الله بن جحش.

وما إن سمعا ببعثة النبى ﷺ حتى أسرعا إليه وأسلما لله جل وعلا فهما يعرفان أن النبى ﷺ هو الصادق الأمين الذى يشهد بصدقه وأمانته كل أهل مكة.

۞ لكن أباها لما علم بإسلامها هى وزوجها امتلأ قلبه غلًا وحقدًا على ابنته وزوجها.

ثباتها على دينها

وأبو سفيان كان سيدًا من سادات قريش ولم يكن يخطر بباله لحظة واحدة أن هناك من يستطيع أن يخالف أمره أو يخرج عن سلطانه لكن ابنته (رملة) التى تُكنَّى بـ(أم حبيبة) شرح الله صدرها للإسلام فاستجابت لدعوة الحق من أول لحظة وأسلمت لله - جل وعلا - وتركت دين الآباء والأجداد ونبذت الأصنام التى كانوا يسجدون لها من دون الله ﷻ.

وحاول أبو سفيان بكل ما أُوتى من قوة أن يردَّ ابنته وزوجها إلى دين الآباء والأجداد فلم يستطع لأن الإيمان إذا لامس شغاف القلوب فلا يستطيع الكون كله - ولو اجتمع - أن يقتلع الإيمان من هذه القلوب التى رسخ فيها الإيمان وعمقت جذوره.

الهجرة إلى الحبشة

ولما تيقنت قريش من أن أبا سفيان عاجز عن أن يردَّ ابنته وزوجها إلى دين الآباء... وأنه أصبح ساخطًا على ابنته وزوجها اجترأت عليهما وبدأت تضيِّق عليهما الخناق.

ولم يكن هذا التضييق خاصًّا بهما بل لسائر المستضعفين من المسلمين فلقد قرر المشركون ألا يألوا جهدًا فى محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام. ومنذ جهر الرسول بالدعوة إلى الله، وعالن قومه بضلال ما ورثوه عن آبائهم. انفجرت مكة بمشاعر الغضب وظلت عشرة أعوام تَعُدّ المسلمين عُصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت فى الحرم الآمن من دمائهم وأموالهم وأعراضهم[1].

فلما خشى النبى ﷺ على أصحابه من أن يُفتنوا فى دينهم أذِن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا إلى الحبشة.

عندئذ خرج فوج من المسلمين مهاجرين إلى أرض الحبشة، مُستخفين من أعدائهم المشركين، وكان فيمن خرج من مكة مهاجرًا إلى الحبشة عبد الله بن جحش، وأخوه عُبيد الله تصحبه زوجته رملة بنت أبى سفيان.

❁ ❁ ❁

(١) فقه السيرة للغزالى (ص: ١٢٠).

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها

لله درُّها ... أبوها شيطان من شياطين الإنس، وهى رضي الله عنها كانت ممَّن أسلم قديمًا وبايعت وخرجت إلى المدينة مُهاجرة تمشى، فتبعها أخواها عمارة والوليد ليرُدَّاها، فلم ترجع.

قال ابن سعد: «هى أول مَن هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى ﷺ، ولا نَعْلم قرشية خرجتْ من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلَّا أمّ كلثوم. خرجت من مكة وحدها، وصاحبت رجلًا من خُزاعة حتى قَدِمتْ فى الهدنة، فخرج فى أثرها أخواها، فَقَدِما ثانى يوم قدومها، فقالا: يا محمد، شرطنا أوْفِ به. فقالت أم كلثوم: يا رسول الله ﷺ أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنونى فى دينى ولا صَبْر لى. فنقض الله العهد فى النساء، وأنزل آية الامتحان، وحكم فى ذلك بحُكم رضوا به كلُّهم، فامتحنها رسول الله ﷺ، والنساء بعدها: «ما أخرجكنَّ إلا حبُّ الله ورسوله والإسلام، لا حبَّ زوج ولا مال؟» فإذا قلن ذلك لم يُردَدْن.

هاجرت رضي الله عنها ولم يكن لها زوج بمكة، فتزوجها زيد، ثم الزبير، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم عمرو بن العاص فماتت عنده»[(١)].

فانظرى كيف تصنع العقيدة وطلبُ الحق بامرأةٍ عظيمة، كان والدها شيطان قريش، فتخرج ماشية إلى رسول الله ﷺ ... والله إن هذا الموقف تعجز عن تصويره الكلمات... امرأة ليس لها زوج، تعانى حرَّ هجير جبال مكة الكالح ووحشتها، تفرُّ بدينها، ويلحقها أخواها فلا ترجع، ويُنزل الله رحمتها من السماء[(٢)].

---

(١) الطبقات لابن سعد ص (٢٣٠).

(٢) صلاح الأمة (٤/ ٦٣٤).

سمية (أم عمار) رضي الله عنها

بل ها هى سمية - أم عمار بن ياسر - (رضى الله عنهم جميعًا)... ها هى تذوق آلام الغربة الأولى للإسلام فلقد كان المشركون يعذبونها هى وزوجها ياسر وابنها عمار وكان النبى ﷺ يمر عليهم وهم يُعذَّبون ويقول لهم: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**»[1].

وهنا بدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطورًا من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة فى الإسلام، وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل - عليه من الله ما يستحقه - فطعنها فى موطن عفتها فقتلها.

رحم الله زمان العزة

ولا نستطيع ونحن نعيش فى ظل تلك الغربة القاتلة إلا أن نقول: رحم الله زمان العزة.

فلو رجعنا إلى الوراء لرأينا كيف أن النبى ﷺ أجلى يهود بنى قينقاع؛ لأنهم راودوا امرأة مسلمة على كشف وجهها فقط.

❁ **وها هى القصة كما رواها ابن هشام حيث قال:**

كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلبٍ لها فباعته بسوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت

(١) حسن صحيح: الطبرانى فى الأوسط (٢/ ١٤١، رقم ١٥٠٨)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى فقه السيرة (ص١٠٣).

سوأتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأُغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع.

۞ فإن كان النبى ﷺ أجلى يهود بنى قينقاع لأنهم حاولوا كشف وجه امرأة مسلمة واحدة... فماذا نقول فى هذا الزمان الذى نعيشه وقد استطاع اليهود من خلال بيوت الأزياء العالمية أن يجعلوا أكثر المسلمات - إلا من رحم الله - يخرجن كاسيات عاريات - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أين الرجال

تلك الصرخة التى أطلقتها تلك المرأة سمعتها آذان تسمع وقلوب تنبض فيها الدماء تمتزج مع الغيرة والشهامة، تلك الصرخة تلقَّفها رجال وليسوا أشباه رجال، فكانت أن أصلت إغاثة الأعراض فى نفوس المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ، والمرأة مُصانة عِرضها، يُسمع لصرختها إذا استنجدت الملايين من المسلمين، كل منهم يحسب أن كل امرأة مسلمة هى عِرضه، وإن كانت لا تَمُت له بصلة إلا صلة العقيدة، حتى جاء زمن المعتصم، ويسمع عن امرأة يُعتدى عليها وتهان كرامتها فتصرخ «وامعتصماه».

فتهز قلبه تلك الاستغاثة، وتغلى الدماء فى قلبه، فيعد العدة، ويجهز الجيش ليُسيره من أرض الخلافة إلى الأرض التى صرخت منها تلك المرأة ليؤدب العدو، ويرد للمرأة اعتبارها وكرامتها، ثم يرجع منصورًا على عدوه الذى استهان بأعراض المسلمين، أما الآن فكم من صرخات تتلاشى وتتفتت على جدار الصامتين من الأنظمة، صرخات أخواتنا فى فلسطين كل يوم على أيدى اليهود، وصرخاتهن فى مخيمات لبنان على أيدى الكتائب الباطنيين، وصرخاتهن فى الفلبين وفى بلغاريا... صرخات وصرخات فى كل مكان ولا مجيب، فلقد

مات رواد الجيل الأول، ومات جيل المعتصم فلا معتصم، وتظل صيحات النساء المسلمات لا ترى لها صدى ولا ترى غيرة تتحرك أو دمًا يفور[(١)].

أجر الغرباء

أختاه: تذكرى أجر الغرباء الذى أخبر عنه سيد الأتقياء ﷺ حيث قال: «**فطوبى للغرباء**»[(٢)]... ووضح ذلك فى حديث آخر فقال: «**طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[(٣)].

بل وضح النبى ﷺ أجر الذى يتمسك بسنته فى زمن الغربة فقال: «**يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم**»[(٥)].

وقال ﷺ: «**طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات**»[(٦)].

فأبشرى أيتها الأخت المباركة بتلك البشريات وتمسكى بسنة الحبيب ﷺ لتظفرى برضوان رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

---

(١) مواقف تربوية/ عبد الحميد البلالى (ص ٢٤، ٢٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٥) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أحمد (١١٢٧٦) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٢٦٠) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٥) صحيح: رواه الطبرانى (١٠/ ١٨٢، رقم ١٠٣٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢١٧١١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٤).

عوامل الثبات على دين الله (جل وعلا)[(١)]

الثبات على الحق سِيمَا أهل الحق، فأهل الحق هم أعظم الناس صبرًا على أقوالهم ومعتقداتهم ... لما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن أصحاب محمدٍ ﷺ فى المدة التى مَادَّ فيها رسول الله ﷺ قريشًا: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا. قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب[(٢)].

(١) فمن عوامل الثبات على الحق تدبُّر القرآن ومدارسته والعمل به:

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[(٣)].

فمن أعظم أسباب الثبات الاعتصامُ بالقرآن، أى: قراءته وحفظه ومدارسته والقيام به بالليل والعمل به بالنهار، وإنما كان القرآن من أعظم وسائل الثبات لأمور:

الأمر الأول: أنه يشتمل على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[(٤)].

الثانى: أن سماعَ القرآن يزيد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[(٥)].

---

(١) بتصرف من كتاب (مواقف إيمانية) للدكتور أحمد فريد (حفظه الله).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى.

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣٢).

(٤) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩-٥٠).

(٥) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

الثالث: أن القرآن يعالج أمراض الشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٢].

وإذا سَلِمَ القلبُ من أمراض الشبهات والشهوات كان أقوى على مواجهة الفتن وأكثر ثباتًا على الحق.

الرابع: أن القرآن يشتمل على القصص الذى يبشر المؤمنين بالنصر والتمكين، ويظهر فيه عاقبة المجرمين، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

(٢) الاستجابة لله ﷻ ولرسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[٤]، فالاستجابة لأمر الله ﷻ والانتهاء عما نهى الله ﷻ عنه يقوى قلب المؤمن، فيكون أقدر على الثبات، وأكثر تمسكًا بالحق حتى الممات.

فَكُلُّ الطاعات أغذيةٌ لقلوب العباد كما أن كلَّ المعاصى سمومُ القلوب، فمهما التزم العبد بأوامر الله ﷻ وانتهى عما نهى الله ﷻ عنه، فإنه يكون قويًّا فى مواجهة الفتن، ومهما كان العبد مفرطًا فى اتباع شرع الله، متهاونًا فى تنفيذه، فإنه يكون ضعيفًا أمام فتن الشبهات والشهوات، وَمَنْ أُعْطِى أسباب الفتنة من نفسه أولًا لم ينْجُ آخرًا وإن كان جاهلًا، قَالَ بَعْضُهم:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القلوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٣) سورة هود: الآية: (١٢٠).

(٤) سورة النساء: الآية: (٦٦).

وَتَـرْك الـذُّنُوبِ حَيَاةُ القلـوبِ   وَخَيْـرٌ لِنَفْـسِكَ عِصْيَانُهَا

(٣) كثرة ذكر الله ﷻ:

لما أرسل الله ﷻ هارون وموسى إلى فرعون أوصاهما بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[(١)]، وأمر الله ﷻ المؤمنين عند ملاقاة الكفار بالإكْثَارِ من الذكر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٢)].

فكثرةُ الذكر تقوِّى القلب والبدن، وقد عَلَّم النبى ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضي الله عنهما أن يُسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، وَيُكَبِّرَا أربعًا وثلاثين لما سألته الخَادِمَ وَشَكَتْ إليه ما تقاسيه من الطحن والسعى والخدمة، فَعَلَّمَهَا ذلك، وقال: «إِنَّهُ خَيرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[(٣)].

فقيل: إن داوم على ذلك وَجَدَ قوةً فى بدنه تغنيه عن خادم.

فيُستعان بذكر الله ﷻ على مواجهة الفتن والابتلاء وملاقاة الأعداء.

(٤) سلوك سبيل السلف الصالح رضي الله عنهم:

وقد مضى قولُ شيخ الإسلام بأن أهل السنة والجماعة أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم، وكذا أهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا.

ولا يكفى المسلم أن يعتقد اعتقاد أهل الحق ويسلك طريقهم حتى يعلم أدلة الحق الذى هم عليه،... فالجهلُ بأدلة الحق يجعل المسلمَ عُرْضَةً للتقلب والشك، وعدم الثبات على الحق.

---

(١) سورة طه: الآية: (٤٢).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣١٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء.

(٥) كثرة العبادات والطاعات لرب الأرض والسموات:

كما في الحديث القدسي: «وَلَا يزَالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيدَهُ الَّتِي يبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِينَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[١].

فالعبد الذي يتقرب إلى الله ﷻ بالنوافل بعد استكمال الفرائض يوفقه الله ﷻ لكل خير، ويصرف عنه كل شر، وتصير جوارحُ العبد كُلُّها مشغولةً بالله ﷻ، وترتفع رتبته إلى درجة علية سَنية، فإذا سأل الله ﷻ أجابه، وإذا احتمى بجنابه واستعاذ به أعاذه، وكل هذه أسباب وعوامل للثبات على الحق، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٢].

فمهما ازداد المسلم من الطاعة والخير يزداد رسوخ قدمه على طريق الله ﷻ، فلا يزعزعه إرجاف المرجفين، وتهويل المبطلين، والله يهدى مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم.

(٦) القُرب من العلماء العاملين والدعاة المخلصين:

قال أنس رضي الله عنه: وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا[٣].

قال الأستاذ سعيد حوى: فيه رَدٌّ على مَنْ ادَّعى أَنَّ حَالَ الصحابة ورُقيهم الروحى لا يُفَسَّرُ بوجود رسول الله ﷺ على رأسهم، وهو قول انتشر فى هذا العصر، ويكفى فى ردّه قوله جَلَّجَلَالُهُ فى حَقِّ رسول الله ﷺ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ كما أن فى هذا الحديث ما يدل على أن الرُّقِى القلبى مَنوط بالاجتماع مع أهل الحق، والارتباط الروحى فيهم، وَمِنْ هنا نؤكد على الانتساب للعلماء الصالحين،

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة محمد - الآية (١٧).

(٣) رواه الترمذى (١٣/ ١٠٤، ١٠٥ عارضة) المناقب، وابن ماجه (١٦٣٠) الجنائز، والحاكم مختصرًا (٣/ ٥٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبى، وصححه الألبانى.

ونؤكد على الأخذ منهم، ومجالسة الصالحين من عباد الله [١].

فمجالسةُ العلماء العاملين تزيد الإيمانَ وتثبت الأقدام على طريق الرحمن.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ واصفًا شَيخَهُ شَيخَ الإسلام: وايمُ الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة [٢].

(٧) الثقة بنصر الله ﷻ ووعده:

وقد كان النبى ﷺ يبث عوامل الثقة فى نفوس أصحابه، وكان القرآن يتنزل على النبى ﷺ.. والصحابة يُعَذَّبُون فى ربوع مكة يبشرهم بالنصر والتمكين وهزيمة المشركين، كما نزل على النبى ﷺ بمكة: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [٣]، وتحقق هذا الوعد الصادق فى أول لقاء بين الكفر والإيمان فى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (في غزوة بدر) ولما ذهب خَبَّابُ بن الأَرتّ يشكو إلى النبى ﷺ ما لقى من تعذيب بَيَّنَ النبى ﷺ له أن أصحاب الدعوات لابد لهم من الفتنة والابتلاء، وزاده تثبيتًا على الحق بتبشيره بنصر الإسلام، واكتمال أمره فقال ﷺ:

«وَاللهِ لَيتِمَّنَّ هَـذَا الأَمْرُ، حَتَّى يسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [٤].

---

(١) الأساس فى السنة وفقهها (٢/ ٢/ ١٠٤٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم بتحقيق الشيخ مصطفى العدوى (٧٦).

(٣) سورة القمر: الآية: (٤٥).

(٤) رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب مناقب الأنصار.

(٨) معرفة زيف الباطل:

فإنه ينتفش ويظهر كأنه محيق ظاهر، فإذا واجه الحق الثابت فإنه سرعان ما يزول، وتذهب عينه وأثره، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[١].

فالحقُ يستمدُ قُوَّتَه وثَبَاتَه من الله ﷻ والباطل باطل زائف زائل فإنه من كيد الشيطان وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٣].

فَدَوْلَةُ الباطل ساعةٌ، وَدَوْلَةُ الحق إلى أن تقوم الساعة،... وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾[٤].

(٩) الدعاء: فإنه من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة:

والمؤمن إذا تعرَّضَ للفتنة والابتلاء أول ما يتبادر إلى ذهنه وقلبه أن يلجأ إلى الله ﷻ الذي بيده مقاليد كل شئ... قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾[٥].

وأخبر الله ﷻ عن أصحاب طالوت فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (٧٦).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٩٦).

(٥) سورة آل عمران: الآيات: (١٤٦-١٤٨).

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[1].

وانظرى إلى الغلام فى قصة أصحاب الأخدود وهو يلجأ إلى الدعاء ويقول: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**»[2]؛ فينجيه الله من كيد الملك الكافر.

ودعاءُ المؤمن فى شدة الأزمات والشدائد غالبًا ما يكون دعاء مضطر إلى الله ﷻ ورحمته، وقد يئس من المخلوقين، وقد قال الله ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]

وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول: « يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ »[4].

وهذا يوسف عليه السلام لما استعانت عليه المرأة بنساء المدينة استعان عليهن بالله ﷻ فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5].

(١٠) الدعوة إلى الله ﷻ:

لأن الداعى إلى الله ﷻ مُتَّبِعٌ للنبى ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[6].

واتِّبَاعُ الرسول ﷺ من أعظم عوامل الثبات، وكذا الداعى إلى الله ﷻ، يثبت فى قلبه المعانى التى يدعو إليها: فمنها الصبر، والتوكل، والثقة بنصر الله ومحبة الله ﷻ، والإخلاص له، والدعوة إلى اتباع سنة نبيه ﷺ، وكذا القصص القرآنى، والقصص النبوى، وكلما ازدادت هذه المعانى الإيمانية، رسوخًا فى قلب

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٢٥٠-٢٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٤) رواه الترمذى (٣٥٢٢) الدعوات، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألبانى.

(٥) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣-٣٤).

(٦) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

المؤمن يزداد ثباتًا على الحق ورسوخًا فيه، والجزاء كذلك من جنس العمل، فكما يدعو غيره إلى الحق والتمسك به والاعتزاز بالانتساب إليه، فالله ﷻ يوفِّقه إلى مزيد من التمسك بالحق والثبات عليه، والله الموفق للطاعات والهادى لأعلى الدرجات.

(١١) تعلُّم العِلْمِ النافع:

فلا شك فى أن العلماء هم أقوى الناس فى مواجهة فتن الشبهات والشهوات، كما قال بعضهم: إذا أَقْبَلَتِ الفتنةُ عَرِفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، فإذا أَدْبَرَتْ عَرِفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ.

وقد وسم الله ﷻ أهل المعاصى بالجهل فى كتابه كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٢].

فَأَهْلُ الجهل هم وَقُود كل فتنة، فالذى يجهل الحق بأدلته من الكتاب والسنة عُرْضَةٌ للفتن، وإن كان منقادًا فى الظاهر لأهل الحق كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى وصف علماء السوء: «أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِى إِحْيائِهِ، يقْتَدِحُ الشَّكَّ فِى قَلْبِهِ، بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ»[٣].

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يفتح علينا أبواب رحمته وفضله.

❀ ❀ ❀

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٤).

(٢) سورة القصص: الآية: (٥٥).

(٣) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٧٩- ٨٠).





في خدمة دين الله (جل وعلا)



إلى أختي الفاضلة

لا شك أننا فى زمن الغربة الثانى الذى نعيشه الآن نحتاج إلى كل سواعد الأمة لنرفع راية الإسلام مرة أخرى خفَّاقة عالية كما كانت على عهد سلفنا الصالح رضي الله عنهم... ولقد أخبر النبى ﷺ أن «**النساء شقائق الرجال**»[1]. فكما أن الرجل مسئول أمام الله (عز وجل) عما قدَّمه لنُصرة دين الله فكذلك المرأة المسلمة مسئولة عن ذلك... ولقد كانت المرأة من نساء سلفنا الصالح نموذجًا للبذل والتضحية والعطاء حتى كانت الواحدة منهن تَخرج من مالها لله (عز وجل) بل وتطلب العلم وتبذل وقتها للدعوة إلى الله (جلَّ وعلا) بل وكانت تخرج إلى ساحة الشرف والجهاد لتداوى الجرحى وتسقى المجاهدين فى سبيل الله.

والآن قد جاء دورك أيتها الأخت الفاضلة.. فما عليك إلا أن تسألى نفسك هذا السؤال: ماذا قدمت لدين الله؟

نعم يا أختاه.. ابحثى لنفسك عن أى دور لخدمة دين الله من خلال بذل المال فى شراء الشريط أو الكتاب الإسلامى وإهدائه لمن حولك عسى الله أن يجعلك سببًا فى هداية مسلمة شاردة عن قافلة المؤمنات.. أو من خلال أن تصحبى مسلمة إلى درس علم عسى الله أن يفتح قلبها بتلك المحاضرة أو من خلال إقامة حلقة لتحفيظ القرآن ودراسة الآداب والسلوكيات الإسلامية، ودراسة حياة الصحابة والصحابيات وسيرة سيد الأولين والآخرين ﷺ... المهم أن تبحثى لنفسك عن أى دورٍ لخدمة دين الله (عز وجل).

وها أنا أسوق إليك بعض النماذج المشرقة التى نتعلم من خلالها كيف نخدم دين الله عسى الله أن ينفعك بها وأن يجعلها حاديًا لك على البذل والعطاء.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦)، وأبو داود رقم (٢٣٦)، والترمذى رقم (١١٣)، وابن ماجه رقم (٦١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٨٦٣).

وقوف فى وجه العاصفة

وكان من أبرز المواقف التى وقفتها المرأة المسلمة لخدمة دين الله (جلَّ وعلا) موقف أمنا خديجة رضي الله عنها عند بدء نزول الوحى على رسول الله ﷺ عندما رجع إليها النبى ﷺ يرتجف فؤاده وترتعد فرائصه وإذا بها تُطمئن قلبه وتقول له بيقين المؤمنة الواثقة فى وعد ربها (عز وجل): كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل - وهو ابن عم خديجة- وكان امرءًا تنصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِىَ، فقالت له خديجة: أى ابن عم: اسمع من ابن أخيك! فقال له ورقة: يا ابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة له: هذا الناموس الذى نزَّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَ مُخرجىَّ هم؟**» قال: نعم! لم يأت رجل قَط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك حيًّا أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى[١].

وكان موقف زوجه خديجة منه من أشرف المواقف التى تُحمد لامرأة فى الأولين والآخرين. طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يُخذلون أبدًا وإن الله إذ طبع رجلًا على المكارم الجزلة والمناقب السمحة فلكيما يجعله أهل إعزازه وإحسانه، وبهذا

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

الرأى الراجح والقلب الصالح استحقت خديجة أن يُحيِّيها رب العالمين، فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين(١).

ومع ما سمعته أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها من أن قوم الرسول ﷺ سيحاربونه ويُخرجونه وهى تعرف صلابة قريش وقوتها.. مع هذا قررت الوقوف فى وجه العاصفة المتوقعة وقبلت فى سبيل الله أن تتحمل الأذى والمشقة وأن تقبل هذه المهمة الصعبة وهى الوقوف فى وجه قريش هذا من أعظم الأمثلة للمؤمنات الصادقات ليقتدين بأم المؤمنين رضي الله عنها فى تحملها المشقة والأذى لتؤازر زوجها رسول الله ﷺ وتقف خلفه ليتمكن بفضل الله من نشر دعوة الإسلام بين قومه ثم فى جميع أنحاء المعمورة وليقيم دولة الإسلام(٢).

لقد كانت خديجة رضي الله عنها هى أول من آمنت من النساء.. بل إنها بذلت نفسها ومالها كله لخدمة دين الله (عز وجل).. بل صبرت على إيذاء المشركين صبراً جميلاً وظلت مع النبى ﷺ فى شِعْبِ أبى طالب ثلاث سنوات - بسبب تلك الصحيفة الظالمة.

وانتهى الحصار، وخرجت الطاهرة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها من الحصار ظافرة بثمرة صبرها لتتابع مع رسول الله ﷺ سيرها فى الحياة زوجة أمينة مستظلة بظل الوفاء وصدق الإيمان وحسن الصبر.

الله يكافئها من فوق سبع سماوات

وأراد الحق (جلَّ وعلا) أن يجزل لها العطاء فى الدنيا والآخرة فأرسل لها

---

(١) فقه السيرة/ الغزالى (ص ١٠٢).

(٢) إنها الجنة يا أختاه، للمصنف (ص ٧١).

جبريل يبلغها سلامه (ﷻ) لها ويبشرها ببيت فى جنته التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ وعنده خديجة فقال: «**إن الله يُقرئ خديجة السلام**» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: «**يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نَصَب**»(٢).

حملت أمانة القرآن على أعناقها

وها هى حفصة رضي الله عنها تحفظ فى بيتها أعظم أمانة فى الدنيا بأسرها... (إنها أمانة القرآن).

لقد حملت أمنا حفصة رضي الله عنها أمانة القرآن على أعناقها فهى التى اختارها أبو بكر رضي الله عنه ليحفظ عندها القرآن الذى جمعه زيد بن ثابت.. وظلت الصحف التى جُمع فيها القرآن عندها إلى عهد عثمان رضي الله عنه حتى جمعها فى مصحفٍ واحدٍ.

---

(١) رواه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٥٤)، وإسناده حسن.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

الخنساء تقدم أولادها الأربعة لله ﷻ

وها هى الخنساء رضي الله عنها التى ملأت الدنيا بكاءً وعويلًا على موت أخيها (صخر) فى الجاهلية.. ها هى بعد أن صاغها الإسلام صياغة باهرة تقدم فى يوم القادسية أولادها الأربعة لينالوا شرف الشهادة!!!

أنا لا أستطيع أن أعلق بكلمة واحدة سوى أن أقول: إنها معجزة من معجزات الإيمان الذى يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده.

لقد علمنا كيف كان حزنها على أخيها وجزعها لموته وتصدع قلبها واضطرام حشاها. لقد استحال كل ذلك صبراً أساغه الإيمان، وجمَّله التُّقى، فلم تأس على فائت من متاع الحياة الدنيا.

أولئك أبناؤها، وهم أشطار كبدها، ونياط قلبها، خرجوا إلى القادسية وكانوا أربعة، فكان مما أوصتهم به قولها: «يا بنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية.

اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها[١] وجالدوا رسيسها[٢]، تظفروا بالغُنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة».

فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب فتية، وأنوف حمية، فإذا فتر أحدهم ذكَّره إخوته وصية الأم العجوز، فزأر كالليث، وانطلق كالسهم. وانقضَّ

(١) الوطيس: المعركة أو الضرب فيها.

(٢) الرسيس: الأصل.

كالصاعقة، ونزل كقضاء الله على أعداء الله، وظلوا كذلك حتى استُشهدوا واحدًا بعد واحد.

وبلغ الأم نعى الأربعة أبطال فى يوم واحد، فلم تلطم خدًّا ولم تشق جيبًا، ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين، وصبر المؤمنين وقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته».

ولنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال. ما الذى حوَّلها وغيَّرها من حال إلى حال؟! إنه إكسير الإيمان الذى وضعه النبى ﷺ فى قلوب المؤمنين فنقلهم من دنيا الجهالة إلى عالم المثل العليا والقيم الرفيعة والأخلاق العالية والشوق إلى رضوان الله (١).

---

(١) ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون / للمصنف (ص:٧١ - ٧٢).

هل جعلت ولدك وقفًا لله (جلّ وعلا)

أختاه: إن المؤمنة التى لامس الإيمان شغاف قلبها لتعلم يقينًا أن النعم التى ينعم الله بها على عباده لا بد أن يستعملوها فى طاعته وفى نصرة دينه (ﷻ).

فها هى امرأة عمران التى اشتهت الولد فلما رزقها الله به وصار حملًا فى بطنها وإذا بها تنذر ما فى بطنها للمنعم (جلَّ وعلا).

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]، فلما علم الله صدق نيتها وصفاء سريرتها وإذا به يتقبل منها نذرها ويرزقها بمريم عليها السلام ويُخرج من مريم عيسى عليه السلام.

وأنت أيتها الأخت المباركة هل جعلت ولدك وقفًا لله (جلَّ وعلا) فكنت حريصة على أن يحفظ كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ ليكون داعية من الدعاة الصادقين الذين يدعون الناس إلى طاعة رب العالمين (جلَّ وعلا)؟

إن الولد إذا عرف حق الله سيكون بركة على أبيه وأمه وعلى بلده بل وعلى الكون كله.

وبالمثال يتضح المقال

فها هو الزبير بن العوام رضي الله عنه الذى بلغ من بسالته وبطولته أن عدل به الفاروق رضي الله عنه ألفًا من الرجال حين أمد به جيش المسلمين فى مصر. هذا البطل العظيم إنما تربَّى فى أحضان أمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ.

❁ وهذا عمار بن ياسر رضي الله عنهما كان ثمرة من ثمرات أمه سمية رضي الله عنها وهى أول شهيدة فى الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٣٥).

۞ وهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه الذى وقف مواقف خالدة لنصرة دين الله لا ينساها التاريخ أبدًا على مدى العصور والأزمان.

سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن لموته.. كان ثمرة من ثمرات أمه كبشة بنت رافع رضي الله عنها.

۞ وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه الذى كان أيضًا ثمرة مباركة من ثمرات أمه المباركة أم سُليم رضي الله عنها.

۞ بل هذا حيدرة الأبطال وأسد الله الغالب (على بن أبى طالب) رضي الله عنه الذى كان ثمرة مباركة من ثمرات أمه المباركة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها.

۞ بل هذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ التى كان من ثمرتها المباركة سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهما.

- وهكذا أيتها الأخت الفاضلة كانت كل أم من سلفنا الصالح لها ثمرة جعلتها وقفًا لله فيا ترى ماذا ستقدمين لخدمة دين الله.

۞ ۞ ۞

أسماء رضي الله عنها ودورها التاريخي

فها هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تجد لنفسها دورًا عظيمًا في حدث الهجرة التاريخي فتذهب بالطعام للنبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

فلقد أتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصامًا، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فشقَّت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر، فسُميت ذات النطاقين[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٩٠٦) كتاب المناقب.

سلمى وتوبة أبي محجن

۞ أوردتِ المصادرُ موقفًا رائعًا لسلمى بنت خصفة يوم القادسية، إذ تصرَّفت تصرُّفًا دَلَّ على فراستِها وذكائها في وقت من أشدّ الأوقات حرجًا على جيش المسلمين.

۞ فقد كان أبو محجن الثَّقفي - واسمه عبد الله بن حبيب - من الشُّعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. وكان أبو محجن شاعرًا فارسًا معدودًا في أولى البأس والنَّجدة، إلا أنَّه كان من المعاقرين للخمر، وقد حُدَّ[1] فيها أكثرَ من مرةٍ فأمر به سيدنا عمر بن الخطاب أَن يُنفَى، وبعثَ إلى سعد بن أبي وقاص أن يحبسَه، فسجنه سعد، وقيَّده بالحديد في قصره بالعُذيب في القادسية.

---

(١) الحدُّ في الشرع: عقوبةٌ مقررةٌ لأجل حق الله ﷻ لأنها مقررةٌ لصالح الجماعة، وحماية النظام العام.
والحد جمعه: الحدود، والحدُّ في الأصل: الشيءُ الحاجز بين شيئين.
واتفق الفُقهاء: على وجوب حدِّ شارب الخمرِ، وعلى أنَّ حدَّ الجلد - أربعون -.
وفي حَدِّ شارب الخمر قولان:
أحدهما: ثمانون جلدة.
والآخر: أربعون جلدة.
فعن أنس ﷺ قال: أُتي رسول الله ﷺ برجل قد شربَ الخمرَ، فضربه بالنعال نحوًا من أربعين، ثم أُتي به أبو بكر فصنع مثل ذلك، ثم أُتي به عمر فاستشار الناس في الحدود فقال ابنُ عوف: أقل الحدودِ ثمانون، فضربه عمر. رواه البخاري ومسلم - والقَذْفُ: هو أقل الحدود -.
إذًا فحدُّ شارب الخمر أربعون جلدة: والزيادة تجوز إذا كان ثمةَ مصلحة للمسلمين.
ومن الجدير بالذكر أنَّ تحريمَ الخمر بعد غزوة الأحزاب.
وقد حرَّم الإسلام الخمر، لأنها أمَّ الخبائث، ولأنَّها تُضعِفُ الشخصية، وتذهبُ بالعقل.
يقول أحدُ الشعراء في هذا:
شربتُ الخمرَ حتى ضلَّ عقلي ... كذاكَ الخمرُ تفعلُ بالعقول
وبذهاب العقل يستوى الإنسان والحيوان، لا بل يتحول الإنسان إلى مجموعة من الشُّرور والفساد، كالقتل والعدوان والفحش وغير ذلك. نسأل الله العافية.

❁ ولما اشتدَّ القتال بين جيشِ المسلمين وجموع الفرس، وحَمِي وطيسُ المعركةِ، وأخذتِ الأصواتُ تصلُ إلى سَمع أبى محجن، صَعِدَ إلى أعلى القصر فى الليل، وسأل سعدًا أن يعفيه من السجن ويستقيله ليخوض غمار المعركة، ويكون ممن شرى وباع فيها، غير أنَّ سعدًا - رضي الله عنه - ردَّهُ، فنزل أبو محجن وقلبُه يكاد ينفطر من شدَّةِ ما حلَّ به، فأتى يرسفُ فى قيوده إلى زوج[1] سعد (سلمى بنت خصفة) فقال:

يا سلمى يا بنت آل خَصَفَة، هَل لكِ إلى خيرٍ؟

قالت: وما ذاك يا أبا محجن؟

قال: تُخلينَ عنى، وتُعيرنى البَلْقَاء - فرس سعد - فلله علىَّ إن سلَّمنى الله أنْ أرجعَ إليك حتى أضعَ رجلى فى قيدى، وإنْ قُتلت استرحْتُم منى.

فأوجستْ خيفةً فى نفسها سلمى بادئ الأمر، ثم قالت: وما أنا وذاك؟! دعنى من هذا.

فرجعَ يرسفُ فى قيوده، وأنشأَ يقولُ فى تحرُّقٍ ونَدَم:

كفى حزنًا أنْ تُردَى الخيلُ بالقنا ... وأُتْرك مشدودًا علىَّ وثاقيا

إذا قمتُ عنَّانى الحديد وأُغلقتْ ... مصاريعُ دونى قد تُصمُّ المناديا

وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركونى واحدًا لا أخا لِيا

وقد شفَّ جسمى أنَّنى كل شارقٍ ... أعالجُ كبلًا مصمتًا قد برانيا

فلله درّى يوم أُترك موثقًا ... وتذهل عنى أُسرتى ورجاليا

حبيسًا عن الحرب العَوان وقد بدتْ ... وأعمال غيرى يوم ذاك العواليا

---

(١) «زوج»: جمعه أزواج، والمرأة زوج الرجل وهو زوجها، هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر، لا يكاد يقولونه.

ولله عهـــدٌ لا أخيـــسُ بعهـــده لـــئن فُرِجـــتْ ألّا أزورَ الحوانيـــا

وسمعت سلمى ما ينفث به أبو محجن، ولاحظت شدة تأثره وندمه، وتفرّست فى ملامحه، فرأتْ علائم الصّدق فى وجهه، عندئذ قالت له، يا أبا محجن، إنِّى استخرتُ الله ﷻ ورضيتُ بعهدك،... وأطلَقَته من قيدِهِ، ثم قالت له: هذا ما أستطيع أَنْ أقدمه لكَ؛ أما الفرس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها.

واستطاعَ أبو محجن أنْ يصلَ إلى البَلْقاء، فاقتادها، وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق، فركبها ثم دبَّ عليها، وأخذ الرّمح، وانطلقَ حتى أتى النَّاس، ولما كان بِحيالِ الميمنة كبَّر، ثم حَمَلَ على مَيسَرةِ القوم يلعبُ برمحه وسلاحه بين الصَّفَّينِ، ثم رجع من خلف المسلمين وحَمَلَ على ميمنة القوم يلعبُ بين الصَّفَّينِ، برمحه وسلاحه، فجعل لا يحمل على ناحية إلا هزمهم الله، وكان يقصفُ النَّاس ليلتئذ قصفًا منكرًا.

وتعجَّبَ النَّاس منه وهم لا يعرفونه، إذ إنَّهم لم يروه مِنَ النَّهار، فقال بعضهم: أوائلُ أصحاب هَاشم، أو هاشم[1] نفسه.

وجعل سعد رضي الله عنه يقول وهو مشرفٌ على النَّاس من فوق القَصْر ينظر إلى أبى محجن وشجاعته: واللهِ لولا مَحبس أبى محجن لقلتُ: هذا أبو محجن: وهذه البَلْقاء! بينما بعض النَّاس وقد تملّكهم العجب أيضًا: إنْ كان الخَضرُ عليه السلام يشهدُ الحروب فنظنُّ صاحب البلقاء الخَضر نفسه.

---

(١) يقصدون بذلك هاشم بن عتبة، وهو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى، صحابى وخطيبٌ مِنَ الفُرسانِ، يلقبُ بالمرقال؛ لأنَّه يرقُل فى الحرب أى: يسرع. من الإرقال: وهو ضَربٌ من العَدْو. وهاشم هو ابن أخى سَعْد بن أبى وقاص. أسلم يوم فتح مكة، ونزل الشَّام بعد فتحها، فأرسله عمر رضي الله عنه مع ستة عشر رجلًا من جند الشَّام مددًا لسعد بن أبى وقاص فى العراق، وشهد القادسية مع سعد وقُلعت عينه يوم اليرموك، وكان من الأبطال الشجعان المعدودين، ومن الفضلاء الأخيار قُتل سنة (٣٧ هـ) بصفين رضي الله عنه (أسد الغابة: ٥/ ٤٩و ٥٠) و(الأعلام ٨/ ٦٦).

وقال آخرون: لولا أنَّ الملائكة لا تباشر القتال لقلنا: مَلَكٌ يقاتلُ معنا ويثبِّتنا.

ولم يزل أبو محجن يقاتلُ، ولا يذكره المسلمون ولا يأبهون له، لأنَّه - كما يعرفون - قد بات في محبسِهِ وقد أثْقَلَتْه القيود، ولم يعلموا أنَّ مبيتَه كان تلكَ الليلة على صهوةِ الجواد، لا في القيودِ والأصفادِ.

ولما انتصفَ الليلُ حَاجزَ أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصرَ من حيثُ خرج، ووضع عن نفسه وعن دابته ووفَّى لسلمى بعهده، فأعادَ رجليه في القيد كما كانتا وطفقَ يقول والحماس يسيلُ على لسانه:

لقد علمتْ ثقيفٌ غير فَخْرٍ ... بأنَّا نحنُ أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعًا سابغاتٍ ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وأنَّا وفدهم في كلِّ يوم ... فإنْ عموا فَسَل بهمُ عريفا

وليلةَ قادسٍ لم يشعروا بي ... ولم أُشعِر بمخرجي الزحوفا

فإنْ أُحبس فذلكم بلائي ... وإنْ أُترك أذيقهم حتوفا

۞ وسمعتْ سلمى رَحِمَهَاٱللَّهُ ما أنشده أبو محجن، فَسَرت في نفسَها فرحة عارمةٌ بإطلاقه، ومِنْ ثَمَّ وفائه، فأقبلتْ نحوه وقالت له: يا أبا محجن، في أي شيء حبسك هذا الرَّجل؟ - سعد - قال: أما واللهِ ما حبسني بحرامٍ أكلته ولا شربته؛ ولكنِّي كنتُ صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدِبُّ الشِّعر على لساني فأبعثه على شفتي أحيانًا، فيساء لذلك ثنائي، ولذلك حَبَسني لأنَّني قلتُ:

إذا متُّ فادفنِّي إلى أصْلِ كرمةٍ ... تروّي عِظَامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فإنّني ... أخافُ إذا ما متُّ ألا أذوقها

۞ وفى صباح تلك الليلة جاءت سلمى سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن، فدعا به وأطلقه، وأَخَذَ عليه العهد ألَّا يقْدِمَ على الخمرة، فتاب أبو محجن إلى الله توبةً نصوحًا فلم يَعُدْ إلى معاقرتها أو ذِكْرها، ولم يعد يتكلم بقبيحٍ أبدًا.

۞ وكان لسلمى بنت خصفة كبير الفضْل فى سبب توبة أبى محجن، وفى حُسْن بلائه مع المسلمين، إلى أنْ أنزلَ عَزَّ وَجَلَّ نصره عليهم، ودَحَرَ عدوَّهم، وقهر كبارهم وأذلَّهم إلى أبدِ الدَّهر [1].

۞ ۞ ۞

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٤١٦)، والاستيعاب (٤/ ١٨١)، نقلًا من «نساء من عصر التابعين». أ. أحمد خليل جمعة.

صور مشرقة من الحاضر

ولعل هناك من يعتقد أن البذل والعطاء قد انتهى زمانه وأنه لم يعد هناك من يقدم نفسه وماله لخدمة دين الله ولذلك فأنا أسوق إليكم تلك النماذج المشرقة من الحاضر لنعلم جميعًا أن الخير لن ينقطع من هذه الأمة الميمونة المباركة.

فهذه أختٌ أمريكية أسلمت لله (جلَّ وعلا) وما كان منها إلا أن أنشأت خمسين مدرسة فى أمريكا لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم الناس شرع رب العالمين.

وها هو المطرب الإنجليزى (كات ستيفن) الذى أسلم وغيَّر اسمه إلى (يوسف إسلام) وأخذ يطلب العلم حتى أكرمه الله بحظ وافر من العلم فأنشأ مسجدًا فى لندن وجلس فيه يدعو إلى الله فأسلم على يديه المئات من أهل بلده.

ولئن نسيت فلا أستطيع أن أنسى أبدًا أختنا المباركة (شمس البارودى) التى سنَّت سُنة حسنة فكانت أول فنانة تائبة - وما سمعنا من قبل عن فنانة تائبة - فكانت توبتها فاتحة خير لمن بعدها، فأرجو أن تكون كل تائبة بعدها فى ميزان حسناتها فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وكذلك لا أنسى أبدًا أختنا الفاضلة هناء ثروت التى تركت عالم الأضواء وعكفت على طلب العلم الشرعى إلى أن أكرمها الله (ﷻ) بأن أصبحت تُدرس لأخواتها المسلمات العلوم الشرعية فى تلك الدار التى افتتحتها باسم (جنتى).

وما زال الخير فى تلك الأمة الميمونة المباركة. بل ولن ينتهى إلى قيام الساعة.

❀ ❀ ❀

أختاه.. أين دورك؟

إنه سؤال في غاية الأهمية: نعم أين دورك أيتها الأخت الفاضلة.. هل بحثت لنفسك عن أى دورٍ لخدمة دين الله (ﷻ) إنك لن تعجزى عن إيجاد هذا الدور فإن الذى يتحرى الخير سيجده لا محالة بشرط أن يُخلص النية لله (ﷻ).

ألم تتحرك همتك بعد كل ما ذكرناه من سيرة سلفنا الصالح؟

أختاه: اعلمى علم اليقين أن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا لكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا.. وأن الذى يعيش لدينه قد يجد بعض المتاعب لكنه يعيش كبيرًا ويموت كبيرًا.

إن استقامتك نصرة لدين الله

قد يظن بعض الناس أن النصرة لا تكون إلا ببذل النفس أو المال.. بل إن النصرة تكون ابتداءً بالاستقامة على دين الله (ﷻ).

تدبرى معى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[1].

فعيسى عليه السلام لم يحارب ومع ذلك يقول لهم: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فأين كانت النصرة؟ لقد كانت النصرة نصرة إيمانية ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

فإيمانك يا أختاه واستقامتك على طاعة الله (جلَّ وعلا) نُصرة لأخواتك فى فلسطين والشيشان وفى كل مكان لأنك إذا كنت على درجة عالية من الإيمان فإن الله (جلَّ وعلا) يستجيب دعاءك لأخواتك ولإخوانك - فى كل أقطار العالم - بالنصر والتمكين.

---

(١) سورة الصف: الآية: (١٤).

حجابك خدمة لدينك

إن الأخت المسلمة إذا لبست حجابها فإنها بذلك تقدم أعظم خدمة لدين الله بل وللمسلمين من حولها لأنها بذلك تساعد على إخماد نار الفتنة التى اشتعلت فى قلوب شبابنا المسلم بسبب تبرج النساء - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالحجاب قُربة إلى الله وخدمة جليلة تقدمها الأخت المسلمة لدين الله ﷻ لأنها بذلك أيضًا تعين أخاها المسلم على أن يعيش طائعًا لله (جلَّ وعلا) قائمًا على نصرة دين الله ﷻ.

وأخيرًا

وأخيرًا أيتها الأخت الفاضلة: اعلمى أن الكنز الحقيقى الذى تملكينه الآن هو عمرك ولحظات حياتك فاغتنمى كل لحظة فى طاعة الله وفى خدمة دين الله عسى الله أن يختم لك بخاتمة أهل السعادة بأن يستعملك فى عملٍ صالح ويقبضك على هذا العمل فقد قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله**»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»[1].

فابحثى لنفسك عن دورٍ فإن قيمة الإنسان لا تُقاس بسنوات عمره وإنما تُقاس بما قدم من أعمالٍ صالحة ليخدم بها دين الله (جلَّ وعلا).

أسأل الله (ﷻ) أن يستعملك فى طاعته، وأن يختم لك بخاتمة أهل السعادة وأن يجمعك بأمهات المؤمنين فى جنات النعيم التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٢٠) قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢١١): ورجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى الصحيحة (١٣٣٤).



مواقف إيمانية

في الجود والكرم والإيثار





فضل الزكاة والصدقات

نحن نعلم أن الناس لا يستوون فى أمر الدنيا... فمنهم الغنى ومنهم الفقير.

ومن عظمة هذا الدين أنه بثَّ روح الرحمة بين أبنائه حتى يرحم القوىُّ الضعيف ويرحم الغنىُّ الفقير فيعطيه شيئًا يسيرًا من ماله ليستعين به على أمور دنياه...

وحتى ينشط الغنى لفعل الخير أجزل الله له العطاء والأجر والثواب.. هذا غير البركة التى تدب فى ماله وأن الله يخلفه خيرًا فى ماله فى الدنيا ويرزقه الأجر والثواب فى الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

۞ عن أبى أيوب رضي الله عنه أن أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفره فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرنى بما يُقربنى من الجنة، وما يباعدنى من النار. قال: فكفَّ النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه، ثم قال: «**لقد وُفِّق، أو لقد هُدى**».

قال: «**كيف قلت؟**» قال: فأعاد، فقال النبى ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا،**

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٦١).

وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم،.. دَع الناقة»[١].

۞ وعن عمرو بن مرة الجهنى رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من قُضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصليتُ الصلوات الخمس، وصُمتُ رمضان وقُمتُه، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: «من مات على هذا كان من الصدِّيقين والشهداء»[٢].

۞ وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإسلامُ ثمانيةُ أسهم؛ الإسلامُ سهمٌ، والصلاةُ سهمٌ، والزكاة سهمٌ، والصومُ سهمٌ، وحج البيت سهمٌ، والأمر بالمعروف سهمٌ، والنهى عن المنكر سهمٌ، والجهاد فى سبيل الله سهمٌ، وقد خاب من لا سهم له»[٣].

وقال ﷺ: «ما من مسلم ينفقُ من كل مالٍ له زوجين فى سبيل الله، إلا استقبلته حَجَبةُ الجنة كلهم يدعوهُ إلى ما عنده»[٤].

وقال ﷺ: «من أنفق نفقةً فى سبيل الله، كُتبت له سبعمائة ضعف»[٥].

۞ وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة»[٦].

۞ وقال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسبٍ طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل»[٧].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣) كتاب الإيمان.
(٢) صحيح: رواه البزار، وابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧٤٩).
(٣) حسن لغيره: رواه البزار وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧٤١)
(٤) صحيح: رواه أحمد، والنسائى، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٤).
(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١١٠).
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.
(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة .

۞ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا**»[1].

۞ وقال ﷺ: «**صنائعُ المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»[2].

وقال النبي ﷺ: «**والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**»[3].

والمراد بالصدقة هنا: الزكاة وصدقة التطوع جميعًا.

وقال النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** - وذكر منهم - **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[4].

۞ وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «**الإيمان بالله**» قلت: يا نبي الله، إن مع الإيمان عمل؟ قال ﷺ: «**يرضخ مما رزقه الله**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال ﷺ: «**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟**» قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان عَييا لا يستطيع أن يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر قال: «**يصنع لأخرق**». قلت: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: «**يُعين مغلوبًا**». قلتُ: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟! فقال ﷺ: «**ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! يمسك الأذى عن الناس**». فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟! قال: «**ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة**»[5].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٢) **صحيح:** رواه الحاكم (١/ ٢١٣)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٥) **حسن لغيره:** أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٦-١/ ٣٧٠) (٢٦٦٩).

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

أين الأخت المسلمة التى تُنفق من فضول أموالها ... بل أين الأخت التى تقتسم اللقمة بينها وبين أختها.

إن الحياة القاسية التى نعيشها الآن جعلت القلوب تزداد قسوة على قسوتها فقَلَّما نجد أختًا تشعر بأختها الفقيرة فتواسيها وتعطيها من فضول مالها لتستعين به على طاعة الله (جلَّ وعلا).

- **يقول أحد الصالحين:** إننى أدعو الله كل يوم أن يرزق إخوانى جنة عرضها السموات والأرض فكيف أبخل عليهم بدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

❁ وها أنا أقدم لأخواتى تلك القدوات فى الجود والسخاء والإيثار.

❁ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابنى الجهدُ. فأرسلَ إلى نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يُضيفه الليلة يرحمه الله؟**» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله... فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدَّخريه شيئًا. فقالت: والله ما عندى إلا قُوتُ الصِّبية. قال: «فإذا أراد الصِّبية العشاء فنوِّميهم، وتعال فأطفئى السراج ونطوى بطوننا الليلة. ففعلت. ثم غدا الرجلُ على رسول الله ﷺ فقال: **لقد عجب الله عز وجل** - أو **ضحك** - **من فلان وفلانة. فأنزل الله عز وجل**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] »[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٨٨٩) كتاب التفسير.

خديجة رضي الله عنها صاحبة القلب الرحيم

في جلسة غمرتها أنوار ربانية كان محمد ﷺ يتحدث مع خديجة، فكان صوته يمس أوتار فؤادها وتلك الحكمة المتدفقة من بين شفتيه تغمر روحها بسعادة عارمة مجنحة تسمو بها فوق وجودها الملموس، وتعيش في أفق نوراني.

في تلك اللحظات جاءت مولاة خديجة وقالت: مولاتي: إن حليمة السعدية تود الدخول، ولما سمع رسول الله ﷺ بحليمة السعدية، خفق قلبه الشريف حنانًا، وراحت الذكريات الحبيبة والحانية الدافئة تطفو على سطح ذهنه،... ذكريات حبيبة إلى نفسه،... تذكَّر بيداء بني سعد ورضاعته هنالك، كانت لحظة مُفعمة بالمشاعر الناعمة، لحظة أحيت - في مثل لمح البصر أو أسرع - أيام طفولته، وأيام نشأته بين ذراعي حليمة، وفي أحضانها.

قامت خديجة رضي الله عنها لتُدخل حليمة، فطالما حدثها عنها حديثًا يقطر حبًّا ورحمة ودفئًا وكرامة، وعندما وقع بصره الشريف عليها، مس سمع خديجة صوته اللطيف وهو ينادي في لهفة وحنان «أمي، أمي».

نظرت خديجة إلى رسول الله ﷺ فوجدته قد فرش لها رداءه، ومرَّر يده عليها في حنانٍ دافق، وقد ترقرقت في وجهه سعادة عارمة، وتألق في عينيه فرح فياض، لكأنما كان يحتوي في أحضانه أمه آمنة بنت وهب، وقد بُعثت من مرقدها.

وفي غمرة اللقاء الحار بين رسول الله ﷺ وحليمة، سألها عن حالها، فراحت تشكو إليه قسوة الحياة والجدب الذي نزل ببادية بني سعد، ثم شكت ضيق العيش، ومرارة الفقر، فأفاض عليها من كرمه.

وبعد ذلك حدث النبي ﷺ زوجه خديجة في تأثر واضح بما ألَمَّ بمرضعته

حليمة من ضيق، وما حاق بها وبقومها من كرب، فتدفقت كنوز فؤاد خديجة بالعطف والرحمة، وأعطتها عن طيب خاطر أربعين رأسًا من الغنم، كما وهبتها بعيرًا يحمل الماء، وزودتها بما تحتاجه فى رجوعها إلى باديتها، وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا متأهبة على الدوام لتجود بكل أموالها، إرضاءً لزوجها محمد ﷺ، فشكر لها كرمها، ثم انطلق ليضع بين يدى مرضعته ما جادت به خديجة[1].



سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ولقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كريمة سخية لا تميل نفسها إلى حطام الدنيا ومتاعها الزائل بل كلما جاءها مالٌ تؤثر به مَن حولها رغبة فيما عند الله من نعيمٍ لا يفنى ولا يزول.

❁ ففى يوم من الأيام يرسل لها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غرارة مملوءة بالدراهم فلما ذهبوا بها إليها قالت: ما هذه؟ قالوا لها: هذه دراهم.

قالت وهى فى غاية الدهشة: دراهم فى غرارة كبيرة مثل التمر!!! ثم نادت على جاريتها وفتحت الغرارة ووزعتها على الفقراء واليتامى والمساكين.

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣١- ٣٢).

عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

۞ عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: ما رأيت امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء، وجُودُهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تُمسك شيئًا لغد[(١)].

۞ وعن عروة قال: كانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لا تُمسك شيئًا مما جاءها من رزق الله تعالى إلا تصدقت به[(٢)].

۞ وقال عروة: بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فقسمتها، فلم تترك منها شيئًا، فقالت بريرة: أنت صائمة، فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحمًا؟ قالت: لو ذكرتنى لفعلت[(٣)]، وعنه أيضًا قال: وإن عائشة تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لتُرقِّع جانب درعها رضى الله تعالى عنها[(٤)].

۞ وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة وكانت تغشى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال فى غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق، وهى صائمة يومئذ، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: «يا جارية هلمى فطورى»، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: «أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟»، فقالت: «تعنفينى، لو كنت أذكرتنى لفعلت»[(٥)].

---

(١) أحكام النساء/ لابن الجوزى (ص ١٢٥).

(٢) السمط الثمين (ص ٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٤٧)، والحاكم (٤/ ١٣).

(٤) رواه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٤٥).

(٥) رواه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٤٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٤٧) ورجاله ثقات.

أسرعكن لحاقا بى أطولكن يداً

۞ وها هى أمنا زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تضرب لنا المثل والقدوة فى الكرم والإيثار.

لما خرج العطاء، أرسل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالذى لها، فلما أُدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيرى من أخواتى كان أقوى على قَسْم هذا منى. قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صُبُّوه واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت لى: أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان - من أهل رحمها وأيتامها - حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهمًا. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا. قال: فماتت(١).

۞ وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا**».

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا.

قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتَصَدَّق (٢).

۞ وعن عائشة: قال النبى ﷺ لأزواجه: «**يتبعنى أطولكن يدًا**»، فكنا إذا اجتمعنا بعده نمد أيدينا فى الجدار، نتطاول، فلم نزل نفعله حتى توفيت زينب، وكانت امرأة قصيرة، لم تكن رَحِمَهَا اللَّهُ - أطولنا، فعرفنا أنما أراد الصدقة. وكانت صناع اليد، فكانت تدبغ، وتخرز، وتَصدَّق(٣).

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٠٩-١١٠)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٨-٤٩)، والسير (٢/ ٢١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة

(٣) رواه ابن سعد (٨/ ١٠٨)، وسنده قوى، وصححه الحاكم (٤/ ٢٥)، ووافقه الذهبى.

زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المساكين

ولقد كانت أمنا زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رحيمة بالمساكين حتى قبل البعثة فلما أسلمت ازدادت رحمة ورأفة بهم... ولما أصبحت زوجة للحبيب ﷺ ازدادت رأفة ورحمة بالمساكين فلقد كانت ترى فى كل لحظة ينابيع الرحمة تتدفق من قلب الحبيب ﷺ بل كانت ترى إحسانه وعطفه على فقراء المؤمنين وكانت تسمع النبى ﷺ وهو يحضّ المسلمين على الإنفاق على الفقراء والمساكين ويرتفع بقلوبهم وأرواحهم إلى درجة الإيثار.

فلقد كانت تسمع النبى ﷺ وهو يقول: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا**» (١).

وكانت تسمعه يقول: «**صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة**» (٢).

وكانت تسمعه وهو يقول: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عَزَّ وَجَلَّ سرورٌ تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كُربة، أو تقضى عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحبُّ إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومَن كَفَّ غضبهُ، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيهُ أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سُوء الخُلق ليُفسد العمل، كما يُفسد الخلُّ العسلَ**» (٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٢١٣)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٣) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (١٧٦).

فكانت تسمع هذا الكلام المبارك فتسمو نفسها ويتطلع قلبها إلى النعيم الدائم فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فكانت لا تدخر درهمًا ولا دينارًا... فهى التى كانت تُسمَّى فى الجاهلية «أم المساكين» فكيف بحالها وقد أصبحت أمًّا للمؤمنين.

أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لقد جمع الله عَزَّ وَجَلَّ لأسماء بنت أبى بكر من خصال الخير وأعمال البر ورجاحة العقل ما لم يجتمع إلا للقليل النادر من الأتقياء.

فلقد كانت يُضرَب بجودها وكرمها المثل.

۞ عن محمد المنكدر قال: كانت أسماء بنت أبى بكر سخية النفس [١].

وعن القاسم بن محمد قال: سمعت ابن الزبير يقول: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء، وجُودُهما مختلف: أما عائشة، فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء، فكانت لا تدَّخر شيئًا لغد [٢].

وعن فاطمة بنت المنذر: أن أسماء كانت تمرض المرضة، فتعتق كل مملوك لها [٣].

ورغم فقر الزبير فقد كانت أسماء امرأة سخية النفس، باذلة اليد، فكانت تقول لبناتها وأهلها.

«أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إذا انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن لم تجدن فقده».

۞ عن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله! ما لى إلا ما أَدخل علىَّ الزبير، فأتصدق؟

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٢٥٣).

(٢) رجاله ثقات: وذكره الذهبى فى تاريخه (٣/ ١٣٥).

(٣) رواه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٢٥٢).

قال: «**تصدقى، ولا توعى [١] فيوعَى عليك**» [٢].

فكانت تنفق بسخاء وما نسيت وصية الحبيب ﷺ.

❁ ❁ ❁

---

(١) **الإيعاء**: جعل الشيء فى الوعاء، وأصله الحفظ، والمراد به هنا: الحث على النفقة والنهى عن منع المال بالادخار والإيعاء، أى: لا تمنعى ما فى يدك، فتنقطع مادة بركة الرزق عنك، فإن مادة الرزق متصلة باتصال النفقة، ومنقطعة بانقطاعها.

قال النووى رحمه الله: معناه الحث على النفقة فى الطاعة والنهى عن الإمساك والبخل.

قلت: وقد ورد المراد بذلك فى روايات الحديث فى الصحيحين وغيرهما، حيث قال ﷺ: «**تصدقى ولا تحصى فيحصى الله عليك**» والله أعلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٤٣٣) كتاب الزكاة، مسلم (١٠٢٩) كتاب الزكاة.

أم كلثوم بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

❁ تزوج سيدنا طلحةُ بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمّ كلثوم بنتَ أبى بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فولدت له زكريا، ويوسف، وعائشة بنت طلحة.

❁ وعاشت أمَّ كلثوم مع زوجها طلحة عيشة المؤمنة العابدة الرَّاضية، وكانت خير زوجة، وخير أم، وما حَمِدَ النَّاس فضيلة للمرأة بنتًا كانت أو زوجًا أو والدة إلا وكانت أمَّ كلثوم فيها على أجملها وأسماها، وأحقّها بالتّمجد والإكبار.

❁ فقد كانت أمَّ كلثوم رَحِمَهَا اللَّهُ ورثتْ عن أبيها الكرم – ومَنْ كأبى بكر فى الكرم؟ – كما نشأت فى تربية أختها عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعائشة مشهورة بالجود والكرم، مشهود لها بهذه الفضيلة، ثم إنَّ طلحة – زوج أمِّ كلثوم – قد سمَّاه النَّبى ﷺ: طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وبين هذه الخصال الحميدة عاشت أمَّ كلثوم تشجع زوجها على المُضى فى الإنفاق فى وجوه الخير، وشَهِد شاهد من أهل طلحة لأم كلثوم بهذه الفضيلة؛ فقد ذكر موسى بن طلحة بن عبيد الله، أنَّ أباه طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أتاهُ مالٌ من حضرموتَ سبعمائة ألف فبات ليلته يتململ.

فقالت له أم كلثوم: ما لك يا أبا محمد؟

قال: تفكرتُ منذ الليلة فقلتُ: ما ظنُّ رجلٍ بربِّهِ، يبيت وهذا المال فى بيته؟!

فقالت: فأين أنت عن بعض أخلّائك، فإذا أصبحت فاقسمها بينهم.

فقال لها: وقد سُرَّ برأيها وذهب عنه ما كان يجد: رَحمك الله! إنك موفقةٌ بنت موفقٍ، قال موسى – وهى أم كلثوم بنت أبى بكر –.

فلما أصبح، دعا بجفانٍ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى على ابن أبى طالب منها بجفنة.

فقالت له أمّ كلثوم: يا أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟

قال: فأين كنتِ منذ اليوم؟ فشأنُك بما بقي.

قالت أم كلثوم: فكانت صرّة فيها نحو ألف درهم [١][٢].

❀ ❀ ❀

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١) بتصرف يسير.

(٢) نساء من عصر التابعين (ص ١٦٤ – ١٦٥).

أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما

❁ إذا كان عمر رضي الله عنه يقضى حوائج المسلمين بنفسه، فإن زوجَه أمَّ كلثوم بنت على رضي الله عنهما لم تكن أقل منه رتبةً فى هذا الشأن، فقد كانت تشدُّ أزره فى الخيرات، وتشاركه فى تخفيف الألم عن النَّاس، وكيف لا؟ وهى سليلة بيت النبوة الطاهر؟ وزوج التقى عمر؟ فقد كانت كلما رُفِعت راية لخيرٍ تلقَّتْها أمُّ كلثوم باليمين لتفوز بالأجر والثَّواب.

❁ فتعالوا نحضر ليلة - من ليالى المدينة - مع هذين العَلَمَين تلك الليلة التى حلَّقَ كلُّ واحدٍ منهما عاليًا فى سماء الفضيلة، وارتقى سدّة المروءة والنّجدة.

ففى ذات ليلة، كان عمر فى جولة يعسُّ بالمدينة المنورة، والنَّاس نيام ليطمئن على رعيته، ويبلو أخبارهم، ويتعرف أحوالهم، ويقضى حاجاتهم.

ومَرَّ عمر بظاهر المدينة، فإذا هو بيت شَعْرٍ يلوح وسْطَ الظلام لم يكن فى الليلة الفائتة، فدنا منه فسمع أنينَ امرأة ينبعث من داخل الخيمة، ورأى رجلًا قاعدًا، فاقترب منه وسلَّم عليه، وسأله: مَنِ الرَّجل؟

قال: رجلٌ من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أصيبُ من فضله.

فقال عمر: ما هذا الصَّوت الذى أسمعه داخل الخيمة؟

فقال: انطلق يا هذا - رحمك الله - لحاجتك.

قال عمر: علىَّ ذاك ما هو؟

قال الرَّجل: امرأتى جاءها المخاض .. وسأله عمر: هل عندها أَحَدٌ؟

قال: لا، فإنَّا هنا وحيدان غريبان.

وانطلق عمر مسرعًا حتى أتى منزله، وقال لامرأته أمّ كلثوم: هل لك فى أجرٍ

ساقه الله إليك يا أم كلثوم؟

قالت: خيرًا، وما هو؟

قال: امرأة غريبة تمخض، وليس عندها أحد.

فقالت: نعم، إنْ شئتَ يا أمير المؤمنين [١].

فقال: خذى معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدّهن، وجيئينى ببرمة – قِدْر –وشحم ودقيق وحبوب.

فجاءت به فقال لها: انطلقى واتبعينى.

وحمل عمر على ظهره البرمة والدقيق والسمن، وحملت أم كلثوم حوائجها ومشت خلفه حتى انتهى إلى الخيمة فقال لها: ادخلى على المرأة.

أمَّا أميرُ المؤمنين عمر، فجاء حتى قعد إلى الرَّجل وجهز القِدْرَ، وقال للرّجل: أوقد لى نارًا، ففعل، وأوقد تحت القدر وجعل يصلح الطَّعام حتى نضج.

وما هى إلا سويعة حتى ولدتِ المرأة، وانبعثَ بكاء الوليد من داخل الخيمة، فخرجت أمُّ كلثوم وقالت: يا أمير المؤمنين بشِّر صاحبَك بغلام.

فلما سمع الرّجلُ بأمير المؤمنين دُهِشَ واستعظم ذلك، وجعل يتنحى عنه على استحياء، وأخذ يعتذرُ إلى عمر، فقال له: مكانك يا هذا كما أنتَ، لا بأسَ عليك. ثم حمل القدر فوضعه على باب الخيمةِ، ونادى أمَّ كلثوم قائلًا: خذى القدرَ وأطعمى صاحبتك.

وبعد أنْ فرغتْ من طعامها، جعلت القدرَ أمامَ باب الخيمة، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدى الرَّجل وقال له: كُلْ يا أخى فإنَّك قد سهرت من الليل، وتعبتَ، فأكل الرَّجل.

---

(١) هذه الإجابة تدلُّ على كمال تربية أمّ كلثوم بنت على وحسن نشأتها، كما تدلُّ على حسن معاشرتها لزوجها وطاعتها له، وعدم الخروج عن رأيه ورغبته فيما يريده من أمر.

ثم نادى عمر زوجته أمَّ كلثوم وقال: اخرجى، ثم التفتَ إلى الرَّجل وقال: إذا كان غدًا، فائتنا نأمر لك بما يصلحك إنْ شاء الله تعالى.

ففعل الرَّجل، ووصله عمر وأعطاه وردَّه بما يصلحه إلى أهله، فانقلب الرَّجل إلى أهله مسرورًا [١].

۞ وكان سرور أمّ كلثوم عظيمًا لهذا الأجرِ الذى ساقه الله إليها، لأنَّها كانت السَّبب فى إدخال السَّعادةِ إلى قلبِ امرأة غريبة فاجأها المخاضُ فى ساعة لا يعلم بحالها أَحَدٌ إلا الله تعالى. وتابعت أمُّ كلثوم حياتها المعطاء مع عمر رضي الله عنهما وهما يعملان على ما يُرضى الله عز وجل إلى أن استُشهد عمر رضي الله عنه [٢].

۞ ۞ ۞

(١) عن مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى (ص ٨٤ و ٨٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١٤٠) بتصرف.

(٢) نساء من عصر التابعين (ص: ١٠٧ – ١١٠).

أم البنين بنت عبد العزيز رَحِمَهَا ٱللَّهُ

❁ ومما يسرُّ النفوس فى سيرة أمِّ البنين، ذلك الكرم الذى فُطِرَت عليه، ولها مع الجود والكرم أخبارٌ تدلُّ على نُبْلِ شخصيتها وحُسن طباعها، وكمال أدبها، واعترافها بنعم الله ﷻ وشكرها للهِ على إنعامه عليها.

❁ وقد ورثتْ كرمها عن أبيها عبد العزيز بن مروان؛ الذى كان شديد الكرم، وكان يذمُّ البخلَ والبخلاء ومن أقواله فى هذا المجال: لو لم يدخل على البُخلاء فى بخلهم إلا سوء ظنهم بالله ﷻ لكان عظيمًا.

❁ وكانت لأمِّ البنين فى قلوب النَّاس محبة عظيمة لمآثرها وكريم أفعالها، واصطناعها المعروف معهم، فكانت ترى أنَّ الإنفاق والجود مَدعاة إلى زيادة الرِّزق.

❁ ومن عيون أخبار أمِّ البنين مع الكرم أنَّها كانت تدعو النِّساء إلى بيتها، وتكسوهن الثِّياب الحسنة، وتعطيهن الدَّنانير، وتقول: الكسوةُ لكُنَّ والدَّنانير اقسمْنَها بين فقرائكن – تريد بذلك أنْ تعلمهن وتعودهن على البذْلِ والجود –.

❁ ولأمِّ البنين أقوالٌ مأثورة فى الجود والكرم، تدلُّ على حبِّها الشَّديد للخير واصطناعه، ومن أبدع ما قالته فى هذا المجال، ما ذكره راويتها إبراهيم بن أبى عبلة قالت: سمعتْ أمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول:

أُفٍّ للبخل، واللهِ لو كان ثوبًا ما لبستُه، ولو كان طريقًا ما سلكته [1][2].

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق (ص ٤٨١)، وبهجة المجالس (١/ ٦٢٧).

(٢) نساء من عصر التابعين (ص ٢٦٧).

هند بنت المهلب رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ كانت هندُ بنت المهلب ممن أوتين الحكمةً في عصر التَّابعين، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، ولعلَّ مَصْدر حكمتها يرجع إلى البيئةِ النَّقيَّة التى عاشتها، وإلى الحياة الاجتماعية التى كانت فى تطور مستمر عصرئذٍ .. أضيفي إلى ذلك كلِّه أنَّ هندًا نفسَها قد نشأت على حبِّ العلم ومواصلة العبادة، كما فُطرت على حبِّ الكرم الذى يؤلِّفُ القلوب ويَجبر النُّفوس.

ولها فى الكرم أخبارٌ تدلُّ على نفسيتها الفريدة فى عالم نساء عصرها فقد كانت تكرم النساء اللاتى يزرنَها،، وكانت ترى أنَّ يدَ المعروف والكرم غُنْمٌ حيث كانت،.... حدَّثت أمُّ عبد الله العَتكى قالت:

كنت أدخل على هند بنتِ المهلب، وهى تسبِّحُ باللؤلؤ، فإذا فرغت من تسبيحها ألقته إلينا، فقالت: اقسمنه بينكن، وهذا ليس بغريب على امرأة عقدت حلفًا وثيقًا مع الجود، وأسكنته بين جوانحها،... ففي كتابه المحاسن والمساوئ ذكر البيهقي أنَّها أعتقت فى يوم واحد أربعين رقبة.

لذلك كانت ترى هذا من نعم الله ﷻ عليها.

۞ ومن فرائد أقوالها فى حثِّها على الشُّكر لأنعم الله ﷻ، وتوجيه النَّاس إلى حِفْظِ النِّعمةِ، فقلما عادت نعمة بعد زوالها، قالت: إذا رأيتم النِّعم مستدرة، فبادروها بتعجيل الشُّكر قبل حلولِ الزَّوالِ[2].

۞ ألا ترين معى أنَّ هذا القول من كمال معرفةِ هند بكتاب الله ﷻ وحسن

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

(٢) بهجة المجالس للقرطبى (١/ ٣١٦).

تدبر آياته ومعانيه فالله ﷻ يقول في محكم التَّنزيل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1][2].

❊ ❊ ❊

(١) سورة إبراهيم: الآية (٧).

(٢) نساء من عصر التابعين (ص ٥٣ – ٥٤).

موقف في الجود والشهامة

يُروى أن رجلًا من أجواد العرب وأكرامهم خرج فى طريقه إلى مدينة مجاورة فاشتد به العطش، فشاهد بيتًا صغيرًا عند أطراف المدينة، فذهب إليه ودقَّ الباب بلطف، فجاء صوت سيدة من خلف الباب تسأل: مَن الطارق؟

فقال: عابر سبيل.

قالت السيدة من خلف الباب دون أن تفتح: ماذا تريد يا هذا؟

قال الرجل: لقد عطشت وأريد شربة ماء.

قالت: مرحبًا بالضيف، والله لولا أنى امرأة وحيدة، وليس لى ولدٌ وزوجى مات منذ فترة، لدعوتك للدخول، ولكن انتظر لأحضر لك الماء، ولما أحضرت الماء، قالت للرجل من خلف الباب: هل معك غلام؟

قال: نعم.

قالت: اذهب إلى بعيد وأرسل غلامك ليأخذ قدح الماء، فإنى أخشى أن يرانى البعض وأنا أفتح الباب لرجل غريب فيظنوا بى الظنون... فأرسل غلامه وفتحت السيدة جانبًا من الباب، ومدَّت يدها بقدح الماء للغلام، وأغلقت الباب فشكرها الرجل من خلف الباب، وقال لغلامه: أعطها مائة دينار.

فقالت السيدة: يا هذا، اذهب لحال سبيلك.

فقال للغلام: أعطها مائتى دينار.

فقالت: أتسخر بى بعد أن علمت أننى امرأة وحيدة وليس معى سند؟

اعلم أن الله يرعانى، فإن كنت تظن أنك تسخر بى، فإنى قادرة على أن أخرج لك بسيفى، فإن العربية لا تقبل الإهانة، ولن تقبل أن يسخر بها أحد، انصرف لحالك، واعلم أن عباد الله، ليسوا مجالًا لسخريتك، أتدفع مائتى دينار

مقابل قدح ماء؟

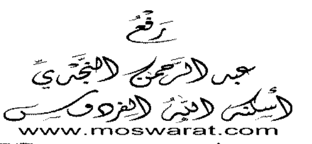
فقال الرجل لغلامه: أعطها ألف دينار.

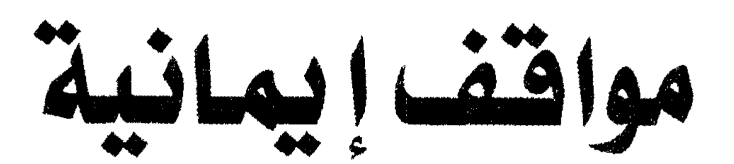
وهنا سمع الرجل صوتًا كصوت سيف يستل من غمده، والباب يهم أن يفتح فأسرع بالانصراف، وخرجت السيدة فى شهامة وحجابها على وجهها، وسيفها فى يدها فوجدت كيسًا به ألف دينار، وورقة عليها هذه الكلمات:

«لم ندفع هذا المال من أجل قدح الماء، ولكننا دفعناه مقابل درس تعلمناه فى الأدب والمروءة والشهامة وعلو الهمة»[1].

❁ ❁ ❁

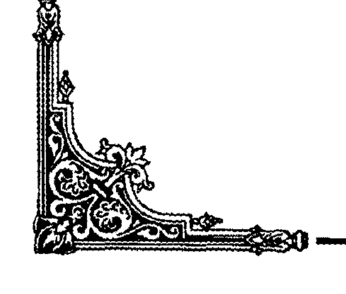
(١) موسوعة المرأة المسلمة (٤/ ٦٣، ٦٤) صلاح عبد الغنى محمد.





مواقف إيمانية

في البسمة وإدخال السرور على الآخرين





مشروعية الترفيه في الإسلام

ثبت بالأسانيد الصحاح ممارسة المصطفى ﷺ لجوانب متعددة من ألوان الترفيه والترويح واللهو المباح.

فقد كان ﷺ يمزح ويداعب، ولكن لا يقول إلا حقًّا [١]، وكان يسابق، وينظر للآخرين يستروحون فيبش في وجوههم ويوافقهم.

فعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيتبسم معهم إذا ضحكوا» [٢].

كما أذن ﷺ للحبشة أن يلعبوا بسهامهم وحرابهم على عادتهم في مسجده الشريف، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهو يقول: «**دونكم يا بني أرفدة**» [٣].

كما أباح ﷺ الغناء للنساء وضرب الدف في المناسبات وأيام الأعياد؛ وعلله بيسر الإسلام وسماحته، كما حث على زواج الأبكار وعلله بما يكون من الملاعبة بين البكر وزوجها.

سأل رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله قائلًا: «**ما تزوجت؟**» فأجاب جابر بن عبد الله: تزوجت ثَيِّبًا، قال ﷺ: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**» [٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٩٠) كتاب البر والصلة وأحمد (٨٥٠٦) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع (٢٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٩٥٠) كتاب العيدين، ومسلم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٩) كتاب النكاح، ومسلم (٧١٥) كتاب صلاة المسافرين.

صور من مزاح النبى ﷺ

۞ ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا متكاملًا للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بَشَرٌ سَوى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)[(١)].

۞ هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه[(٢)].

بل وفى الصحيحين من حديث جرير من حديث علىّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، ... ومسلم من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم[(٣)].

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلىّ رضي الله عنه أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: «**اللهم ثَبِّته واجعلهُ هاديًا مهديًّا**»[(٤)].

---

(١) الحلال والحرام. د/ يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

❁ روى أن امرأة عجوزًا جاءته تقول: يا رسول الله، ادع الله لى أن يُدخلنى الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز**»[١].

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[٢].

❁ وعن أنس أن رجلًا استحمل رسول الله ﷺ - أى: طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: «**أنا حاملك على ولد ناقة**» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق؟**»[٣].

❁ وعن أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «**إنى لا أقول إلا حقًّا**»[٤].

❁ وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان فى بيت عائشة، فبعث إليه بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فألقتها وكسرتها، فجعل النبى ﷺ يضم الطعام ويقول: «**غارت أمكم**». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التى كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة[٥].

❁ وعن أنس بن مالك قال: كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبى

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/ ٢٥٨/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟**» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير!**»[1].

۞ وعن أنس أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه: زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «**من يشترى العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا[2]، فقال النبى ﷺ: «**ولكن عند الله لست بكاسد**- أو قال: **لكن عند الله غالٍ**»[3].

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التى دارت بين النبى ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم.

- ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ النبى ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلى فى رمضان، قال: «**أعْتقْ رقبة**». قال: ليس لى. قال: «**فصم شهرين متتابعين**». قال: لا أستطيع. قال: «**فأطعم ستين مسكينًا**». قال: لا أجد. فأُتى بعرق[4] فيه تمرٌ، فقال: «**أين السائل؟ تصدق بها**». قال: على أفقر

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٢) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والتِّرمِذِى فى الشَّمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٤) عرق: هو المكتل ويقال إنه يسع خمسة عشر صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث كما هو رأى الشافعى أو ثمانية كما هو قول أبى حنيفة.

منى؟ والله ما بين لابتيها[1] أهلُ بيتٍ أفقر منا. فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «**فأنتم إذًا**»[2].



وموقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلًا لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب**[3]».

فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبننى ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا**[4] **إلا سلك فجًا غير فجك**»[5].

---

(١) لابتيها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٣) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.

(٤) فجًا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

كان ﷺ يبتسم فى أحلك الأحوال

وكان النبى ﷺ يبتسم حتى فى أحلك الأحوال.. فها هو ﷺ فى أرض الجهاد يبتسم ويضحك مع أصحابه؛ لينسيهم ما بهم من جراحات.

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما كان رسول الله ﷺ بالطائف قال: إنا قافلون غدًا إن شاء الله، فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرحُ، أو نفتحها، فقال النبى ﷺ: «**فاغدوا على القتال**» فغدوا فقاتلوهم قتالًا شديدًا، وكثر فيهم الجراحات، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غدًا إن شاء الله**» قال: فسكتوا... فضحك رسول الله ﷺ[1].

كان ﷺ يتعرض للإيذاء ويبتسم!!

بل كان النبى ﷺ يتعرض للإيذاء أحيانًا فيبتسم فى وجه من يؤذيه؛ ليتألف قلبه فقد كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبدًا وإنما كان يغضب لله.

وها هو موقف من المواقف المؤثرة التى تحكى لنا كيف كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبدًا.

ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٢٥) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥٧) كتاب الزكاة.



النبي ﷺ يحض الأمة على البشاشة والكلمة الطيبة

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحض الأمة كلها على البشاشة وطلاقة الوجوه والكلمة الطيبة؛ لتتآلف القلوب وتتصافح.

فها هو ﷺ يقول: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ**»(١).

ويخبر ﷺ أن مجرد البسمة في وجه أخيك المسلم صدقة، فيقول ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة....**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٧٢).

مزاح النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبَّت ريح فكشفت ناحية الستر من بناتٍ لعائشة (لُعَب)، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذى أرى وسطهن؟**». قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذى عليه؟**»، قالت: جناحان. قال: «**فرس له جناحان؟!**»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه[1].

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحلم والتواضع حتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية فهى صفات راسخة فى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسول الله ﷺ للناس: «**تقدموا، تقدموا**» فتقدموا، ثم قال: «**يا عائشة تعالى حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**»، فتقدموا، ثم قال لى: «**تعالى أسابقك**»، فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختها له، فقلت

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنَّسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

لسودة -والنبى ﷺ بينى وبينها:- كُلى، فأبت، فقلت: لتأكلن، أو لأُلطخَنَّ وجهك، فأبت فوضعتُ يدى فى الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «**ألطخى وجهها**»، فضحك النبى ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله! فظن أنه سيدخلُ فقال: «قوما فاغسلا وجوهكما». فقالت عائشة: فما زلت أهاب عُمر لهيبة رسول الله ﷺ[١].

أشركاني في سِلمكما كما أشركتماني في حربكما

وكان ﷺ يأتى إليها دائمًا بكل ما يُدخل عليها السعادة والسرور... وكان أحيانًا أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحضر معهما بعض المواقف الطريفة ويشاركهما فى تلك السعادة التى كانت ترفرف على هذا البيت المبارك.

عن النعمان بن بشير، قال: استأذن أبو بكر على النبى ﷺ، فإذا عائشة ترفع صوتها عليه، فقال: يا بنت فلانة، ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ! فحال النبى ﷺ بينه وبينها. ثم خرج أبو بكر، فجعل النبى ﷺ يترضاها، وقال: «**ألم ترينى حُلت بين الرجل وبينك**». ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى، فسمع تضاحكهما، فقال: أشركانى فى سلمكما كما أشركتمانى فى حربكما[٢].

إنها ابنة أبي بكر

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل أزواج رسول الله ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معى فى مِرطى، فأذن لها.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلى (٤٤٧٦)، وابن عساكر (٤٤/ ٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٩٩) الأدب، وقال الأرنؤوط: إسناده قوى.

فقالت: يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة[1]... وأنا ساكتة... قالت: فقال لها رسول الله ﷺ **«أى بُنية ! ألست تحبين ما أحب ؟»** فقالت: بلى... قال: **«فأحبِّى هذه»**... قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبى ﷺ فأخبرتهن بالذى قالت، وبالذى قال لها رسول الله ﷺ.

فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شىء فارجعى إلى رسول الله ﷺ فقولى له: أن نساءك ينشدنك[2] العدل فى ابنة أبى قحافة. فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا... قالت عائشة رضي الله عنها: فأرسل أزواج النبى ﷺ زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ ، وهى التى كانت تسامينى منهن فى المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أرَ امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب. وأتقى لله عز وجل. وأصدق حديثًا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالًا لنفسها فى العمل الذى تَصدَّق به وتقرَّب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة[3] من حَدٍّ[4] كانت فيها... تُسرع منها الفيئة[5].

فاستأذنت على رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ مع عائشة فى مِرطها، على الحالة التى دخلت فاطمة عليها وهو بها... فأذن لها رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة.

---

(١) قال الإمام النووى: قولها: (يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة) معناه: يسألنك التسوية بينهن فى محبة القلب، وكان ﷺ يسوى بينهن فى الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما يؤمر بالعدل فى الأفعال. [مسلم بشرح النووى (١٥/ ٢٩٥)].

(٢) أى: يسألنك.

(٣) السَّوْرَةُ: الثوران وعجلة الغضب.

(٤) هكذا فى معظم النسخ: «سورة من حَدٍّ»، وفى بعضها: «مِن حِدَّةٍ» وهى: شدة الخُلُق وثورانه. انتهى من «حاشية مسلم».

(٥) أى: الرجوع، والمراد أنها تسارع إلى الرجوع إذا وقع شىء من حِدَّةٍ أو سرعة غضبٍ.

قالت[١]: ثم وقعتْ بى... فاستطالت عليَّ. وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لى فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر.

قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها[٢] حين أنحيت عليها[٣] فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «**إنها ابنة أبى بكر**»[٤][٥].

تبسمه ﷺ مع عائشة في مرضه

فعنها رضي الله عنها قالت: رجع إلىَّ النبى ﷺ ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجدنى وأنا أجد صُداعًا، وأنا أقول: وا رأساه.

قال: «بل أنا يا عائشة وا رأساه» قال: «وما ضرَّك لو مِتِّ قبلى لغسلتُك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك». فقالت: لكأنى بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فعرَّستَ فيه ببعض نسائك.

قالت: فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ... ثم بُدئ فى وجعه الذى مات فيه[٦].

---

(١) يعنى: عائشة رضي الله عنها، والمراد: أن زينب وقعت فى عائشة رضي الله عنها، أى: نالت منها، وعند البخارى (٢٥٨١): «فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهى قاعدة فَسَبَّتْهَا».

(٢) أى: لم أُمهلها.

(٣) أى: حين قَصدتها بالمعارضة، وفى بعض الروايات لمسلم، وغيره: «لم أَنْشَبْهَا أن أَثْخَنْتُها».
أى: قمعتها وقهرتها وفى رواية البخارى «فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها».

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٨١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (٢٤٤٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) صحابيات حول الرسول ﷺ للمصنف (ص ١١٠-١١٢) بتصرف.

(٦) رواه أحمد (١٨/ ٨٧) بإسنادٍ صحيح.

النبي ﷺ يمازح أم أيمن رضي الله عنها

عن محمد بن قيس قال: جاءت أم أيمن إلى النبى ﷺ، فقالت: احملنى قال: «**أحملك على ولد الناقة**».

فقالت: يا رسول الله، إنه لا يطيقنى ولا أريده.

فقال ﷺ: «**لا أحملك إلا على ولد الناقة**».

فقالت: يا رسول الله، إنه لا يطيقنى ولا أريده.

فقال ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق؟**».

يعنى: أنه كان يمازحها... وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا، والإبل كلها ولد النوق[١].

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٦٠)، ورواه الترمذى فى سننه (١٩٩١)، وصحيح سنن أبى داود للألبانى (٤٩٩٨)، وقال: صحيح لكن عن أنس بن مالك وأن الذى قال ذلك هو رجل، وربما تعددت الحكاية.

سكينة بنت الحسين رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ عُرفت سكينة رَحِمَهَا ٱللَّهُ بأنها من أطيب النساء نفسًا وأحلاهن روحًا، فقد كانت تميلُ إلى الفكاهة وحبِّ النكتةِ، وكانت ظريفة تحبّ الدّعابة والظَّرافة التى تضفى على جوِّها روح الخفَّةِ والأُنس.

۞ قيل لها مرة: يا سُكينة، أختك ناسكة وأنت مزَّاحة؟

قالت: إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة، وسميتمونى باسم جدتى التى لم تدركِ الإسلام[١].

ومن طريف ما روى عنها، أنه لسعتها يومًا دَبرة - نحلة- فقالت لها أمّها: ما لك؟

۞ فقالت: مرَّتْ بى دُبيرة، فلسعتنى بُأبيرة، فأوجعتنى قُطيرة[٢].

۞ ۞ ۞

(١) تقصدُ أختها فاطمة بنت الحسين بن على، سُميت باسم جدتها فاطمة الزهراء بنت النبى ﷺ، وزوج على بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. واسم سكينة - كما أسلفنا - هو آمنة، وسكينة لقب لها، وسُميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ.

(٢) نساء من عصر التابعين (ص/ ١٧٦-١٧٧).

آداب المزاح

١- ألا يكون المزاح فيه تجريح لأحدٍ من الناس.

٢- أن يكون المزاح لا كذب فيه.

فقد كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا ... بل قال النبى ﷺ: «**أنا زعيم ببيتٍ فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا....**»[١].

وحذر النبى ﷺ من أن يكذب الرجل ليُضحك من حوله فقال ﷺ: «**ويلٌ للذى يُحدث فيكذب؛ ليُضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له**»[٢].

٣- أن يكون المزاح لقصد التسلية أو الترفيه عن النفس، وإيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين.

كان ابن سيرين الإمام العلم المحدث، إذا اشتدَّ الضحى ينزل إلى سوق البصرة، فيسلم على الناس ويمازحهم ويوزع البسمات على المسلمين، ولذلك أحبوه، وحشروا فى درسه، وتعلقت به القلوب، فإن القلوب لا تحب الفظّ الغليظ ولو كان تقيًّا، بل تحب الدعوب القريب من الناس.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

مواقف إيمانية

في الحياة الزوجية



الحثُّ على النكاح

إن للنكاح فوائد عظيمة لمن تأملها وتدبرها، وسنذكرها فى إيجاز شديد.

(١) المحافظة على النوع الإنسانى: فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنسانى، ويتكاثر، ويتسلسل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢) المحافظة على الأنساب: وبالزواج -الذى شرعه الله- يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، ولا يخفى ما فى هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتى واستقرارهم النفسى، وكرامتهم الإنسانية، ولو لم يكن ذلك الزواج الذى شرعه الله، لعَجَّ المجتمع بأولادٍ لا كرامة لهم ولا أنساب؛ وفى ذلك طعنةٌ نجلاء للأخلاق الفاضلة، وانتشار مريع للفساد والإباحية.

(٣) سلامة المجتمع من الانحلال الخلقى: وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقى، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعى.

(٤) سلامة المجتمع من الأمراض: وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التى تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة الزنى، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، ومن هذه الأمراض: «الزهرى»، وداء «السيلان» و(التعقيبة)، وغيرها من الأمراض الخطيرة التى تقضى على النسل، وتوهن الجسم، وتنشر الوباء، وتفتك بصحة الأولاد.

(٥) السكن الروحانى والنفسانى: وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والألفة ما بين الزوجين، فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله، ويركن عند المساء إلى بيته، ويجتمع بأهله وأولاده، ينسى الهموم التى اعترته فى نهاره، ويتلاشى التعب الذى كابده فى سعيه وجهاده، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها، وتستقبل عند المساء رفيق حياتها.

(٦) **تعاون الزوجين فى بناء الأسرة وتربية الأولاد:** وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة، وتحمل المسئولية، فكل منهما يكمل عمل الآخر، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها. وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها، وذلك فى الإشراف على إدارة البيت، والقيام بتربية الأولاد، وصدق من قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

(٧) **تأجُّج عاطفة الأبوة والأمومة:** وبالزواج تتأجج فى نفس الأبوين العواطف، وتفيض من قلبيهما ينابيع الأحاسيس والمشاعر النبيلة [١].

قال صاحب «مختصر منهاج القاصدين»: «وللنكاح خمس فوائد: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن».

(٨) **أما عن الولد فإن التوصل إلى الولد قُربة مَن أربعة أوجه:**

الأول: موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد؛ لإبقاء جنس الإنسان.

والثانى: طلب محبة رسول الله ﷺ فى تكثير مَن به مباهاته.

والثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

والرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

۞ قصة عجيبة:

حُكى أن بعض الصالحين كان يُعرَض عليه التزويج فيأبى برهة من دهرْه، قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوِّجونى زوجونى، فزوجوه، فسُئل عن ذلك فقال: لعل الله يرزقنى ولدًا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة، ثم قال: رأيتُ فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف، وبى من العطش ما كاد أن يقطع عُنقى، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب، فنحن كذلك إذ ولدان يتخلَّلون الجَمْعَ، عليهم مناديل من نور، وبأيديهم أباريق

---

(١) «تربية الأولاد فى الإسلام» الأستاذ عبد الله ناصح علوان (١/ ٣٥-٣٧).

من فضة وأكواب من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد، يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس، فمددتُ يدى إلى أحدهم وقلتُ: اسقنى فقد أجهدنى العطش، فقال: ليس لك فينا ولد، إنما نسقى آباءنا، فقلت: ومن أنتم؟ فقالوا: نحن مَنْ مات من أطفال المسلمين[(١)].

(٩) التحصن عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغض البصر، وحفظ الفرج:

وهذا ما أشار إليه النبى ﷺ بقوله: «**يا معشر الشباب!! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(٢)].

(١٠) ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة، وإراحة للقلب وتقوية له على العبادة.... وفى الخبر: على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه، فإن فى هذه الساعة عونًا على تلك الساعات لله.

(١١) تفريغ القلب عن تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الإنسان يتعذر عليه أكثر ذلك مع الوحدة ولو تكفل به لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل ... فالمرأة الصالحة عون على الدين بهذه الطريقة، إذ اختلال هذه الأسباب شواغل للقلب.

(١٢) مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن، وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربية الأولاد، وكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنه رعاية وولاية، وفضل الرعاية عظيم، وإنما

---

(١) «الإحياء» (٢/ ٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠٥) كتاب الصوم، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

يحترز منها من يخاف من القصور عن القيام بحقها، ومقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله - عز وجل -..

ولقد قال ﷺ: «**دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك**»[(١)(٢)].

وهناك فوائد أخرى ألا وهى: تكون الأسر وتقريب الناس بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾[(٣)].

وكذلك من فوائد النكاح: حصول الأجر بإعفاف الرجل نفسه وإعفافه أخته المسلمة والإنفاق عليها، والقيام بجميع حقوقها، وتربية الأولاد، والصبر عليهم، وكلما زادت النية زاد الأجر فالأجر على قدر النية.

وكذلك فإن النكاح يسبب الراحة النفسية، وتفريغ الفكر، واطمئنان القلب.

۞ النكاح سببٌ للغنى وكثرة الرزق:

إن الله قد جعل النكاح سببًا لكثرة الرزق وذلك لكى لا يظن الإنسان أن الزواج سيكون عبئًا عليه يتكلف من جرَّائه ما لا يطيق.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[(٤)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: رغَّبهم الله فى التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى،.... وقال أبو بكر رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.... وقال ابن مسعود رضي الله عنه: التمسوا الغنى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٩٥) كتاب الزكاة.

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٧٦) بتصرف.

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٥٤).

(٤) سورة النور: الآية: (٣٢).

فى النكاح... ولقد قال ﷺ: «**ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم - الناكح الذى يريد العفاف**»(١).

۞ الزواج وسيلة إلى مرضاة الله وجنته:

فإن الذى أمرنا بالزواج هو الله (جل وعلا) فإذا تزوج العبد وكان فى نيته أن يمتثل أمر الخالق -جل وعلا- فقد فعل ما يُرضى الله (جل وعلا).

۞ إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه:

قال ﷺ: «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله فى النصف الباقى**»(٢).

قال الإمام القرطبى فى شرح الحديث: («ومعنى ذلك أن النكاح يعف عن الزنا، والعفاف أحد الخصلتين اللتين ضمن رسول الله ﷺ عليهما الجنة، فقد قال ﷺ: «**من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»(٣))(٤).

۞ الزواج مظنة الذرية الصالحة:

ولتحقيق التسامى بتلك الرابطة فوق طابع الشهوة إلى ممارسة سامية عالية أرشد النبى ﷺ الزوج إلى استصحاب نية طلب الأولاد، والتسمية، وحَضَّ على ذلك لما فيها من الخير الكثير.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدَكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله، اللهم جَنِّبْنا الشيطان، وَجَنِّب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد فى ذلك اليوم لم يَضرَّه الشيطان أبدًا**»(٥).

---

(١) حسن: رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) حسن: رواه البيهقى فى «شُعب الإيمان» عن أنس والطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٣٢)، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٤٣٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٤) «تفسير القرطبى» (٩/ ٣٢٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١) كتاب الوضوء، ومسلم (١٤٣٤) كتاب النكاح.

فضل الزوجة الصالحة

قال رسول الله ﷺ: «تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أى النساء خير؟، قال: «التى تسُرُّه إذا نظر، وتُطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فى نفسِها ولا مالها بما يكره»(٢).

وعن سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فَتُعْجِبُكَ، وتغيب عنها فتأمنُها على نفسِها ومالك....»(٣) الحديث.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن سول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»(٤).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾(٥) قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أى المال خير فنتخذه فقال: «أفضله لسانٌ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع، وقوله ﷺ: «تربت يداك» يعنى: «التصقت بالتراب».

(٢) حسن: رواه النسائى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٣٨).

(٣) وتتمته: «والدابة تكون وطيئة؛ فتُلحِقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأةُ، تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غِبْتَ عنها لم تَأْمَنْها على نفسِها ومالِك، والدابة تكون قطوفًا، فإن ضربتَها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلْحِقك بأصحابك، والدار تكون ضيقةً قليلة المرافق» رواه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ١٦٢) وصححه، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣/ ٧٠) رقم (٣٠٥١)، والقطوف: الضيقة المشى.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٧) كتاب الرضاع.

(٥) سورة التوبة: الآية: (٣٤).

ذاكر وقلبٌ شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه».. وفي رواية قال ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تُعينه على أمر الآخرة**»(١).

فضل طاعة الزوجة لزوجها

لقد وردت أحاديث كثيرة في سنة النبي ﷺ تحض المرأة على طاعة زوجها وتوضح لها ثواب طاعتها لزوجها في الدنيا والآخرة.

۞ عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبَرَّته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»(٢).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تعلم المرأة حق الزوج، لم تقعُد ما حضر غداؤه وعشاؤه؛ حتى يفرغ منه**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (يا معشر النساء! لو تعلمن حق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن وجه زوجها بنحر وجهها)(٤).

ومنها: ما رواه حصين بن مُحصِن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «**أي هذه! أذات بعل؟**» قلت: «نعم»، قال: «**كيف أنتِ له؟**».قالت: «ما آلوه(٥) إلا ما عجزتُ عنه»، قال: «**فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٥٥).

(٢) ضعيف: رواه ابن ماجه، وضعفه الألباني في المشكاة (٣٠٩٥)، والضعيفة (٤٤٢١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٠٥)، والنحر هنا بمعنى: القطعة، وقد ذكره ابن الجوزي في «أحكام النساء» ص(٧٢) بلفظ: «عن قدمي زوجها بحر وجهها».

(٥) ما آلوه: أي لا أقصر في طاعته وخدمته.

(٦) حسن: رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٩).

ومنها: ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (قيل لرسول الله ﷺ أى النساء خير؟، قال: «**التى تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره**») (١).

فيا أيتها الأخت المسلمة كونى له أرضًا يكن لك سماءً، وكونى له وعاءً يكن لك غطاءً، وما أبلغ الكلمات التى خرجت من فم المصطفى ﷺ لتعبر عن مدى حق الزوج على زوجه، فقال: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذى نفس محمدٍ بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهى على قَتب لم تمنعه**» (٢).

۞ عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى رجل بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال: إن ابنتى هذه أبت أن تتزوج، فقال لها رسول الله ﷺ «**أطيعى أباك**» فقالت: والذى بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرنى ما حق الزوج على زوجته؟، قال: «**حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحةٌ فلحستها، أو انتثر منخراه صديدًا أو دمًا، ثم ابتلعته، ما أدت حقه**»، قالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج أبدًا فقال النبى ﷺ: «**لا تنكحوهن إلا بإذنهن**» (٣).

ولعظم حق الزوج أضاف ﷺ طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام كما فى الحديث التالى:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت**» (٤).

---

(١) حسن: رواه النسائى (١/ ٣٢٣) والحاكم، وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٨٣٨).

(٢) حسن: رواه أحمد وابن ماجه (١٨٥٣)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٩٥).

(٣) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٠٥)، وابن حبان فى صحيحه (٩/ ٤٧٢)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٤٨).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

وقال ﷺ: «**ألا أخبركم برجالكم فى الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**النبى فى الجنة والصدِّيق فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة، ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الوَدود الوَلود العَؤود التى إذا ظُلمت قالت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غَمضًا حتى ترضى**»(١).

❀ ❀ ❀

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى الأفراد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٤).

صور مشرقة من تيسير الزواج بالمؤمنات

قال ﷺ: «خير النكاح أيسره»[١] ، ويا لها من كلمة عظيمة تكشف عن رحمة النبى ﷺ بأمته، ورغبته فى تيسير الخير لكل شابٍ مسلم ولكل فتاة مسلمة، وذلك لأن المغالاة فى المهور وعدم تيسير الزواج يجلب المشقة للأمة المسلمة ويجعل الحرام يتفشى فى المجتمع المسلم.

قال ﷺ: «إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»[٢] .

قال عروة رضي الله عنه: وأنا أقول من عندى: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها.

۞ مهور نساء النبي ﷺ وبناته:

عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: يا أيها الناس لا تغالوا مهر النساء فإنها لو كانت مَكْرُمة لم يكن منكم أحد أحق بها ولا أولى من النبى ﷺ ما أمهر أحدًا من نسائه ولا أصدق أحدًا من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية والأوقية أربعون درهمًا فذلك ثمانون وأربع مائة درهم وذلك أغلى ما كان رسول الله ﷺ أمهر فلا أعلم أحدًا زاد على أربع مائة درهم[٣] .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: سألتُ عائشة زوج النبى ﷺ : كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتى عشرة أوقية وَنَشًّا، قالت: أتدرى ما النش؟ قال: قلت: لا، قالت: نصف أوقية؛ فتلك خمسمائة درهم. فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه[٤] .

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢١١٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣٩٥٧، ٢٤٠٨٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٥).

(٣) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٩٢

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٤٢٦)، ويعادل ٥٠٠ درهم فضة ١٢٠٠ جرام تقريبًا. وهو ما يعادل ١٥٠٠ جنيه مصرى حاليا تقريبًا.

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان صداق بنات رسول الله ﷺ ونسائه خمس مائة درهم اثنتى عشر أوقية ونصفًا[١].

وعن عكرمة قال: لما زوج النبى ﷺ عليا فاطمة قال: «**أعطها شيئًا**» قال: يا رسول الله ليس عندى شيء، قال: «**فأين درعك الحطمية**»؟[٢].

۞ مهور أصحاب النبي ﷺ:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال كان صداقنا إذ كان رسول الله ﷺ فينا عشرة أواق أربع مائة درهم[٣].

عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صُفْرة فقال: «**ما هذا؟**» قال: يا رسول الله إنى تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: «**فبارك الله لك؛ أَوْلِم ولو بشاة**»[٤].

وعنه رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم رضي الله عنها فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشى بنى فلان؟ إن أنت أسلمت لم أُرِدْ منك من الصداق غيره، قال: حتى أنظر فى أمرى، قال: فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله قالت: يا أنس؛ زوِّج أبا طلحة[٥].

۞ جهاز فاطمة بنت النبي ﷺ:

لننظر جميعًا إلى جهاز واحدة من سيدات نساء العالمين، بنت سيد العالمين حينما جهزها أبوها ﷺ لتدخل بيت الزوجية.

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (ج٣ ص٤٩٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائى (٣٣٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود.

(٣) مصنف عبد الرزاق ج٦ ص١٧٧ .

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٧٢) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٧) كتاب النكاح.

(٥) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ١٩٥)، وقال الحافظ الذهبى فى التلخيص: على شرط مسلم.

قالت أم أيمن: وَلِيتُ جَهازها - أى: جهاز فاطمة - فكان فيما جهزتُها به مرفقة - وسادة أى: مخدة - من أدم - جلد - حشوها ليف ـ ليف النخل ـ وبطحاء ـ رمل ـ مفروش فى بيتها... عن دارم بن عبد الرحمن بن ثعلبة الحنفى قال: حدثنى رجل أخواله الأنصار قال: أخبرتنى جدتى أنها كانت مع النسوة الاتى أهدين فاطمة إلى على؛ قالت: أُهْدِيت فى بُردين - ثوبين - عليهما دُمْلوجان - حُلى: أملس - من فضة مُصَفَّران - مطيبان - بزعفران، فدخلنا بيت على فإذا إِهاب - جلد - شاة على دكان ـ دكة مبنية من الطين للجلوس عليها كالمصطبة - ووسادة -مخدة - فيها ليف، وقِرْبة - سقاء - ومنخل ومنشفة وقدح ـ إِناء يؤكل فيه -[1].

قال على: لقد تزوجت فاطمة وما لى ولها إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لى ولها خادم غيرها. والناضح هو: البعير.

وعن على أن رسول الله ﷺ لما زوَّجه فاطمة بعث معها بخملة ـ قطيفة ـ ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين - والجرة إناء من الفخار.

۞ البساطة في مسكن الزوجية:

كلما كان للعروسين مسكن خاص بهما كلما كان ذلك أهنأ عند بنائهما، وأستر لهما فى حياتهما الجديدة، وقد سأل النبى ﷺ عليا رضي الله عنه أن يسعى فى ذلك ففعل، واستقل ببيت خاص، لكنه كان بعيدًا عن بيت الرسول ﷺ قليلًا، فطلب من على أن يقترب منه، فلما تيسر ذلك تحول قريبًا من المصطفى ﷺ.

۞ مسكن فاطمة رضي الله عنها:

عن أبى جعفر قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أبى أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج على فاطمة قال لعلى: «**اطلب منزلًا**» فطلب على منزلًا،

---

(١) الطبقات الكبرى (ج: ٨ ص: ٢٤).

فأصابه مستأخرًا عن النبى ﷺ قليلًا، فبنى بها فيه فجاء النبى ﷺ إليها فقال: «**إنى أريد أن أحولك إلىّ**» فقالت لرسول الله: فكلِّم حارثة بن نعمان أن يتحول عنى، فقال رسول الله ﷺ: «**قد تحول قد استحييت منه**» فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنه بلغنى أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلى وهى أسقب ـ أقرب ـ بيوت بنى النجار بك، وإنما أنا ومالى لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذى تأخذ منى أحب إلى من الذى تدع[1].

❁ مساكن أزواج النبي ﷺ:

فلما قال حارثة بن النعمان ذلك له قال رسول الله ﷺ: «**صدقت بارك الله عليك**» فحولها إلى بيت حارثة. قال محمد بن عمر: وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله ﷺ وحوله، وكلما أحدث رسول الله أهلًا تحول له حارثة بن النعمان عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ وأزواجه.

عن عامر قال: لم يوص رسول الله إلا بمساكن أزواجه وأرض تركها صدقة. قال محمد بن عمر: حدثنى معاذ بن محمد الأنصارى قال: سمعت عطاء الخراسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حُجر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج النبى فى مسجد رسول الله ﷺ، فما رأيت يومًا أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها ـ يعنى: الدنيا ـ قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه قال عمران بن أبى

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٦٦ .

أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حُجَر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مُطينة لا حُجَر لها، على أبوابها مسوح الشعر، ذَرَعْتُ الستر فوجدته ثلاث أذرع والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتنى فى مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وخارجة بن زيد وإنهم ليبكون حتى أخْضل لحاهم الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركت فلم تُهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا ما رضى الله لنبيه ﷺ ومفاتيح خزائن الدنيا بيده(١)(٢).

۞ سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين:

وها هو سعيد بن المسيب الذى زوَّج ابنته على درهمين فكان مثالًا عظيمًا للاتباع لنهج الحبيب ﷺ، وها هى القصة كما أوردها الإمام الذهبى فى السير.

قال أبو بكر بن أبى داود: كانت بنتُ سعيد قد خطبها عبدُ الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتالُ عبدُ الملك عليه حتى ضربه مائة سوطٍ فى يومٍ بارد، وصبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جُبة صوف... قال كثير بن أبى وداعة كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدنى أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: تُوفيت أهلى – يعنى: زوجته – فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمَّد، وصلى على النبى ﷺ، وزوَّجنى على درهمين ـ أو قال: ثلاثة ـ فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلتُ أتفكر فيمن أستدين. فصليتُ المغرب، ورجعت إلى منزلى، وكنتُ وحدى صائمًا، فقدمت عشائى أفطر، وكان خبزًا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٦٧ .

(٢) الأفراح بين المحظور والمباح / الشيخ جمال عبد الرحمن (ص: ١٠١ – ١٠٤) بتصرف.

وزيتًا، فإذا بابى يقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت فى كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له[1]، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلى فآتيك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تُؤتى، إنك كنت رجلًا عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هى قائمةٌ من خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب، وردَّ الباب. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعتُ القصعة فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميت الجيران، فجاءونى فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليها، وبلغ أمى، فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أُصلحها إلى ثلاثة أيام؛ فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهرًا لا آتى سعيد بن المسيب. ثم أتيته وهو فى حلقته، فسلمت، فردَّ على السلام ولم يكلمنى حتى تقوّض المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يحبُّ الصديق، ويكرهُ العدوُّ. قال: إن رابك شئٌ، فالعصا. فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إلى بعشرين ألف درهم[2].

۞ التزويج على القرآن وبغير صداق:

والإسلام يضرب لنا الأمثلة العظيمة فى تيسير الزواج على المسلمين، فهذا هو رسول الله ﷺ يزوج رجلًا على القرآن وبغير صداق، وقد أورد الحديث الإمام البخارى فى صحيحه، وقال فى عنوان هذا الباب: (باب التزويج على القرآن وبغير صداق).

---

(١) أى: بدا له أن يرجع عن تلك الزيجة.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٤/ ٢٣٣، ٢٣٤).

فعن سهل بن سعدٍ الساعدى أنه قال: إنى لفى القوم عند رسولِ الله ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا. ثم قامت فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا. ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك. فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله أنكحنيها. قال: «**هل عندك من شىء؟**» قال: لا. قال: «**اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد**». فذهب وطلب، ثم جاء فقال: ما وجدتُ شيئًا، ولا خاتمًا من حديد. قال: «**هل معك من القرآن شىء؟**» قال: معى سورةُ كذا وسورةُ كذا. قال: «**اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن**» وفى رواية: «**اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن**»[1]، نعم هذا هو إسلامنا، وتلك هى رحمة نبينا ﷺ.

كان مهرها الإسلام

إنها أم سليم بنت ملحان التى سارعت إلى الدخول فى الإسلام، وكان من أوائل من وقف فى وجهها زوجها ـ مالك ـ الذى غضب وثار عندما رجع من غيبته وعلم بإسلامها، فقال لها بغضب بالغ: أصبوت؟ فقالت بيقين وثبات: ما صبوت، ولكنى آمنت.

وجعلت تلقّن أنسًا: ابنها وهو أنس بن مالك رضي الله عنه قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدى على ابنى، فتقول: إنى لا أفسده.

ولما سمع مالك زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، خرج من البيت غاضبًا فلقيه عدو له فقتله.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٤٩) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

ولما علمت أم سليم، بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا جرم، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنسًا خادمًا عنده، فرحب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير، ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها مهرًا غاليا، إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة وكبرياء، وهى تقول: إنه لا ينبغى أن أتزوج مشركًا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت[1]. فأحس أبوطلحة بضيقٍ شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، ولكنه عاد فى اليوم التالى يمنيها بمهرٍ أكبر وعيشة رغيدة عساها تلين وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية ـ التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها، حيث المال والجاه والشباب ـ تشعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدبٍ جم: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد. ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره»[2].

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًا، فليست هى بالمرأة اللعوب التى تنهار أمام المغريات، إنها المرأة العاقلة التى تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأمًّا لأولاده؟؟!

ما شعر إلا ولسانه يردد أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهى تقول

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٦)، الإصابة لابن حجر (٨/ ٣٤٣).

(٢) الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣)، الحلية (٢/ ٥٩ – ٦٠).

بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوج أبا طلحة، فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت راوى الحديث عن أنس: «فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم كان مهرها الإسلام»[1].

وكانت أم سليم مثال الزوجة الصالحة التى تقوم بحقوق الزوج أحسن قيام، كما كانت مثال الأم الرءوم. والمربية الفاضلة الداعية.

وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام على يد زوجته الفاضلة أم سليم وأصبح ينهل من نبع النبوة حتى غدا كفؤًا كريمًا لأم سليم.

۞ النبي ﷺ يعاتب من يبالغ في المهر وهو لا يقدر:

عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبى ﷺ: «**هل نظرت إليها؟ فإن فى عيون الأنصار شيئًا**» قال: قد نظرت إليها، قال: «**على كم تزوجتها؟**» قال: على أربع أواق، فقال له النبى ﷺ: «**على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه**» قال: فبعث بعثًا إلى بنى عبس بعث ذلك الرجل فيه[2].

قال النووى: قوله ﷺ: «**كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل**».

العُرض .. هو الجانب والناحية، وتنحتون .. أى تقشرون وتقطعون، ومعنى هذا الكلام: كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج[3]. ولهذا عاتبه النبى ﷺ فى تكلف مهر لا يستطيع أداءه.

۞ ۞ ۞

(١) سنن النسائى (٣٣٤١) عن أنس.
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٢٤) كتاب النكاح.
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ج: ٩ ص: ٢١١ .

زوجة من كوكب المريخ

وكما أنه ينبغى على الزوجة المسلمة وأهلها ألا يغالوا فى المهر وتكاليف الزواج وأن يجعلوه سهلًا ميسورًا مباركًا ... فعلى الشاب المسلم أن يختار على أساس الدين والخُلق ولا يتعنت فى تلك المواصفات العالمية التى يشترطها فى الزوجة التى يريد أن يتزوجها.

قال الشيخ أحمد القطان حفظه الله:

حكمت محكمة العادات والتقاليد البائدة على المتهمة «مطلقة» وشريكتها فى الجريمة «أرملة» وعميلة اللون الإجرامى «سمراء».

حكمت على كل واحدة منهن بالعنوسة المؤبدة، مع الرقابة الشديدة خلال فترة السجن.

الخاطب: أريد أن أتزوج امرأة صالحة.

الصديق: عليك بفلانة، نعمت المرأة.

الخاطب: لا أريدها فهى مطلقة.

الصديق: ولكنها امرأة صالحة، وسبب طلاقها أن زوجها كان يشرب الخمر، ولا يصلى، وحاولت إصلاحه فلم تستطع فطلبت منه الطلاق، وفيها كل ما يرغب فيه الزوج من المال والجمال والدين.

الخاطب: لا أريد مطلقة ولا أرملة ولا سمراء، ولو مضى على زواجها وطلاقها أسبوع، أريدها بكرًا تلاعبنى وألاعبها.

الصديق: وهل الحياة الزوجية تقوم كلها على الملاعبة؟ وهل كان رسول الله ﷺ يعنى بهذا الحديث أن يظهر بين الناس هذا التقليد الأعمى، لتظل آلاف البنات بلا أزواج، فى أمر لا ذنب لهنّ فيه.

أما تعلم أن الذى قال هذا الحديث: كل نسائه مطلقات أو أرامل سوى عائشة رضي الله عنها جميعًا.

بل اعتبر الوفاء وحسن العهد من الإيمان لزوجته الأولى خديجة، وهى امرأة أرملة، وظل يذكرها إلى أن مات.

ثم أخبرنى يا هذا عن شروطك فى هذا الزواج؟!

الخاطب: إن شروطى بسيطة.

أحب أن تكون زوجتى بيضاء طويلة، أخذت من الغزال رشاقته، ومن الطاووس أناقته، إن نظرت إليها صامتة حسبتها تبتسم، وإذا ابتسمت ظننتها تناديك.

صوتها أحلى من البلابل، وسحرها أفتك من سحر بابل.

إن نظرت إليها من بعيد رأيتها مليحة، وإن نظرت إليها من قريب وجدتها جميلة، لها عيون الحور.

إذا جلست كأنها قائمة، وإذا قامت كأنها راكبة.

كانت غنية ثم افتقرت، فيها عز الغنى وذل الفقر.

تمزج الحلم بالعلم، والحكمة بالقول، ذات جمال متجدد، وشعر غير متجعد، لها لون فى الليل ولون فى النهار .. و.. و... و.. وتنصف الناس من نفسها ... و.. و.. و.. ولا تُضار بالجار .. و.. و.. وترحم الصغار، و.. و.. وتربى الكبار ..... و....

الصديق: كفى كفى يا أخى.

هذه لو وجدها الناس لبايعوها بالخلافة مع أنها لا تجوز.

تواضع يا أخى فى شروطك، فهم لم يشترطوا فيك إلا الدين والأمانة.

هل فى بيتكم مرآة، فاذهب وانظر إليها فإن وجدت فيها صفة واحدة مما

ذكرت فيك خطبنا لك[1] زوجة من كوكب المريخ.

۞ أبو عزيزة:

وهذا مثال حى لشاب وقع أسيرًا لعنصر الجمال.

- يحكى لنا الشاعر قصته فيقول:

بعث امرؤٌ لأبى عزيزة مرةً ... برسالة يبكى ويضحك ما بها

فيها يقول أريد منك صبية ... حسناء معروفٌ لديكم أصلها

وعفيفة وحليمةً وأديبةً ... ورشيدة ورزينة فى عقلها

قد أحرزت فى العلم غيرَ شهادة ... وعلى النسا تُرى تفوق بفضلها

وتكون ذات مالٍ وافرٍ ... تعطيه من بعد الزواج لبعلها

۞ فردَّ عليه أبو عزيزة قائلًا:

وافَى كتابُك سيدى فقرأْتُه ... وعرفت هاتيك المطالب كلها

لو كنت أقدر أن أرى من تشتهى ... طلقت أم عزيزةٍ وأخذتها

۞ وصايا الوالدين للزوجين:

۞ أوصت أمامة بنت الحارث ابنتها حين زُفَّت إلى زوجها فقالت: «أى بنية: إن الوصية لو كانت تُترك لفضل أدب، أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنك، ولأبعدته منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

أى بنية: لو أن امرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلق الرجال.

أى بنية: إنك قد فارقت الحمى الذى منه خرجت، وخلفت العش الذى فيه درجت، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكًا فكونى

---

(١) سرى وللنساء فقط/ الشيخ أحمد القطان (ص: ٤٨-٥١) بتصرف.

له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا، واحفظى له خصالًا عشرًا، تكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، فإن فى القناعة راحة القلب، وفى حسن المعاشرة مرضاة للرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منكِ إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة،وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرًّا، ولا تعصين له أمرًا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقى مع ذلك كله الفرح إذا كان تَرِحًا – أى: حزينًا – والاكتئاب إذا كان فرحًا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة، واعلمى يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وتقدمى هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير، وأستودعك الله)[1]. اهـ.

۞ وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته فقال: «إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء»،

۞ **وقال رجل لزوجته:**

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سَوْرَتى حين أغضبُ

(١) أحكام النساء/ ابن الجوزى (ص: ٧٧ – ٨٧).

ولا تنقريني نقرك الدُّف مرة — فإنك لا تدرين كيف المُغَيَّبُ

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى — ويأباك قلبي والقلوب تَقلَّبُ

فإني رأيت الحبَّ في القلب والأذى — إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

۞ ورُوى أن أسماء بن خارجة الفَزَارى قال لابنته عند التزوج: «إنك خرجت من العش الذى فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أرضًا، يكن لك سماءً، وكونى له مهادًا، يكن لك عمادًا، وكونى له أمة، يكن لك عبدًا، لا تلحفى به فيقلاك[1] ولا تباعدى عنه فينساك، إن دنا منكِ فاقربى منه، وإن نأى عنك فابعدى عنه، واحفظى أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيبًا، ولا يسمع منكِ إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلًا»[2].

۞۞۞

(١) أى: لا تلحى عليه فيكرهك.

(٢) «أحكام النساء» لابن الجوزى ص(٧٣).

يا لها من زوجة عاقلة!

ورُوى «أن شريحًا القاضى قابل الشعبى يومًا، فسأله الشعبى عن حاله فى بيته، فقال له: من عشرين عامًا لم أر ما يغضبنى من أهلى، قال له: وكيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتى، رأيت فيها حسنًا فاتنًا، وجمالًا نادرًا، قلت فى نفسى: فلأطَّهَّر وأصلى ركعتين شكرًا لله، فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى، وتسلم بسلامى، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها، فمددت يدى نحوها، فقالت: على رِسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان فى قومك من تتزوجه من نسائكم، وفى قومى من الرجال من هو كفء لى، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولًا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله، إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولك..!.

قال شريح: فأحوجتنى - والله يا شَعبى - إلى الخُطبة فى ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على النبى وآله وأسلم، وبعد: فإنك قلت كلامًا إن ثَبَتِّ عليه يكن ذلك حظك، وإن تدَّعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها!

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟ قلت: ما أحب أن يمِلَّنى أصهارى، فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟، قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، قال شريح: فبتُّ معها بأنعم

ليلة وعشت معها حولًا لا أرى إلا ما أحب، فلما كانت رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة فى البيت، قلت: من هى؟ قالوا: خَتَنُك - أى: أم زوجتك - فالتفتت إلى، وسألتنى: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالًا منها فى حالين: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرًّا من المرأة المدللة، فأدِّب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب... فمكثت معى عشرين عامًا لم أعقب عليها فى شىء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا»[1].

***

(١) «أحكام النساء» لابن الجوزى ص (١٣٤، ١٣٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربى (١/ ٤١٧).

بركة الشكر ومغبة الجحود

وهذه قصة توضح لنا بركة شكر المرأة لزوجها ورضاها بعيشها معه على أى حال... كما أنها توضح مغبة الجحود وعدم رضا الزوجة بعيشها مع زوجها على أى حال.

- فها هو خليل الله إبراهيم عليه السلام لا يرضى لابنه إسماعيل عليه السلام أن يعيش مع امرأة ساخطة متمردة.

فلقد كان إبراهيم - عليه السلام - يغيب فترة من الزمن ثم يرجع مرة أخرى ليطمئن على أحوال ابنه البار المبارك إسماعيل - عليه السلام -.

ففى الحديث الذى رواه البخارى والذى يحكى قصة ذهاب إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وزوجه هاجر عليهما السلام إلى مكة أنه قال: «**فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته**[1]، **فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغى لنا**[2]، **ثم سألها عن عيشهم**[3] **وهيئتهم فقالت: نحن بشرٍّ، نحن فى ضيق وشدة. فشكت إليه**[4]، **قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة**

(١) يطالع تركته: أى: يتفقد حال ما تركه هناك، وكان موت هاجر خلال زواج إسماعيل... وهكذا يسر الله لهاجر وابنها الماء والأنس، ثم طوع لهم قبيلة جُرهم حيث قبلوا شرط أن لا يكون لهم حق فى ماء زمزم مع أن معظم معارك العرب كانت من أجل الماء ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق:٢-٣].

(٢) «يبتغى لنا»: أى: يطلب لنا الرزق، وفى رواية ابن جريج: «وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد». وأخرج البخارى فى صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبى ﷺ على نفر من أسلم ينتضلونَ. فقال رسول الله ﷺ: «**ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا**»..

(٣) زاد فى رواية عطاء بن السائب: وقال: «**هل عندك ضيافة**».

(٤) فى حديث أبى جهم: «**فقال لها: هل من منزل؟ قالت: لاها الله إذن، قال: فكيف عيشكم؟ قال: فذكرت جهدًا، فقالت: أما الطعام فلا طعام، وأما الشاء فلا تحلب إلا المصر أى الشَّخب، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ**».

بابه[١] . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألنى كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا فى جَهدٍ وشدة. قال: فهل أوصاك بشىء؟ قالت: نعم، أمرنى أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبى، وقد أمرنى أن أفارقك، الحقى بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغى لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم[٢] بارك لهم فى اللحم والماء».

قال النبى ﷺ: «**ولم يكن لهم يومئذ حَب، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما[٣] أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه». قال: «فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام، ومُريه يـثبِّت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألنى عنك فأخبرته،**

---

(١) تغيير عتبة الباب كناية من كنايات الطلاق، وذلك واضح من قول إسماعيل «ذاك أبى، وقد أمرنى أن أفارقك».

قلت: والسبب الذى دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أمر ابنه بطلاق زوجه الأولى هو سخطها من قضاء الله وقدره الذى عبرت عنه بقولها: «**نحن بِشَر**»، والمسلم كل أمره له خير ما دام منقادًا لأمر الله جل وعلا، وقد يكون الشر فى الغنى، ورسول الله ﷺ مات ودرعه مرهون عند يهودى، وكان يمر عليه الهلال والهلالان فلا يوقد فى بيته نار. ثمة سبب آخر نوجزه فى سوء استقبال زوجة إسماعيل للضيوف، ومن أخص أخلاق إبراهيم الكرم وإقراء الضيف. والله أعلم.

(٢) وفى رواية إبراهيم بن نافع: «**اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم**».. وجاء أيضًا فى رواية إبراهيم ابن نافع: «**بَركةٌ بدعوة إبراهيم**» وفيه حذف تقديره فى طعام أهل مكة وشرابهم بركة.

(٣) خلوت بالشىء واختليت إذا لم أخلط به غيره. وفى حديث أبى جهم: «**ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه**». وزاد فى حديثه - أى - أبو جهم - وكذا فى حديث عطاء بن السائب نحوه: فقالت: «انزل رحمك الله فاطعم واشرب، قال: إنى لا أستطيع النزول، قالت: فإنى أراك أشعث، أفلا أغسل رأسك وأدهنه؟ قال: بلى.. إلى آخر الحديث».

فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك..»[1].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٦٤) أحاديث الأنبياء.

صور مشرقة من خدمة المرأة لزوجها

ويجب على الزوجة أن تخدم زوجها وأن تدبر المنزل وتهيئ أسباب المعيشة من طبخ وكنس وغسل ثياب وغير ذلك لتوفر لزوجها وقتًا كافيا للعمل ولطلب العلم والدعوة إلى الله - جل وعلا - وبذلك تكون الزوجة عونًا لزوجها فى دينه ودنياه.

قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزوجة الصالحة ليست من الدنيا، فإنها تفرغك للآخرة»[1].

۞ وقد اختلف العلماء فى حكم خدمة المرأة زوجها، وحقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الفتاوى» فقال: «وتنازع العلماء: هل عليها أن تخدمه فى مثل فراش المنزل، ومناولة الطعام والشراب، والخبز والطحن لمماليكه وبهائمه مثل علف دابته ونحو ذلك؟

فمنهم من قال: لا تجب الخدمة، وهذا ضعيف كضعف قول من قال: لا تجب عليه العشرة والوطء! فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف، بل الصاحب فى السفر الذى هو نظير الإنسان وصاحبه فى المسكن، إن لم يعاونه على مصلحته لم يكن قد عاشره بالمعروف ... وقيل - وهو الصواب - وجوب الخدمة، فإن الزوج سيدها فى كتاب الله، وهى عانية (أسيرة) عنده بسنة رسول الله ﷺ، وعلى العانى والعبد الخدمة، لأن ذلك هو المعروف.

ثم من هؤلاء من قال: تجب الخدمة اليسيرة، ومنهم من قال: تجب الخدمة بالمعروف، وهذا هو الصواب، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية،

(١) الإحياء (٤/ ٦٩٩).

وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة»[١] اهـ.

❁ **قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقبًا على كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قلت: «وهذا هو الحق - إن شاء الله تعالى - أنه يجب على المرأة خدمة البيت ولم نجد لمن قال بعدم الوجوب دليلًا صالحًا، وقول بعضهم: «إن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام» مردود بأن الاستمتاع حاصل للمرأة أيضًا بزوجها فهما متساويان فى هذه الناحية، ومن المعلوم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أوجب على الزوج شيئًا آخر لزوجته ألا وهو نفقتها وكسوتها ومسكنها، فالعدل يقتضى أن يجب عليها مقابل ذلك شىء آخر أيضًا لزوجها، وما هو إلا خدمتها إياه، سيما وهو القوّام عليها بنص القرآن الكريم كما سبق، وإذا لم تقم هى بالخدمة فسيضطر هو إلى خدمتها فى بيتها، وهذا يجعلها هى القوامة عليه، وهو عكس للآية القرآنية كما لا يخفى، فثبت أنه لا بد لها من خدمته، وهذا هو المراد، وأيضًا: فإن قيام الرجل بالخدمة يؤدى إلى أمرين متباينين تمام التباين: أن ينشغل الرجل بالخدمة عن السعى وراء الرزق وغير ذلك من المصالح، وتبقى المرأة فى بيتها عطلًا عن أى عمل يجب عليها القيام به، ولا يخفى فساد هذا فى الشريعة، التى سوَّت بين الزوجين فى الحقوق، بل وفضلت الرجل عليها درجة، ولهذا لم يزِلْ رسول الله ﷺ شكوى ابنته فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ»[٢] اهـ.

❁ والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا من حياة سلفنا الصالح.

❁ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه».

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: «دخلت أَيم العرب على سيد المسلمين ﷺ أول العشاء عَروسًا، وقامت آخِرَ الليل تَطحن - يعنى: أم

(١) الفتاوى الكبرى (٢٨/ ٣٨٤).

(٢) «آداب الزفاف» ص (٢٨٨ - ٢٨٩).

سلمة»[١].

وعن أسماء رضي الله عنها **أنها قالت:** «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس، وكنت أسُوسُه، وكنت أحتش له، وأقوم عليه»[٢].

وقالت رضي الله عنها: «تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه[٣]، فكنت أعلف فرسه، - زاد مسلم: وأسوسه- وأدق النوى لناضحه، وأستقي الماء وأخرز غربه[٤]، وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ[٥]، حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فدعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إخ، إخ»، يستنيخ ناقته ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، - وكان أغير الناس- فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشدُّ على من ركوبك معه ﷺ[٦].

۞ **قال علي** رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونضعه على الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها، ولما زوَّجها رسول الله ﷺ أرسل بي معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف، ورحاءين وسقاء وجرتين، فجَرَّت بالرحاء حتى أثرت في يدها، واستقت بالقِربة حتى أثرت القربة بنحرها، وَقَمَّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت

---

(١) آداب الزفاف (ص: ٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٢)، وصححه ابن القيم في «الزاد» (٥/ ١٨٧).

(٣) أي: بعيره الذي يستقي عليه.

(٤) أي: أخيط دلوه بالخرز.

(٥) والفرسخ: ثلاثة أميال، وثلثاه: ٣٦ و٣كم.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٢٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٨٢) كتاب السلام.

القِدر حتى دنَّست ثيابها»[١].

وعن أبى البخترى: قال على رَضِوَلِلَّهُعَنْهُ لأمه: «اكفى فاطمة الخدمة خارجًا، وتكفيكِ هى العمل فى البيت، والعَجن والخبز والطحن»[٢].

وعن على رَضِوَلِلَّهُعَنْهُ: أن رسول الله ﷺ لما زوَّج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحاءين، وسقاءين، قال: فقال على لفاطمة يومًا: «لقد سنوت[٣] حتى اشتكيت صدرى، وقد جاء الله بسبى، فاذهبى، فاستخدمى- اطلبى خادمًا- فقالت: «وأنا والله، قد طحنت حتى مجلت[٤] يداى»، فأتت النبى ﷺ فقال: «**ما جاء بك أى بنية؟**» فقالت: «جئت لأُسَلِّمَ عليك»، واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعًا فذكر له على حالهما، قال ﷺ: «**لا والله، لا أعطيكما، وأَدعُ أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم**»، فرجعا، فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «**مكانكما ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتمانى؟**» فقالا: «بلى»، فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان فى دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين**»، قال على: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، وقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفِّين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل الطروق، ولا ليلة صفين[٥][٦].

(١) أحكام النساء/ لابن الجوزى (ص: ١٢٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢٥).

(٣) سنوت الدلو: إذا جررتها من البئر.

(٤) مجلت يدها: ثخن جلدها، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة.

(٥) أخرجه البخارى (٥٣٦٢) كتاب النفقات، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) وقال ابن حجر: قال الطبرى: «يؤخذ من حديث على رَضِوَلِلَّهُعَنْهُ فى شكوى فاطمة أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز وطحن وغير ذلك أن ذلك لا يلزم الزوج إذا كان معروفًا أن مِثلها يلى ذلك بنفسه، ووجه الأخذ أن فاطمة لما سألت أباها الخادم فلم يأمر زوجها أن يكفيها ذلك إما =

وعن حصين بن محصن قال: حدثتنى عمتى قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى بعض الحاجة، فقال: «**أى هذه! أذاتُ بعل؟**» قلت: نعم، قال: «**كيف أنت له؟**» قلت: ما آلوه[1] إلا ما عجزت عنه، قال: «**فانظرى أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**»[2].

قال محدث الشام ناصر الدين الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت: والحديث ظاهر الدلالة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها، وخدمتها إياه فى حدود استطاعتها، ومما لا شك فيه أن من أول ما يدخل فى ذلك الخدمة فى منزله، وما يتعلق به من تربية أولاده ونحو ذلك»[3]. اهـ.

۞ كذلك فقد جرى عُرف الناس أن المرأة تقوم على خدمة زوجها، والمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا.

۞ وقد أقر النبى ﷺ استخدام الصحابة أزواجهم مع علمه بأن منهم الكارهة والراضية، ولم يخبر بأن ذلك فيه ظلم لتنتصف - على الأقل - الكارهة.

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه تزوج ثيبًا فقال له النبى ﷺ: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟**» فقلت له: إن عبد الله - يعنى: أباه - هلك وترك بنات، وإنى كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن، قال: «**بارك الله لك**»[4].

۞ وفى قوله ﷺ: «**فإنهن عوان عندكم**» أى: أسيرات، ومرتبة الأسير خدمة من هو تحت يده[5].

= بإخدامها بخادم أو باستئجار من يقوم بذلك، أو يتعاطى ذلك بنفسه، ولو كانت على الزوج لأمره به، كما أمره أن يسوق الصداق قبل الدخول». اهـ. [فتح البارى (٩/ ٥٠٦ - ٥٠٧)].

(١) ما آلوه: أى: لا أقصر فى طاعته وخدمته.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٢٦١٢).

(٣) آداب الزفاف (ص: ٢٨٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٦٧) كتاب النفقات، ومسلم (٧١٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) تمام المنة للشيخ عادل العزازى (٣/ ١٢٩).

الزوجة ونعمة القناعة

فيجب على الزوجة أن تقدر طاقة زوجها المالية، وتقتصد فى ماله، فلا تهدره بطرًا وبغير حق، ولا ترهقه بطلباتها غير الضرورية من متاع الدنيا خصوصًا إذا فاقت إمكاناته، فذلك يزعجه ويؤلمه، لأنه لا يستطيع تحقيق هذه المطالب، ويعز عليه أن يظهر أمام زوجته بمظهر العاجز الذى لا يملك تنفيذ ما تطلب.

وعليها أن تصحب زوجها بالقناعة، فلا تتطلع إلى ما عند الغير، ولا تحاكى أترابها من نساء الأقارب والجيران والمعارف فى اقتناء الكماليات، بل عليها أن توجه مال الله للبذل فى سبيل الله ﷻ ليكون رصيدًا لهما يوم القيامة.

وعليها أن تتأسى بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقد كانت حياتهن كفافًا، وربما خلت بيوتهن من الطعام[١].

وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «والله يا ابن أختى، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلَّة فى شهرين، وما أُوقد فى أبيات رسول الله ﷺ، نار»، قلت: يا خالة، فما كان يعيشُكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[٢]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه»[٣].

---

(١) عودة الحجاب / الدكتور محمد إسماعيل (٢/ ٤٩٣).

(٢) منائح: جمع منيحة: وهى الشاة والناقة يعطيها صاحبها، يشرب لبنُها، ثم يردها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٦٧) كتاب الهبة، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

التزين للزوج

إن الطفل النظيف المُرجَّل الشعر، المهندم الثياب، الطيب الرائحة يحبه كل من يراه.

والحجرة المنسقة، المزينة بالزهور والصور الطبيعية، والكراسى الوثيرة والبساط اللين تريح الأعصاب، وتجعل الجلوس فيها نوعًا من المتعة.

والبقعة الخضراء حين يجرى فيها جدول الماء، وتتدلى عليها أغصان الأشجار، وتسمع فيها تغاريد الطيور هى مكان شاعرى يبعث الحب، ويجعل للحياة طعم النعيم.

والزوجة التى يراها زوجها متزينة له، متعطرة من أجله، منظفة بيتها ودارها، منظمة كل شئونها، تستقبله ببسمتها، وترطب وجدانه بحلاوة مقابلتها وكلامها، وتمسح متاعبه بعطفها وحنانها وحسن تصرفها، وتهيئ له الجو الهادئ لوقت راحته، وتوفر له مطالبه التى اعتادها حين يدخل وحين يخرج سواء بنفسها أو بمساعدة الخدم ... إن مثل هذه الزوجة متاع الدنيا وحوريتها، وبهجة الحياة وبلسمها، ونور البيت وجماله، ولو وقفت الدنيا كلها فى جانب ووقفت هذه المرأة فى جانب لاختار جميع الرجال هذه المرأة،... وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**الدنيا متاعٌ وخير متاعها المرأة الصالحة**»[1].

والمرأة الصالحة فُسِّرت صفاتها فى حديث آخر بأنها التى: «**إذا نظرت إليها سرتك وإن أقسمت عليها أبرتك، وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك**».

وقد كانت المرأة العربية قبل الإسلام وبعده حريصة كل الحرص على التزين فى كل جزء من جسمها وشعرها... ومن تترك الزينة يعرف الناس أنها فى

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٧) كتاب الرضاع.

حالة حزن إما لموت زوجها أو لنفوره منها، أو إهماله لها، أو لموت أحد أقاربها.

والله تعالى أخبر فى القرآن أن المرأة تعشق الزينة من صغرها وتنشأ فيها، فترك الزينة ينافى طبيعتها.... قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾[1][2].

وفى حديث رواه البخارى **خلاصته**: أن سلمان الفارسى كان أخًا فى الله لأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فلم يجده ووجد امرأته متبذلة بغير زينة على غير المعهود من المرأة المتزوجة فسألها عن السبب، فأخبرته أن أبا الدرداء لا يهتم بالدنيا ولا بالنساء، إنما هو صَوَّام قَوَّام فلما وصل أبو الدرداء أعد طعامًا لسلمان فلم يأكل منه حتى أفطر أبو الدرداء وأكل معه، ولما جاء الليل أراد أن يقوم أول الليل فمنعه سلمان حتى الثلث الأخير من الليل، ثم قال له: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذى حق حقه. فذهب أبو الدرداء إلى النبى ﷺ وأخبره بقول سلمان فقال ﷺ: «**صدق سلمان**»[3].

۞ وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته، فقال:

إياكِ والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق!

وإياكِ وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء!

وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة.

وأطيب الطيب الماء.

---

(١) سورة الزخرف: الآية (١٨).

(٢) السلوك الاجتماعى فى الإسلام / الشيخ حسن أيوب (ص/ ٢٠٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٩٦٨) كتاب الصوم.

۞ ولما حُملت «نائلة»(١) إلى أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، أوصاها أبوها قائلًا:

أي بُنَيتي، إنك تقْدمين على نساء من نساء قريش، هُنَّ أقْدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر.

فعلى الزوجة أن تتزين لزوجها قدر استطاعتها لتعينه على غض البصر عن النساء، وإن كان الأصل أن الزوج يغض بصره ابتغاء مرضاة الله سواءٌ كانت زوجته تتزين له أو لا تتزين له.

فلها أن تضع الكحل والعطر وتلبس أجمل الملابس في بيتها مع زوجها، ولكن يحرم عليها أن تغير خلقتها بأن تتنمص (أي تأخذ من شعر الحاجب) قال النبي ﷺ: **«لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله»**(٢) وفي رواية: **«لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»**(٣) واللعن هو الطرد من رحمة الله جل وعلا وذلك لسعيها إلى تغيير تلك الخلقة التي خلقها الله عليها.

أما التزين الشرعي فمطلوب لكي يسر الزوج بنظره إلى زوجته، قال ﷺ: **«خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك»**(٤).

والزوج في الحقيقة إذا لم يجد في بيته الزوجة الأنيقة النظيفة اللطيفة ذات البسمة الحلوة، والحديث العذب، والحب المخلص، والأخلاق العالية، واليد

---

(١) هي: «نائلة بنت الفرافصة».

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢١٢٥) كتاب اللباس والزينة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٣٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٤) كتاب اللباس والزينة.

(٤) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٩).

الحانية الرحيمة ... فأين يجد ذلك؟

وأشقى الناس من رأى الشقاوة فى بيته، وهو بين أهله وأولاده!! وأسعد الناس من رأى السعادة فى بيته، وهو بين أهله وأولاده!! [١].

فقد تتوهم إحداهن أن فى هذا التبذل وترك الزينة زيادة تقرب من الله تعالى... وهذا خطأ، فإنَّ تزين المرأة وتبعلها لزوجها عبادة ووسيلة صالحة تحث عليها الفطرة السليمة، ولا شك أن ترك الزينة للزوج ظلم له وتقصير فى حقه، وهو أمر مضر بسعادتها معه، وقد يحمل الزوج على الانصراف عنها والزهادة فيها، لينظر إلى غيرها من النساء فيقع فى الإثم، أو يتطلع للزواج بأخرى تروى عاطفته وتشبع غريزته، وتملأ عينه.

فأنتِ أيتها الملتزمة بشرع الله أحق بصرف قلب زوجك إليك، فتعلَّمى أخلاق الحور العين، وتسابقى معهن إلى قلب زوجك، واجعلى دنياه جنة[٢].

(١) آداب الخطبة والزفاف (ص: ١٢٩).

(٢) (٢٥٠ خطأ من أخطاء النساء) / أبو مالك (ص: ١٧١).

نصائح غالية للزوجة المؤمنة

وأنت أيتها الزوجة المؤمنة:

❁ هل يضيرك أن تقابلى زوجك عند دخوله بوجه طلق مبتسم؟!!.

❁ هل يشق عليك أن تمسحى الغبار عن وجهه ورأسه وثوبه وتُقبليه؟!!

❁ أظنك لن تُرهقى إذا انتظرت عند دخوله فلم تجلسى حتى يجلس!!

❁ لا أراه عسيرًا عليك أن تقولى له: حمدًا لله على سلامتك نحن فى شوقٍ إلى قدومك، مرحبًا بك وأهلًا.

❁ تجملى لزوجك - واحتسبى ذلك عند الله فإن الله جميل يحب الجمال.

❁ تطيبى اكتحلى البسى أحسن ثيابك لاستقبال زوجك.

❁ إياك ثم إياك من البؤس والتباؤس.

❁ لا تُصغى ولا تستمعى إلى مُخبِّب مفسد يخببك ويفسدك على زوجك.

❁ لا تكونى دائمًا مهمومة حزينة بل تعوذى بالله من الهم والحزن والعجز والكسل.

❁ لا تخضعى لرجل بالقول فيطمع فيك الذى فى قلبه مرض ويظن بك السوء.

❁ كونى منشرحة الصدر هادئة البال ذاكرة لله على كل حال.

❁ هَوِّنى على زوجك ما يحل به من متاعب وآلام ومصائب وأحزان.

❁ مُريه ببر أمه وأبيه.

❁ أحسنى تربية أولادك واملئى البيت تسبيحًا وتهليلًا وتمجيدًا وتكبيرًا وتحميدًا، وأكثرى من تلاوة القرآن وخاصة سورة «البقرة» فإنها تطرد الشيطان.

❁ انزعى من بيتك التصاوير وآلات اللهو والطرب والفساد.

❁ أيقظى زوجك لصلاة الليل وحثيه على صيام التطوع وذكِّريه بفضل

الإنفاق ولا تمنعيه من صلة الأرحام.

۞ أكثرى من الاستغفار لنفسك وله ولوالديك ولعموم المسلمين، وادْعى الله بصلاح الذرية وصلاح النية وخيرى الدنيا والآخرة، واعلمى أن ربك سميع الدعاء يحب المُلحِّين فيه، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1][2].

۞ ۞ ۞

كلمة أخيرة

أيتها الأخت الفاضلة:

كونى لزوجك البسمة الغالية، واللمسة الحانية..

كونى له أمًّا وأختًا وزوجة وحبيبة.

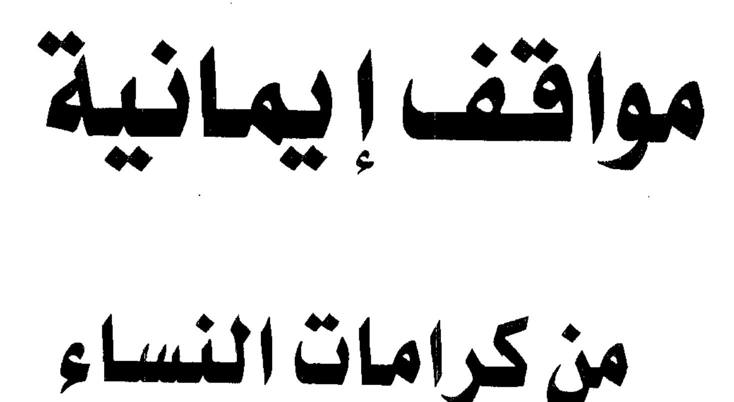
احتوى زوجك بحنانك واجعليه دومًا يشتاق لرؤيتك فى كل وقت وحين.. وانفضى عن صدره وقلبه آلام الغربة والأنين.. واجعلى نفسك تربة صالحة تُخرج لزوجها وللإسلام جيل النصر والتمكين.. واملئى الدنيا عبيرًا يفوح بطاعة رب العالمين.. وما هى إلا ساعات حتى يجمعك الله وزوجك فى جنات النعيم.. أزواجًا وأحبابًا على سُرورٍ متقابلين[3].

۞ ۞ ۞

(١) سورة غافر: ٦٠

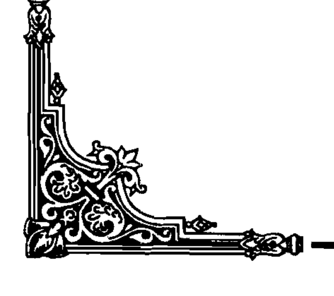
(٢) فقه التعامل بين الزوجين/ الشيخ مصطفى العدوى (ص: ١١٠: ١١٢).

(٣) أختاه كيف تسعدين زوجك/ للمصنف (ص: ٤٦).



مواقف إيمانية

من كرامات النساء





ما هي الكرامة؟

الكرامة: أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن ملتزم لمتابعة نبى مُكلَّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح عَلِمَ بها أو لم يعلم فما يجرى على يد الأولياء من خوارق وعجائب تُسمَّى كرامات وقد تُسمَّى الكرامة آية لأنها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولى؛ لأن كل كرامة لولى هى معجزة لنبيه.

والولى: هو العارف بالله تعالى وبصفاته... المواظب على طاعته لله، المجتنب معصيته ... وسُمِّى الولى بهذا لأن الله تولى أمره فلم يكِله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، والله تعالى يتولى عباده دائمًا.

كرامة آسية امرأة فرعون

لقد آمنت آسية وهى مَنْ هى؟

إنها زوجة أكبر طاغية عرفه التاريخ (فرعون).

إنه الرجل الذى ادَّعى الألوهية وقالها بلا خجل «ما علمت لكم من إلهٍ غيرى».

آمنت آسية ولم تخبر فرعون بذلك ... ولكن سرعان ما ظهرت علامات الإيمان على وجهها.

۞ وعلم فرعون بعد ذلك أن زوجته آسية قد آمنت مع موسى عليه السلام فما كان منه إلا أن أمرها بأن تكفر بالله فأبت ورفضت.

فصلبها وأوتد لها أوتادًا فشدَّ بها يديها ورجليها ثم وضع على بطنها حجرًا كبيرًا وعرَّضها للشمس المحرقة.

فكان يأمر جنوده بتعذيبها فإذا تركوها أظلتها الملائكة بأجنحتها.

ولما يئس منها فرعون قال لجنوده: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن أصرت على إيمانها بالله فألقوا عليها الصخرة فاقتلوها وإن رجعت عن دينها فهى امرأتى ... فلما ذهبوا إليها رفعت بصرها إلى السماء وقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فرفع الله لها بيتها فى الجنة فرأته فابتسمت وفاضت روحها إلى بارئها - جل وعلا - قبل أن تصل إليها الصخرة.

وهكذا ماتت آسية على الإيمان والتوحيد وكانت من أهل الجنة وذكرها الله ﷻ فى كتابه العزيز - القرآن الكريم.

كرامة ماشطة ابنة فرعون

لقد آمنت ماشطة ابنة فرعون كما آمنت زوجته آسية فلما علم فرعون بذلك وطلب منها أن ترتد وهددها بقتل أولادها فثبتت على دينها ورفضت أن ترتد بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان..

فلما قتل فرعون أربعة من أولادها أمام عينيها وكاد قلبها أن ينخلع وكادت أن ترجع عن دينها عندما أخذوا منها طفلها الرضيع أنطق الله طفلها الرضيع، فقال: يا أُمه اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت.

وفى رحلة الإسراء شمَّ النبى ﷺ رائحتها الطيبة هى وأولادها.

۞ ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«لما كانت الليلة التى أُسرى بى فيها أتت علىَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت:

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

وما شأنها؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى - أى المشط - من يديها، فقالت: بسم الله فقالت لها ابنة فرعون: أبى؟ قالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك الله، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة ! وإن لك ربًّا غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربُّك الله، فأمر ببقرةٍ من نحاس، فأُحميت، ثم أمر بها أن تُلقَى هى وأولادها فيها، قالت له: إن لى إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد، وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق.قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مُرضَع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه، اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت»[١].

❀ ❀ ❀

(١) رواه أحمد فى مسنده وحسن إسناده مُحققو المسند (٣/ ٣٠٩).

كرامة الأم في قصة أصحاب الأخدود

قد مرَّت بنا قصة أصحاب الأخدود ... وفى نهاية القصة لما آمن الشعب كله، وأراد الملك أن يردهم عن دينهم بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان فلما رفضوا خدَّ لهم الأخاديد وأضرم فيها النيران.

وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها (أى: ترددت وهمَّت أن ترجع)، فقال لها الغلام (أى: ابنها الصبى): يا أُمه! اصبرى، فإنك على الحق.

فكانت الكرامة أن الله (جل وعلا) أنطق لها طفلها الصغير، حتى يكون سببًا فى ثباتها على الإيمان لآخر لحظة فى حياتها.

كرامة مريم البتول رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

كَمُلتْ فلم يكن للشيطان فيها نصيب منذ حمْل أمِّها بها، وهى كذلك مَثَل للتجرُّد لله والإيمان الكامل والطاعة المطلقة،... قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا نَخَسَه الشيطان، فيستهلُّ صارخًا من نَخْسَة الشيطان، إلَّا ابن مريم وأمَّه**»[2].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل بنى آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أُمُّه، إلا مريم وابنها**»[3].

---

(١) سورة التحريم: الآية (١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٦٦) كتاب الفضائل.

(٣) انظر التخريج السابق.

رضي الله عنها، فتقبّلها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتًا حسنًا!

ولله درُّها حين يقول ربُّها عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

فكانت كرامتها أن الله ﷻ لم يجعل للشيطان عليها سلطانًا وأن الله يسّر لها كل أسباب الرزق فكان زكريا عليه السلام يرى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

عيسى عليه السلام يتكلم وهو طفل رضيع

ولما قدّر الله ﷻ أن تحمل مريم بلا زوج وإنما بنفخة من جبريل عليه السلام... وحان وقت الولادة وهي لا تدري ماذا تقول لقومها ومرت بها لحظات عصيبة.

وولدت السيدة مريم سيدنا عيسى عليه السلام .. وفجأة حدث شيء لا يخطر على قلب بشر!! .. يا ترى ما الذي حدث.

في هذه اللحظة جاء التثبيت من عند الله وجاءت المعجزة التى لا تخطر على قلب بشر .. لقد أنطق الله عيسى عليه السلام فنادى أمه وتكلم معها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[2].

۞ لم تصدق مريم ما تراه وما تسمعه .. هل هذا معقول ؟ .. طفلى الصغير الذى وُلد منذ دقائق معدودات ينطق ويتكلم!!

لقد أنطق الله ﷻ طفلها عيسى عليه السلام ليكلمها ويطلب منها أن تكف عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣٧).

(٢) سورة مريم: الآيات: (٢٤ - ٢٦).

حزنها وأن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها التمر والرُّطَب فتأكل وتشبع فإذا أرادت الماء فقد جعل الله تحتها عينًا تجرى فيها المياه الصافية النقية.

ثم قال لها عيسى عليه السلام: فإذا رآك أحد من البشر فقولى له: إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسانًا.

۞ فرحت مريم فرحًا شديدًا وأحست لأول مرة بالسعادة تملأ قلبها منذ أن حملت بعيسى عليه السلام.. قامت فى سعادة غامرة تهز جذع النخلة وما إن لمست الجذع حتى وجدت التمر والرطب يتساقط أمامها فأكلت وشربت ووضعت طفلها فى ملابسها وألصقته بقلبها خوفًا عليه من نسيم الهواء ثم نامت من شدة التعب والإعياء.

اللحظة الحاسمة

وجاءت اللحظة الحاسمة التى ستعود فيها مريم إلى قومها.

يا ترى ماذا ستصنع؟ ماذا سيقولون لها؟ وهل يصدقون بأن الله هو الذى رزقها بهذا الطفل أم أنهم سيوجهون إليها أبشع التهم ويرمونها بأقبح الكلمات؟!

۞ عادت مريم قُرب العصر وكان السوق الكبير الذى يقع فى طريقها إلى المسجد قد امتلأ بالناس الذين فرغوا فى هذه الساعة من البيع والشراء وجلسوا يتكلمون.

۞ وما إن وصلت مريم إلى السوق حتى نظر الناس إليها ولاحظوا أنها تحمل طفلاً وتضمه لصدرها.

فقال أحدهم: أليست هذه مريم العذراء؟ فما هذا الطفل الذى تحمله؟ فجاء إليها أحد الكهنة وسألها: من هذا الطفل الذى تحملينه يا مريم؟

هل هو ابنك؟ وكيف يكون ابنك وأنت لم تتزوجى؟

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[١].

وبدأت الاتهامات تسقط عليها من الناس حولها ومع ذلك فهى تقف مرفوعة الرأس واثقة فى ربها (جل وعلا) أنه سوف يُبرؤها من كل هذه الاتهامات.

فلما ضاق الحال اشتد توكلها على الله (جل وعلا) فأشارت بيدها إلى عيسى عليه السلام.

فتعجب الناس واندهشوا ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾[٢].

وإذا بعيسى عليه السلام ينطق وهو طفل رضيع، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾[٣].

❁ ❁ ❁

(١) سورة مريم: الآية: (٢٨).

(٢) سورة مريم: الآية: (٢٩).

(٣) سورة مريم: الآيات: (٣٠ -٣٣).

النبى ﷺ يسمع صوت أقدام أم سُليم فى الجنة

لقد أسلمت أم سُليم رضي الله عنها ، وكان زوجها مالك (والد أنس) ما زال كافرًا... وذات مرة سمع مالك زوجته وهى تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فخرج من البيت غاضبًا فلقيه عدوٌ له فقتله.

ولما علمت أم سليم بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا أفطم أَنَسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى رسول الله ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادمًا عنده، فرحَّب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجابٍ وتقدير... ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها مهرًا غاليًا، إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة، وهى تقول: إنه لا ينبغى أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت[1].

فأحسَّ أبو طلحة بضيقٍ شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، لكنه عاد فى اليوم التالى يُمنيها بمهرٍ أكبر وعيشة رغيدة عساها تلين وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية - التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها، حيث المال والجاه والشباب - تشعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدبٍ جَمٍّ: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدُّ ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره»[2].

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٦) - الإصابة لابن حجر (٨/ ٣٤٣) بتصرف.

(٢) الإصابة لابن حجر (٨/ ٢٤٣) - الحلية (٢/ ٥٩-٦٠) بتصرف.

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًا، فليست هى المرأة التى تنهار أمام المغريات.

إنها المرأة العاقلة التى تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأُمًّا لأولاده؟! [1].

فألقى اللهُ الإسلام فى قلبه وأحسَّ بعظمة هذا الدين الذى يجعل تلكم المرأة لا تتأثر بمغريات الدنيا وزينتها، بل إنها تستعلى بإيمانها فوق ذلك كله.

فأراد أبو طلحة أن يعلن إسلامه فقال لها: فمن لى بذلك؟ قالت: النبى ﷺ. فانطلق يريده. فقال النبى ﷺ: «**جاءكم أبو طلحة وغُرة الإسلام بين عينيه**»[2].

ما شعر إلا ولسانه يردد (أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله). فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهى تقول بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قُم يا أنس فزوِّج أبا طلحة..... فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت - راوى الحديث عن أنس -: فما سمعنا بمهرٍ كان قَط أكرم من مهر أم سُليم: الإسلام[3] - أى كان مهرها الإسلام -.

ومنذ تلك اللحظة عاش أبو طلحة رضي الله عنه فى رحاب الوحى ونوره وخالط الإيمان شغاف قلبه حتى أحسَّ وكأنه أسعد إنسان فى الدنيا كلها. ولِمَ لا؟ وهو يعيش فى جنة الدنيا بإيمانه، بل وتعيش فى بيته امرأة من أهل الجنة!!!

فقد قال ﷺ ذات مرة: «**دخلت الجنة فسمعت خشفةً بين يدىَّ فقلت: ما هذه**

---

(١) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص٣٠).

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسى (رقم ٢٠٥٦) والسياق له، ومن طريقه البيهقى (٤ / ٦٥ - ٦٦)، وابن حبان (٧٢٥)، وأحمد (٣ / ١٠٥ - ١٠٦، ١٨١، ١٩٦، ٢٨٧، ٢٩٠) والزيادات كلها له كما سيأتى، وصححه الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز (ص ٢٦).

(٣) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧) والطيالسى فى مسنده (٢٥٩٠).

الخشفة؟ فقيل: الغُميصاء بنت ملحان»[١].

والغميصاء بنت ملحان هى أم سليم رضي الله عنها.

ثقتها بربها ردَّت إليها بصرها

كان المشركون يعذبون المسلمين عذابًا شديدًا وكان من جملة هذا العذاب أنهم كانوا يلقون المرأة المسلمة ويحملون لها مكاوى الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها، وممن عُذِّب بهذا العذاب (زِنِّيرة جارية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعُزَّى[٢]، فقالت لهم: «والله ما هو كذلك، وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، والله قادر على أن يرد علىّ بصرى»، قيل: «فردَّ عليها بصرها»، فقالت قريش: «هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم»... وقد اشتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنها[٣].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صنمان من أصنام المشركين التى كانوا يعبدونها.

(٣) السيرة/ لابن هشام (١/ ١٢٦).

سقاية من السماء وإسلام بالجملة

لما أسلمت (أم شريك) أخذت تدخل على نساء مكة وتدعوهن إلى الإسلام فأسلم عدد كبير من النساء على يديها.

فلما علم المشركون بذلك أخذوها ليردوها إلى قومها ووضعوها على بعيرٍ ومنعوا عنها الطعام والشراب.

وبينما هم فى الطريق إذ وقفوا ليستريحوا وتركوها فى الشمس بلا طعام ولا شراب فوجدت دَلوًا ينزل من السماء عليها فأخذته وشربت منه ثم أفاضت سائر الماء على جسدها.

فلما أراد المشركون أن يرحلوا وجدوا الماء على ثيابها فظنوا أنها أخذت من مائهم فقالت لهم: لقد نزل دلو من السماء فشربتُ... فذهبوا إلى أوانيهم فوجدوا الماء كما هو فعلموا أن الله سقاها من السماء فأسلموا جميعًا وعلموا أن دين محمد ﷺ هو خير الأديان.

أم أيمن تشرب من (دَلو) مُدلَّى من السماء

إن (أم أيمن) هى حاضنة النبى ﷺ بعد موت أمه.

وأم أيمن اسمها (بركة الحبشية) وكانت من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

هاجرت أم أيمن من مكة إلى المدينة وليس معها زادٌ، فلما كانت عند الرَّوحاء، وذلك عند غيبوبة الشمس عطشت عطشًا شديدًا، قالت: فتسمعت حفيفًا شديدًا فوق رأسى فرفعت رأسى فإذا دلوٌ مُدلًّى من السماء برشاء أبيض فتناولته بيدى حتى استمسكت به، قالت: فشربتُ منه حتى رُويتُ، قالت: فلقد كنت أصوم بعد تلك الشربة فى اليوم الحار الشديد، ثم أطوف فى الشمس كى أظمأ فما ظمئت بعد تلك الشربة[١].

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٤/ ٤٣٢).

الله يزوج زينب بنت جحش من فوق سبع سماوات

أراد النبي ﷺ أن يُزوِّج زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فرفضت لأنها هي الحسيبة الجميلة وهي ابنة عمة النبي ﷺ... أما زيد بن حارثة فلقد كان مولى من الموالي الفقراء.

فلما نزل قول الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

قالت: يا رسول الله أترضاه لي زوجًا؟. قال: «بلى».

قالت: إذن لا أعصي أمر رسول الله ﷺ.

فلما تزوجها زيد حدث بينهما بعد ذلك خلافٌ شديد انتهى بطلاقها فأراد الله -جل وعلا- أن يكافئها، فأمر النبي ﷺ بزواجها من فوق سبع سماوات.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[2].

عن أنس رضي الله عنه قال: «كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن وزوَّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[3].

وفي رواية: أنها كانت تقول: «إن الله أنكحني في السماء»[4].

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٠) كتاب التوحيد.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢١) كتاب التوحيد.

الله يُنزل براءة عائشة ﵂ من حادثة الإفك

ففى تلك القصة التى اتُهمت فيها الطاهرة العفيفة التقية النقية عائشة ﵂... تلكم الزهرة التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى.

فى تلك الحادثة التى اتُهمت فيها أمنا عائشة ﵂ فى عِرضها، وهى التى فاضت طهارتها وعفتها على نساء العالمين.

وإذا بالحق -جل وعلا- الذى يدافع عن الذين آمنوا يُنزل فى شأنها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة ليُسطِّر براءتها على مرأى ومسمعٍ من الكون كله.

ففى آخر تلك القصة التى رواها الإمام البخارى: «...... قالت: فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم قالت: فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالقٌ كبدى قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت علىَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يُوحَى إليه فى شأنى قالت: فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: **«أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»**، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله فيما قال. قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمى: أجيبى رسول الله ﷺ قالت: ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إنى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم

وصدقتم به فلئن قلت إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقوننى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - الله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقننى والله ما أجد لكم مثلًا إلا قول أبى يوسف (يعقوب): ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(١) قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشى. قالت: وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة، وأن الله مُبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنزل فى شأنى وحيًا يُتلى، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمرٍ يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرؤنى الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مثل الجُمان من العرق وهو فى يومٍ شاتٍ من ثِقل القول الذى ينزل عليه قالت: فلما سُرِّى عن رسول الله ﷺ سُرِّى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله ﷻ فقد برأك.. فقالت أمى: قومى إليه قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله ﷻ... وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾(٢) العشر الآيات كلها.....».

❀❀❀

(١) سورة يوسف: الآية: (١٨).

(٢) سورة النور: الآية: (١١).

مواقف إيمانية

في التضحية والجهاد في سبيل الله (جل وعلا)



فضائل الجهاد في سبيل الله (جل وعلا)

۞ عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**»(١).

۞ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٢).

۞ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أي الناس أفضل ؟ قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**» قال: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شِعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شرِّه**»(٣).

۞ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**»(٤).

۞ وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه أُجري عليه عمله الذي كان يعمل وأُجري عليه رزقه، وأَمن الفتان**»(٥).

۞ وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنمَّى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمَّن فتنة القبر**»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥١٨) كتاب العتق، ومسلم (٨٤) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٩٢) كتاب الجهاد، ومسلم (١٨٨٠) كتاب الإمارة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٨٦) كتاب الجهاد، ومسلم (١٨٨٨) كتاب الإمارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٩٢) كتاب الجهاد، ومسلم (١٨٨١) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، والترمذي (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، وأحمد (٢٧٧٢٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٣٨٢٣).

۞ وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»(١).

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمَّن الله لمن خرج فى سبيله لا يُخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو علىَّ ضامن أن أُدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذى نفس محمد بيده ما من كَلْمٍ يُكلَم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدًا ولكن أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ،ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى، والذى نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو فى سبيل الله، فأُقتل، ثم أغزو، فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مكلوم يُكلَم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكَلْمُه يُدمى: اللون لون دم والريح ريح مسك»(٣).

۞ وعن معاذ رضي الله عنه ،عن النبى ﷺ،قال: «من قاتل فى سبيل الله - من رجل مسلم فواق ناقة - وجبت له الجنة،ومن جُرح جرحًا فى سبيل الله أو نُكب نكبة، فإنها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها الزعفران وريحها كالمسك»(٤).

۞ وعن أبى هريرة قال: قيل: يا رسول الله! ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول:«لا تستطيعونه»

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٦٦٧) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٦٩) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦) كتاب الإيمان، ومسلم (١٨٧٦) كتاب الإمارة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٣٣) كتاب الذبائح والصيد، ومسلم (١٨٧٦) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٤١) كتاب الجهاد، والترمذى (١٦٥٧) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٢٣).

ثم قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يَفتر: من صلاة، ولا صيام؛ حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله»[(١)].

۞ وفى رواية البخارى، أن رجلًا قال: يا رسول الله! دلنى على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده» ثم قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر ؟» فقال: ومن يستطيع ذلك؟!

۞ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة، أو فزعة، طار على متنه، يبتغى القتل أو الموت مظانه، أو رجل فى غُنيمة أو شعفة من هذه الشعف أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير»[(٢)].

۞ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[(٣)].

۞ وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا؛ وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علىَّ يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، قال: وما هى يا رسول الله ؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله»[(٤)].

۞ وعن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى، قال: سمعت أبى رضي الله عنه وهو

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٧٨) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٩) كتاب الإمارة (هيعة: الصوت عند حضور العدو) فزعة بمعنى هيعة شعفة: أعلى الجبل.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٤) كتاب الإمارة.

بحضرة العدو، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**» فقام رجل رثُّ الهيئة، فقال: يا أبا موسى! أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه، فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتل[1].

۞ وعن أبى عبس عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار**»[2].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم**»[3].

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله**»[4].

۞ وعن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من جهز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا فى أهله بخير فقد غزا**»[5].

۞ وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقات: ظل فسطاط فى سبيل الله، ومنيحة خادم فى سبيل الله أو طروقة فحل فى سبيل الله**»[6].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٨١١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٠٨) كتاب الجهاد، وأحمد (١٠١٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٢٩).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٩٥) كتاب الإمارة.

(٦) صحيح: رواه الترمذى (١٦٢٧) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٩).

۞ وعن البراء رضي الله عنه: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله! أقاتل أو أُسلم، فقال: «**أسلم ثم قاتل**» فأسلم، ثم قاتل فقُتل، فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليلًا وأُجر كثيرًا**»(١).

۞ وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقُتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**»(٢).

وفي رواية: «**لما يرى من فضل الشهادة**».

۞ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّين**»(٣).

وفي رواية له: «**القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين**».

۞ وعن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله، أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**» قال: أرأيت إنْ قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**»(٤).

۞ وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من سأل الله تعالى**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٠٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩٠٠) كتاب الإمارة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨١٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٧٧) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٦) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٥) كتاب الإمارة.

الشهادة بصدق؛ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[(١)].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**»[(٢)].

۞ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثنتان لا تُردان- أو قلما تردان-: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يُلحم بعضهم بعضًا**»[(٣)].

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[(٤)].

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من احتبس فرسًا فى سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شِبَعه ورِيَّهُ وروثه، وبوله فى ميزانه يوم القيامة**»[(٥)].

۞ وعن أبى مسعود رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**»[(٦)].

۞ وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رمى بسهم فى سبيل الله فهو له عدل مُحرَّرة**»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٦٦٨) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٦١) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٨٠٢) كتاب الجهاد، وأحمد (٧٨٩٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٤٠) كتاب الجهاد، والدارمي (١٢٠٠) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٧٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٤٤) كتاب المناقب، ومسلم (١٨٧١) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٨٥٣) كتاب الجهاد والسير.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٢) كتاب الإمارة.

(٧) صحيح: رواه الترمذى (١٦٣٨) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٤٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٨).

۞ وعن أبي يحيى خُريم بن فاتك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق نفقة في سبيل الله؛ كُتب له سبعمائة ضعف**»(١).

۞ وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»(٢).

۞ وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله؛ جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**»(٣).

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بغزوٍ؛ مات على شُعبة من النفاق**»(٤).

۞ وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه؟

وفي رواية: يقاتل شجاعة ويقاتل حمية.

وفي رواية: ويقاتل غضبًا، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»(٥).

۞ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتَسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم لهم أجورهم**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٦٢٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٨٦) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٥٣) كتاب الصيام.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١٦٢٤) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٣٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩١٠) كتاب الإمارة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٣) كتاب العلم، ومسلم (١٩٠٤) كتاب الإمارة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٦) كتاب الإمارة.

۞ وعن أبى أُمامة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله! ائذن لى فى السياحة فقال النبى ﷺ: «**إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل**»[١].

۞ وعن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من لم يغز أو يجهز غازيًا، أو يخلف غازيًا فى أهله بخير؛ أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**»[٢].

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: قال: سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد فى سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله فلم يقل، ولم تحمل شيئًا إلا واحدًا، ساقطًا أحد شقيه فقال النبى ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله**» رواه البخارى ومسلم.

۞ وقال رسول الله ﷺ لأبى ذر: «**أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل شىء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض**»[٣].

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**قيام ساعة فى الصف للقتال فى سبيل الله خير من قيام ستين سنة**»[٤].

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٨٦) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٩٣).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٥٠٣) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٧٦٢) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٩١).

(٣) حسن: رواه أحمد (١١٣٦٥) عن أبى سعيد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٣).

(٤) صحيح: رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢٢/ ٤٤٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٢٩).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان (١٠/ ٤٦٢ رقم ٤٦٠٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٤٠، رقم ٤٢٨٦)، والديلمى (٤/ ١٦٨ ، رقم ٦٥٢٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٣٦).

۞ وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلة الإيمان، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع فى سبعين إنسانًا من أهل بيته»(١).

۞ قال ﷺ: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك ؟ فيقول: أى ربِّ! خير منزل، فيقول: سَل وتمنَّ، فيقول: يا رب! ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا، فأُقتل فى سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة»(٢).

۞ وقال رسول الله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين، قتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا فى سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم، فيقاتل فى سبيل الله، فيستشهد»(٣).

۞ وقال رسول الله ﷺ: «عجب ربُّنا من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه، فرجع حتى أُهريق دمه، فيقول الله ﷻ لملائكته: انظروا إلى عبدى، رجع رغبة فيما عندى، وشفقة مما عندى حتى أهريق دمه»(٤).

۞ وبين ﷺ أن الشهيد لا يُفتن فى قبره، فقال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٥).

۞ وقال رسول الله ﷺ القتلى ثلاثة: «رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله، فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتَحن فى خيمة الله

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (١٦٧٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٩٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٧٧) كتاب الإمارة مختصرًا.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٢٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٩٠) كتاب الإمارة.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٢٥٣٦) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٨١).

(٥) صحيح: رواه النسائى (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٨٣).

تحت عرشه، ولا يفضله النبيون، إلا بفضل درجة النبوة، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى قُتل فتلك مصمصة محت ذنوبه وخطاياه إن السيف مَحَّاءٌ للخطايا وأُدخل من أى أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب - ولجهنم سبعة أبواب - وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، حتى إذا لقى العدو قاتل حتى قُتل، فذلك فى النار، إن السيف لا يمحو النفاق»[(١)].

❁ وقال ﷺ: «أفضل الشهداء من سُفك دمه وعُقر جواده»[(٢)].

❁ وقال ﷺ: «أفضل الشهداء الذين يقاتلون فى الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون[(٣)] فى الغرف العُلا من الجنة يضحك إليهم ربك فإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ فى موطن، فلا حساب عليهم»[(٤)].

❁ وقال ﷺ: «أنا زعيم - والزعيم: الحميل - لمن آمن بى وأسلم وهاجر، ببيت فى ربض الجنة، وببيت فى وسط الجنة وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله، ببيت فى ربض الجنة وببيت فى وسط الجنة، وببيت فى أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك؛ لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٧٢٠٤)، والدارمى (٢٤١١) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٥٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٨٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥٠٤).

(٣) أى: يتمرغون.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٨٧، رقم ٢٢٥٢٩)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ ٢٨٦، رقم ٣١٦٩)، وفى مسند الشاميين (٢/ ١٩٠، رقم ١١٦٧) قال الهيثمى (٥/ ٢٩٢): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٥) صحيح: رواه النسائى (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٥).

غايات الجهاد وأهدافه

إن الجهاد فى سبيل الله تعالى هو التجارة الرابحة وهو ذروة سنام الإسلام وهو سبيل العزة والرفعة لهذه الأمة المجاهدة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٢)].

أما عن غايات الجهاد وأهدافه فها هى بعض أهدافه وغاياته:

١ - الهدف الأول هو تعبيد الناس لله ﷻ، فالناس يقعون فى عبادة الحجر، والبقر، والشمس، والقمر، وغير ذلك من المعبودات الباطلة.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٣)].

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، فهو فى سبيل الله**»[(٤)].

۞ وقال ﷺ: «**بُعثت بين يدى الساعة بالسيف، حتى يُعبَد الله تعالى وحده، لا شريك له وجُعل رزقى تحت ظل رمحى، وجُعل الذل والصِّغار على من خالف**

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٩).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٣) كتاب العلم، ومسلم (١٩٠٤) كتاب الإمارة.

أمرى»[١].

قال العليانى: «وهذا الهدف السامى المتضمن لإعلاء كلمة الله وهى الإسلام، وإقامة سلطان الله فى الأرض، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذى هو الشرك وما ينتج عنه وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله»[٢].

٢- رد اعتداء المعتدين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤].

٣- قتل الكافرين وإضعاف شوكتهم، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾[٦].

٤- إرهاب الكافرين وإذلالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٢) أهمية الجهاد (١٦٢) بتصرف.

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١٣).

(٥) سورة الأنفال: الآية: (٦٧).

(٦) سورة محمد: الآية: (٤).

ﭐلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[(١)].

٥- شفاء صدور المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

٦- تمييز المؤمنين وكشف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[(٣)].

٧- تمحيص المؤمنين وتكفير ذنوبهم، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(٤)].

٨- تربية المؤمن على الصبر والثبات وتعظيم أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ بتحمل المشاق لإقامة شرع الله وإبلاغ دينه.

٩- حصول الغنائم والسبى، وقد قال النبى ﷺ: **«وجعل رزقى تحت ظل رمحى»**[(٥)].

١٠- اصطفاء الشهداء، فالله ﷻ كما يختار من يشرفه بالنبوة والرسالة وهو ﷻ يخلق ما يشاء ويختار، فهو ﷻ كذلك يصطفى من يشرفه بالشهادة وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، نسأل الله ﷻ شهادة فى سبيله مُقبلين غير مدبرين، قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾[(٦)][(٧)].

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٩).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٩).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٤١).

(٥) صحيح: وقد تقدم.

(٦) سورة آل عمران: الآية: (١٤٠).

(٧) نقلًا من مواقف إيمانية / الدكتور: أحمد فريد (ص ١٨٣- ١٨٦).

جهاد أمنا عائشة رضي الله عنها

ولقد كانت رضي الله عنها حريصة كل الحرص على أن لا يفوتها أى طاعة تتقرب بها إلى الله عز وجل.

وبلغ حرصها على كل ما يقربها من الله (عز وجل) أن استأذنت من الرسول صلى الله عليه وسلم لكى يأذن لها بالجهاد فى سبيل الله - من كثرة ما سمعت عن فضائل الجهاد والمجاهدين .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فقال: «**جهادكن الحج**»(١).

لقد كانت عائشة رضي الله عنها مثلًا يُحتذى وقدوة يُقتدى بها فى جهاد النساء، فضربت المثل على مشاركة المرأة المسلمة فى صدر الإسلام فى تحمُّل بعض أعباء الجهاد بما يتناسب وتكوين المرأة المسلمة.

ففى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم خرجت عائشة رضي الله عنها وكثير من النسوة من نساء وبنات الصحابة رضوان الله عليهم،... وكل عمل النساء الغالب فى الجهاد فى سبيل الله ينحصر فى سقى الماء، وتمريض الجرحى، وإخلاء القتلى، وقد تطور الأمر فشاركت بعض النسوة فى القتال فعلًا مثل أم عمارة رضي الله عنها ، وصفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم.

وبدأت مشاركة عائشة رضي الله عنها فى الجهاد بعد غزوة بدر.

فى غزوة أُحد

جاءت غزوة أُحد وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين، وخرجت عائشة مع

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٧٥) كتاب الجهاد والسير.

النساء تسقى الجرحى وتحمل قِرَب الماء على عاتقها، لتفرغها فى أفواه المجاهدين وفى ذلك يتحدث أنس بن مالك فيقول: ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سُليم لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقلان القِرَب على متونهما ثم تُفرغانه فى أفواههم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه فى أفواه القوم[1].

هكذا كانت عائشة مجاهدة فى سبيل الله خلف زوجها النبى ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٨٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

جهاد أم سُليم رضي الله عنها

إنها الصحابية الجليلة أم سُليم الأنصارية الخزرجية رضي الله عنها أم خادم النبى ﷺ أنس بن مالك، وزوجة أبى طلحة، وأخت حرام بن ملحان. وكان مهرها الإسلام.

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**أُريتُ الجنة فرأيت امرأة أبى طلحة ثم سمعت خشخشة أمامى فإذا بلال**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فسمعتُ خشْفَة فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت مِلحان أم أنس بن مالك**»(٢).

وعن أنس بن **مالك**: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى(٣).

۞ وفى غزوة أُحد كان لها دورٌ عظيم هى وزوجها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك. قَالَ: لَمَّا كَانَ يوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِى ﷺ... وَأَبُو طَلْحَةَ بينَ يدَى النَّبى ﷺ مُجَوّبٌ عَليهِ بِحَجَفةٍ. قال: وَكَانَ أَبُو طَلْحَة رَجُلًا رَامِيا شَدِيدَ النَّزْع. وكسر يوْمَئِذٍ قَوْسَين أَوْ ثَلاثًا. قال: فَكَانَ الرَّجُلُ يمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْل. فَيقُولُ: «**انْثُرْهَا لأَبِى طَلْحَة**». قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِى الله ﷺ ينْظُرُ إلى الْقَومِ. فيَقُولُ أَبُو طَلْحَة: يا نَبى الله! بأَبى أَنْتَ وأُمِّى! لا تُشْرفْ لا يصيبك سَهْمٌ مِنْ سِهَام الْقَوْم. نَحْرِى دُونَ نَحْرِكَ. قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيمٍ وَإِنَّهُمَا لَمشَمِّرَتَان. أرى خَدَمَ سُوقِهِمَا. تَنْقُلانِ الْقِربَ عَلَى متونهما. ثُمَّ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٨١٠) كتاب الجهاد والسير.

تُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِهِمْ. ثُمَّ تَرْجِعَانِ فتملآنها. ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ. وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيفُ مِنْ يدَى أَبِى طلْحَة إِمَّا مَرَّتَينِ وَإِمَّا ثَلاثًا، مِنَ النُّعَاسِ[1].

۞ وفى غزوة حُنين كان لها دورٌ عظيم أيضًا:

عن أنس أن أم سُليم اتخذت يوم حُنين خِنْجرًا فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر**» ؟ قالت: اتخذته إن دنا منى أحدٌ من المشركين بَقَرْتُ به بَطْنَهُ فجعل رسول الله ﷺ يضحك قالت: يا رسول الله اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنا من الطُّلقاء[2] انهزموا بك[3] فقال رسول الله ﷺ: «**يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن**»[4].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) هم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح سُمُّوا بذاك لأن النبى ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم وكان فى إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم وغيره.

(٣) انهزموا بك... الباء هنا بمعنى عن، أى انهزموا عنك على حد قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ أى عنه وربما تكون للسببية أى انهزموا بسببك لنفاقهم (التعليق على مسلم).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٠٩) كتاب الجهاد والسير.

جهاد نسيبة بنت كعب المازنية أم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هى الصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول.

الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية[١].

كان أخوها عبد الله بن كعب المازنى من البدريين، وكان أخوها عبد الرحمن من البكَّائين شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أُحُدًا، والحديبية، ويوم حُنَين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدها فى الجهاد.

قال ابن إسحاق فى بيعة العقبة الثانية: وكان من بنى الخزرج اثنان وستون رجلًا وامرأتان، فيزعمون أن امرأتين بايعتا النبى ﷺ، وكان لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: «اذهبن»، والمرأتان هما من بنى مازن بن النجار: نسيبة وأختها ابنتا كعب، فساق النسب، قال: وكان معها زوجها زيد بن عاصم، وابناها منه: حبيب الذى قتله مسلمة بعد، وعبد الله، وهو راوى حديث الوضوء.

وقال الواقدى: شهدت أُحُدًا مع زوجها غَزِية بن عمرو، ومع ولديها[٢].

خرجت تسقى، ومعها شنّ، وقاتلت وأبلت بلاءً حسنًا، وجُرِحت اثنى عشر جُرحًا[٣].

وقال أبو عمر: شَهِدتْ أُحُدًا مع زوجها زيد بن عاصم.

---

(١) الإصابة (٨/ ٣٣٣-٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٨-٢٨٢).

(٢) أى: ولديها من زوجها الأول زيد بن عاصم بن عمرو، وهما عبد الله، وحبيب. أما ولداها من غزية، فهما تميم وخولة، كما فى «الطبقات» (٨/ ٤١٢).

(٣) ابن سعد: (٨/ ٤١٢)، والشّنّ: القربة الخلق.

جهادها في يوم أُحد ... ودفاعها عن النبي ﷺ

لم يهدأ بال قريش مُذ غشيها فى «بدر» ما غشيها وكان ما جدَّ من الحوادث بعد لا يزيد أحقادها إلا ضرامًا، فلما استدارت السنة، كانت مكة قد استكملت عدتها واجتمع إليها أحلافها من المشركين، وانضم إليهم كل ناقم على الإسلام وأهله.

فخرج الجيش الثائر فى عدد يربو على ثلاثة آلاف.

ورأى أبو سفيان قائده أن يستصحب النساء معه، حتى يكون ذلك أبلغ فى استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم ؟

وخرج المسلمون لملاقاة المشركين وعسكروا بالشِّعب من «أُحد» فى عدوة الوادى: جاعلين ظهرهم إلى الجبل. ورسم النبى ﷺ الخطة لكسب المعركة: فجاءت مُحكمة رائعة. وزَّع الرماة على أماكنهم وأمَّر عليهم عبد الله ابن جبير - وكانوا خمسين رجلًا - وقال: «**انضحوا الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا! إن كانت الدائرة لنا أو علينا فالزموا أماكنكم، لا نُؤتَين من قِبلكم**»(١) !!!

وفى رواية قال لهم: «**احموا ظهورنا إن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا**»، واطمأن رسول الله ﷺ إلى أن فرقة الرماة قد أمَّنت بهذه الأوامر المشددة مؤخرة جيشه فأقبل يتعهد مقدمته. وأمر ألا ينشب قتال إلا بإذنه(٢) .

۞ خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولدها عبد الله وحبيب وزوجها، واندفع زوجها وأولادها يجاهدون فى سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيَّابة ولا وجلة،

---

(١) أخرجه ابن هشام (٢/ ١٢٩) وصححه الألبانى فى تحقيق فقه السيرة (ص ٢٨٩).

(٢) فقه السيرة للغزالى (٢٨٨-٢٩٠) بتصرف شديد.

وذلك عندما تفرق الناس؛ من هول ما أصابهم فى ذلك اليوم، عندها أخذت سيفًا وترسًا ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها[١].

۞ وبدأ القتال الدامى، وكانت النصرة لجند الله الموحدين، وبدأ المسلمون فى جمع الغنائم، وإذ بالرماة يتركون مواقعهم هابطين إلى الميدان فاغتنم المشركون الفرصة وجاءوا من الخلف وهجموا على المسلمين وقتلوا عددا كبيرًا منهم... ثم بحثوا عن النبى ﷺ يريدون قتله !!!.

وهنا اجتمع عدد قليل من أصحاب الحبيب ﷺ يدافعون عنه وكان على رأسهم أم عمارة رضي الله عنها .

ولنترك لها الحديث لتحدثنا عن هذا الدور التاريخى الذى قامت به لتدافع عن سيد الأولين والآخرين ﷺ .

۞ عن عمارة بن غزية قال: قالت أم عمارة: رأيتنى، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقى إلا فى نفير ما يتمون عشرة؛ وأنا وابناى وزوجى بين يديه نذبُّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآنى ولا ترس معى، فرأى رجلًا موليا ومعه ترس، فقال: ألقِ ترسك إلى من يقاتل. فألقاه، فأخذته. فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ . وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل؛ لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس، فيضربنى، وترَّست له، فلم يصنع شيئا، وولى؛ فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك ! أمك ! قالت: فعاوننى عليه، حتى أوردته شَعوب[٢].

وعن عبد الله بن زيد، قال: جُرحت يومئذ جرحًا، وجعل الدم لا يرقأ. فقال النبى ﷺ : «**اعصب جرحك**».

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص ٦٥).

(٢) شَعوب: اسم من أسماء المنية (الموت) – والخبر فى الطبقات (٨/ ٤١٣ ، ٤١٤).

فتُقبِل أمى إلىَّ، ومعها عصائب فى حقوها؛ فربطت جرحى، والنبى ﷺ واقف، فقال: «**انهض بنى، فضارِب القوم!**» وجعل يقول: «**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!**».

فأقبل الذى ضرب ابنى، فقال رسول الله: «**هذا ضارب ابنك**». قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه فبرك.

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم، حتى رأيت نواجزه، وقال: «**استقدت يا أم عمارة**»!

ثم أقبلنا نَعلُّه بالسلاح، حتى أتينا على نفسه، فقال النبى ﷺ: «**الحمد لله الذى ظفرك**»[١].

الحبيب ﷺ يشهد لها شهادة عظيمة

وكان ضمرة بن سعيد المازنى يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أُحدًا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان**».

وكانت تراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحًا؛ و(كانت تقول): إنى لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها. وكان أعظم جراحها، فداوته سنة، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ: إلى حمراء الأسد[٢]. فشدَّت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم. - رضى الله عنها ورحمها -[٣].

---

(١) ابن سعد (٨/ ٤١٤) والحقو: معقد الإزار، واستقدت: اقتصصت من القود وهو القصاص.
ونَعلُّه: نتابع ضربه بالسلاح، من العلل: وهو الشرب بعد الشرب تباعًا.

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة. وانظر «زاد المعاد»(٣/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) ابن سعد (٨/ ٤١٣).

اللهم اجعلهم رُفقائي في الجنة

بل يدعو النبى ﷺ لأم عمارة وولدها أن يكونا معه فى الجنة.

عن الحارث بن عبد الله: سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أُحدًا، فلما تفرقوا عن رسول الله ﷺ ، دنوت منه أنا وأمى، نَذُبُّ عنه. فقال ﷺ: «**ابن أم عمارة**» ؟ قلت: نعم. قال: «**ارم**» فرميت بين يديه رجلًا بحجر - وهو على فرس - فأصبت عين الفرس.

فاضطرب الفرس، فوقع هو وصاحبه؛ وجعلت أعلوه بالحجارة، والنبى ﷺ يبتسم. ونظر إلى جرح أمى على عاتقها، فقال: «**أمك أمك ! اعصب جرحها ! اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة**».

قلت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا[1] .

جراح وأفراح

وعادت من غزوة أُحد تحمل آلام الجراح التى أصيبت بها.. وما هى إلا ليلة واحدة قضاها المجاهدون فى ديارهم يداوون جراحهم وفى الصباح نادى منادى رسول الله ﷺ : إلى حمراء الأسد قامت أم عمارة فشدَّت عليها ثيابها ولكنها ما استطاعت أن تخرج معهم لكثرة الدماء التى تنزف من جسدها الطاهر.

وظلت سنة كاملة تعالج الجراح التى أصابتها فى غزوة أُحد.

ولكن والله مازالت أم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تكمل مسيرتها مع الجهاد فى سبيل الله تعالى.

فلما خرج النبى ﷺ لغزو بنى قريظة كانت أم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فى هذه الغزوة المباركة ليعلم الكون كله أن الجراح التى أصابتها فى غزوة أحد لم تضعف

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤١٤ ، ٤١٥).

عزيمتها لأنها تستمد قوتها من إيمانها بالله ﷻ[١].

جــزى الله مــا قــدَّمْتِ أمَّ عُمَــارة ... مـن الخيـر تقـضين الحقـوق الغواليا

تطــوفين بــالجرحى تواسـين شــاكيا ... يمُـجُّ دمًـا مـنهم، وتـسقين صـاديا[٢]

سَـعَى بـك مـن إيمانـك الحـقّ دائِـبٌ ... يفوت المـدى الأقـصى إذا جدَّ ساعيا

ألا ليتنــــى أدركــــتُ أمَّ عُمــــارة ... قـضاءً علـى القـوم المناكيـد داميـا

وأشــهد مــن حَــوْل النبــى بلاءَهــا ... وأُنــشِدُها فى الله هــذى القوافيــا

وأجعــلُ مــن وجهــى وقــاءً لوجههــا ... إذا مــا رماهــا مُــشركٌ مــن أماميــا

ويــا ليــت أنــى قــد حملــتُ جراحهــا ... وكنــتُ لهــا فى المـأزقِ الـضَّنْكِ فاديا

تفيضُ على الجرحى حنانًا، وتـصطلى ... من الحرب ما لا يصطلى الليث عاديا

❁ ❁ ❁

كــذلك كــان المــسلمون وهــذه ... ســجايا اللــواتى كُــنَّ فيهــم دراريــا

إذا الحادثــاتُ الــسُّودُ عَــبَّ عُبابُهــا ... كففـن البلايـا، أو كـشفن الـدياجيا[٣]

مناقــــبُ للــــدنيا العريــــضة هِــــزَّةٌ ... إذا ذُكِـرَت، فَلْيـشدُ مـن كـان شـادِيا

لهــا مــن معــانى الخلــد كــلُّ بديعــةٍ ... فيــا ليــت قــومى يفهمــون المعانيــا

ووا أسفى إن لـم تجـدْ مـن شيوخهم ... حفيظًـا يلَقَّاهـا، ولـم تُلْـفِ[٤] واعيـا

إذا مــا رأيــت الهــدم للقــوم ديــدنًا ... فــوا رحمتـا فيهـم لمـن كـان بانيـا[٥]

---

(١) صحابيات حول الرسول ﷺ للمصنف (ص ٣٧٦: ٣٨٠).

(٢) يمج: يسيل. والصادى: العطشان.

(٣) عَبّ عُبابها: أى: ارتفع موجها وتدفّق، والدياجى: الظلمات.

(٤) ألْفَى: وجد.

(٥) ديدنًا: عادة وطبيعة.



صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها
عمة رسول الله ﷺ وأم الحواري

صفية بنت عبد المطلب، الهاشمية، شقيقة حمزة، وأم حوارى النبى ﷺ الزبير رضي الله عنه وأمها من بنى زهرة.

تزوجها الحارث أخو أبى سفيان بن حرب، فتُوفى عنها وتزوجها العوَّام أخو سيدة النساء خديجة بنت خويلد، فولدت له الزبير، والسائب(١)، وعبد الكعبة.

والصحيح أنه ما أسلم من عمَّات النبى ﷺ سواها.

ولقد وجدت على مصرع أخيها حمزة وصبرت، واحتسبت.

«وهى من المهاجرات الأُول، وما أعلم هل أسلمت مع أخيها حمزة، أو مع الزبير ولدها؟!

وهى رضي الله عنها أول امرأة قتلت رجلًا من المشركين.

عن ابن أبى خيثمة وابن مندة من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدتها صفية أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى الخندق جعل نساءه فى أُطُم يقال له فارع، وجعل معهن حسان بن ثابت، قال: فجاء إنسان من اليهود فرقى فى الحصن، حتى أطلَّ علينا، فقلت لحسان: قمْ فاقتله، فقال: لو كان ذلك فىَّ كنت مع رسول الله ﷺ، قالت صفية: فقمتُ إليه فضربتُه حتى قطعتُ رأسه، وقلت لحسَّان: قُم فاطرح رأسه على اليهود، وهم أسفل الحصن؛ فقال: والله ما ذاك.

قالت: فأخذت رأسه فرميتُ به عليهم، فقالوا: قد علمنا أن هذا لم يكن

---

(١) صحابى: شهد بدرًا والخندق وغيرهما، واستشهد باليمامة، ولا عقب له- الإصابة (٤/ ١١٥).

ليترك أهله خلوفًا ليس معهم أحد، فتفرقوا.

وروى هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه عنها، قالت: أنا أول امرأة قتلت رجلًا: كان حسان معنا، فمرَّ بنا يهودى، فجعل يطوف بالحصن؛ فقلت لحسان: إن هذا لا آمنه أن يدل على عورتنا؛ فقم فاقتله. قال: يغفر الله لك! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فاحتَجَزَت، وأَخذتْ عمودًا، ونزلت فضربتْه، حتى قتلته [(١)].

وعن هشام، عن أبيه أن صفية جاءت يوم أُحد، وقد انهزم الناس، وبيدها رمح تضرب فى وجوههم؛ فقال النبى ﷺ: «**يا زبير، المرأة**» [(٢)]، وفى السيرة من رواية ابن إسحاق عن قتل حمزة فأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، فلقيها الزبير، فقال: أى أُمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى. قال: ولِمَ، وقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى، وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن وأحتسبنَّ إن شاء الله؛ فجاء الزبير فأخبره، فقال: خَلِّ سبيلها. فأتت إليه واستغفرت له ثم أُمر به فدُفن [(٣)].

وفى غزوة خيبر خرج مع جيش الرسول الأعظم عشرون امرأة فيهن عمته صفية رضي الله عنها.

عقائل فى حمى الإسلام يسمو — بهن إلى الغلا فَرْعٌ طويل

يفِئن إلى صفية حيث كانت — وكان سبيلُها نِعم السبيلُ

عليها من رسول الله وَسْمٌ — مُبينُ العِتْقِ وضاحٌ جميلٌ

---

(١) أخرجه الحاكم: (٤/ ٥١) عن صفية، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبى بقوله: عروة لم يدرك صفية وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٤)، وقال: «رواه الطبرانى، ورجاله إلى عروة، رجال الصحيح ولكنه مرسل - واحتجزت: شدَّت وسطها.

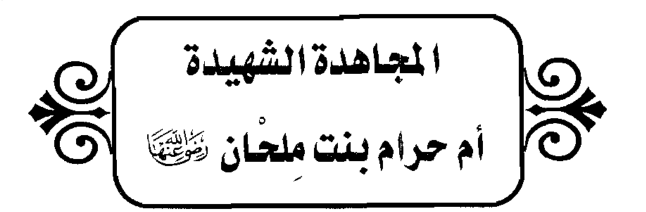
(٢) الإصابة: (٨/ ٢١٤).

(٣) الإصابة ت (١١٤١١) وأسد الغابة ت (٧٠٦٧) والاستيعاب ت (٣٤٥٥).

عـــشيرة سُـــؤْدُدٍ وقَبيـــل مجـــدٍ　　　فبوركـــت العـــشيرة والقبيـــل

وتوفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فى خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❀ ❀ ❀



المجاهدة الشهيدة أم حرام بنت مِلحان رضي الله عنها

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد أخت أم سُلَيم الأنصارية الخزرجية النجَّارية رضي الله عنها وزوجة عُبادة بن الصامت، وخالة أنس بن مالك رضي الله عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتُطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تَفْلِي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتى عُرضوا علىَّ غُزاةً فى سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكًا على الأَسِرّة ... أو مثل الملوك على الأسِرة**»، قالت: فقلتُ يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتى عُرضوا علىَّ غُزاة فى سبيل الله**» - كما قال فى الأول ... قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال: «**أنت من الأولين**» فركبت البحر فى زمن معاوية بن أبى سفيان فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت»[(١)].

يقال: هذه غزوة قبرص[(٢)] فى خلافة عثمان.

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٢) كتاب الإمارة.

(٢) هى الجزيرة المعروفة اليوم باسم قبرص: وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبى سفيان، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، وذلك سنة سبع وعشرين.



ذات النطاقين

أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما





أم عبد الله ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة القرشية التميمية، المكية ثم المدنية، والدة الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاة. والدها: صدِّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه.

وأمها هى قُتيلة بنت عبد العُزى العامرية.

عن وهب بن كيسان قال: كان أهل الشام يعيّرون ابن الزبير ويقولون: يا ابن ذات النطاقين، فقالت له أسماء يا بُنى إنهم يعيرونك بالنطاقين، وهل تدرى ما كان النطاقان؟ إنما كان نِطاقى شققتُه نِصفين فأوكيت قربة رسول الله ﷺ بأحدهما وجعلت فى سفريه آخر. قال: فكان أهل الشام إذا عيروه بالنطاقين قال: إيها[١] والإله تلك شكاة ظاهر عنك عارها»[٢].

وعن أبى نوفل بن أبى عقرب قال: رأيت عبد الله بن الزبير -أي: بعد قتله- على عَقَبة المدينة[٣]، قال: فجعلت قريش تمرُّ عليه والناس حتى مَرَّ عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك يا أبا خُبيب، السلام عليك يا أبا خُبيب، السلام عليك يا أبا خُبيب، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمتُ صوّاما قوّامًا وصولًا للرحم، أما والله لأُمةٌ أنت أشرُّها لأمة خير.

ثم نفذ عبد الله بن عمر. فبلغ الحجاج موقف عبد الله بن عمر وقوله، فأرسل إليه فأنزل عن جِذْعِه[٤].

---

(١) إيهًا: بكسر الهمزة والتنوين معناها : الاعتراف بما كانوا يقولونه والتقدير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٣٨٨) كتاب الأطعمة.

(٣) هى عقبة بمكة.

(٤) أى عبد الله بن الزبير.

فأُلقى فى قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبى بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتينى أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلىَّ من يسحبنى بقرونى. قال: فقال: أرونى سِبْتِيَّ[١]، فأخذ نعْلَيه ثم انطلق يتَوَذَّفُ حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتنى صنعتُ بعدو الله؟

قالت: رأيتُك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، بلغنى أنك تقول: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقينْ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبى بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه.

أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**أن فى ثقيف كذابًا ومُبيرًا فأما الكذَّاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه**»، قال: فقام عنها ولم يراجعها[٢].

وعن أبى الصديق الناجى: أن الحجَّاج دخل على أسماء فقال: إن ابنك ألحدَ فى هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم. قالت: كذبت! كان بَرًّا بوالدته، صوَّامًا قوَّامًا، ولكن قد أخبرنا رسول الله ﷺ: «**إنه سيخرج من ثقيف كذَّابان: الآخر منهما شرٌّ من الأول، وهو مُبير**»[٣].

قال الذهبى: شهدت اليرموك مع زوجها الزبير[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) يعنى النعال السبتية.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) إسناده قوى: أخرجه ابن سعد: (٨/ ٢٥٤)، وأحمد: (٦/ ٣١٥)، وقال الذهبى فى «تاريخ الإسلام» (٣/ ١٣٦) إسناده قوى.

(٤) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٨٨).

أم سليط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هى والدة أبى سعيد الخدرى كانت زوجًا لأبى سليط، فمات عنها قبل الهجرة، فتزوجها مالك بن سنان الخدرى فولدت له أبا سعيد.

عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قسَّم مروطًا بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقى منها مرط جيد فقال له بعض مَن عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التى عندك ... يريدون أم كلثوم بنت على، فقال عمر: أم سُلَيط أحق به - وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ- قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القِرَب يوم أُحد [(١)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٠٧١) كتاب المغازي.



أم حكيم بنت الحارث المخزومية رضي الله عنها
تقتل سبعة من الروم صبيحة بنائها



أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية [(١)] زوج عكرمة بن أبي جهل.

قال أبو عمر: حضرتْ يوم أُحد وهى كافرة ثم أسلمت فى الفتح، وكان زوجها فرَّ إلى اليمن فتوجَّهت إليه بإذن من النبى ﷺ، فحضر معها، وأسلم ثم خرجت معه إلى غزو الروم، فاستشهد، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص، فلما كانت وقعة «مرج الصفر» أراد خالد أن يدخل بها، فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع! فقال: إن نفسى تحدثنى أنى أُقتل، قالت فَدُونكَ، فأعرس بها عند القنطرة، فعُرفت بها بعد ذلك، فقيل لها قنطرة أم حكيم، ثم أصبح فأولم عليها، فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم، ووقع القتال، فاستُشهد خالد، وشدّت أم حكيم عليها ثيابها، وتبدَّت وإن عليها أثر الخَلوق. فاقتتلوا عند النهر؛ فقاتلت أم حكيم يومئذٍ، فقاتلت بعمود الفسطاط الذى أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم» [(٢)].

فلو كان النساء كما ذكرنا ... لفُضِّلت النساءُ على الرجالِ

وإن هذا الموقف تعجز عنه كل الكلمات ... وهو أرق من نسيم السَّحَر وأطيب من شذا الورود.

❊ ❊ ❊

(١) الإصابة (١١٩٨٤) (٨/ ٣٧٩) وأسد الغابة ت: (٧٤٢١)، والاستيعاب ت (٣٥٩٨).

(٢) الإصابة (٨/ ٣٧٩).



خولة بنت الأزْور أخت ضرار بن الأزور
من ذوات الخدور لكن ليس كمثلها النسور



هى أخت ضرار بن الأزور، واسم الأزور مالك بن أوس بن جَذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن رُودان بن أسد بن خُزيمة الأسدى.

ولأخيها ضرار صحبة كما قال البخارى وأبو حاتم وابن حبان. ولها صحبة.

يروى أنه لما أُسر ضرار بن الأزور فى موقعة أجنادين: سار خالد بن الوليد فى طليعة من جنده لاستنقاذه، فبينا هو فى الطريق، مَرَّ به فارس معتقل رُمحه لا يبين منه إلا الحدق، وهو يقذف بنفسه، ولا يلوى على ما وراءه، فلما نظر خالد قال: ليت شعرى!! من هذا الفارس؟! وايم الله، إنه لفارس. ثم اتَّبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم، وأمعن بين صفوفهم، وصاح بين جوانبهم، حتى زعزع كتائبهم، وحطم مواكبهم، فلم تكن غير جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالًا وجندل أبطالًا، ثم عرَّض نفسه للموت ثانية، فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شىء كثير، وظنه أُناس خالدًا -أي: خالد ابن الوليد- حتى إذا قدِم خالد، قال له رافع بن عميرة: من الفارس الذى تَقدَّم أمامك؛ فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله لأنا أشد إنكارًا وإعجابًا لما ظهر من خلاله وشمائله، وبينا القوم فى حديثهم، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو فى أثره؛ وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه، فأنهل رمحه من صدره، حتى قدم على المسلمين، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه، وناشده ذلك خالد وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يحر جوابًا، فلما أكثر خالد

أجابه وهو مُلثَّم، فقال: أيها الأمير، إنى لم أُعرض عنك إلا حياءً منك، لأنك أمير جليل؛ وأنا من ذوات الخدور وبنات السُّتور، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد، زائدة الكَمد، فقال خالد: مَن أنت؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور، كنت مع نساء قومى، فأتانى آتٍ بأن أخى أسير، فركبتُ وفعلتُ ما رأيتَ، هنالك صاح خالد فى جنده، فحملوا وحملتْ معهم خولة، وعظم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم. وكانت تجول فى كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها، فلم ترَ له أثرًا، ولا وقفت له على خبر، على أنها لم تزل على جهادها حتى استُنقِذ لها أخوها [1].

ومن مواقفها الرائعة: موقفها يوم أُسِرَ النساء فى موقعة «صحورا»؛ فقد وقفت فى النساء، وكانت قد أُسِرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن وتُضْرِم نار الحمية فى قلوبهن، ولم يكن من السلاح شىء معهن.

فقالت: خُذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت عَفَار: والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرت.

ثم تناولت كل واحدة عمودًا من عُمد الخيام، وصِحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابع النساء وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفكُّ بعضكن عن بعض، وكُنْ كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن فتُمْلكن، فيقع بكن التشتيت، وحطِّمن رماح القوم، واكسرن سيوفهن... وهجمت خولة وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتْهنَّ من أيدى الروم، وخرجت وهى تقول:

---

(١) فتوح الشام للواقدى: (١/ ١٢٧ - ١٢٨).

نحـــن بنـــات تُبَّـــع وحِمْيـــرْ   وضَـــرْبُنا فى القـــوم ليـــس يُنكَـــرْ

لأننـــا فى الحـــرب نـــارٌ تُـــشعرْ   اليـوم تُسقُون العـذاب الأكبـر [(١)(٢)]

❀ ❀ ❀

(١) فتوح الشام للواقدى (١/ ١٢٨ – ١٢٩).

(٢) بتصرف من كتاب فرسان النهار/ د. سيد حسين العفانى.

أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ورحلتها مع الجهاد

❁ الجهاد فى سبيل الله تعالى، هو ما كانت تتطلعُ إليه أسماء بنت يزيد – رضى الله عنها وأرضاها –.

❁ ولأسماءَ باعٌ ورحلةٌ شائقةٌ فى عَالَم الجهاد، فمنذ أَنْ بايعتْ رسولَ الله ﷺ بيعتها المشهورة، كانت تطوى فى نفسها التطلُّع إلى المشاركة فى الجهاد.

❁ وقد نشأتْ أسماء رضي الله عنها فى أسرة عُرِف أفرادها بالتَّضحية والجهاد منذ أَنْ أعلنت كلمة التَّوحيد، ومنذ أَنْ صادفَ نورُ الإيمان قلوبهم الصَّافية خاليةً فتمكَّن منهم.

❁ وإذا ما تتبعنا رحلة جهاد أفراد أسرتها، ألقيناهم من أبطال الإسلام وأعلامه، ومن فرسان مدرسة النُّبوة الميامين، حازوا فضيلة الجهاد مع رسول الله ﷺ، ونالوا شرف الاسشهاد إذ اتخذهم الله شهداء، ومَن يتخذِ الله شهيدًا فقد فاز فوزًا عظيمًا.

❁ ولآلِ السَّكن هؤلاء مواقفُ وضَّاءةٌ فى غزوة أُحُد، كما أَنَّ لأسماءَ رضي الله عنها موقف وضىءٌ ينضح بالبطولة، ويفوحُ برائحة الإيمان ويشيرُ إلى حبِّ الفداء للنبى الكريم ﷺ.

❁ فأبوها: يزيدُ بنُ السَّكن الأنصارى الأشهلى، استُشهد يوم أُحد مع ابنه عامر بن يزيد رضي الله عنهما [1].

❁ وعمُّها: زياد بن السَّكن الأنصارى الأشهلى، أَحَد الفرسان الأبطال

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٦١٢)، والإصابة (٣/ ٦٢٠)، وأسد الغابة ترجمة رقم (٥٥٥١)، والاستبصار ص (٢١٨).

الذين باعوا أنفسهم لله واستشهدوا يوم أُحد عندما قال رسول الله ﷺ.

«**مَن رجلٌ يبيعُ لنا نفسه**»؟

فوثبَ فتيةٌ من الأنصار خمسة منهم: زياد بن السَّكن رضي الله عنه، فقاتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن، فقاتل حتى أُثْبِتَ - جُرِح جراحة لا يتحرك منها - ثم ثابَ إليه ناسٌ من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا - أزالوا - عنه العدو، فقال رسول الله ﷺ لزياد بن السَّكن: «**أُدْنُ مني**»، وقد أثبتته الجراحة، فوسَّده رسول الله ﷺ على قَدَمِه حتى مات عليها(١).

وابنُ عمِّها: عمارة بن زياد بن السَّكن، قُتِلَ يوم أحد شهيدًا، ووُجِدَ به أربعة عشر جرحًا(٢).

۞ وهكذا فقد اتخذ الله المؤمنين شهداء، ومنهم آل السّكن الأخيار، الذين خلَّفوا وراءهم نساءً يحملن قلوبًا مملوءةً بمحبة الله سبحانه ومحبة رسوله الكريم ﷺ، ومنهن أمُّ سعد بن معاذ وبطلةُ حلقتنا أسماء بنتُ يزيد رضي الله عنها، فإنَّه لما بلغها استشهاد أبيها وأخيها وعمّها وابن عمها خرجت تنظر إلىٰ سلامة رسول الله ﷺ، وهو قادم من أُحد، وعندما رأته سالمًا قالت: كلُّ مصيبةٍ بعدَكَ جَلَل(٣) - هينة.

۞ وشهدت أسماءُ بنت يزيد رضي الله عنها كثيرًا من الأحداث الهامة فى الإسلام، وكانت تشارك فيها، فقد تابعت رحلة الجهاد مع رسول الله ﷺ، فشاركت فى غزوة الخندق بإكرام النَّبى ﷺ بالطَّعام، وخرجت معه إلى الحديبية(٤)، وبايعت

---

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (١٨٩٩)، والاستبصار ص (٢١٧).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٩، ٢٠)، والاستبصار ص (٢١٧).

(٣) المغازى للواقدى (١/ ٣١٥ و٣١٦).

(٤) المغازى (٢/ ٥٧٤)..

بيعة الرِّضوان [١]، ثمَّ شاركت فى غزوة خيبر [٢]، وظلت تقدم جهدًا مشكورًا فى حياة النَّبى ﷺ إلى أَنْ توفى وهو راضٍ عنها.

❁ أسماء ورحلة جهادٍ أخرى:

❁ لم تتوقفِ الصَّحابية الجليلة أسماء بنت يزيد عن الجهاد، فما إنْ أقبلتَ السنَّة الثالثة عشرة من الهجرة، حتى خرجت إلى بلاد الشَّام لتأخذ مكانها فى جيش المسلمين فى اليرموك لتسقى العطشى، وتُضمد جراح الجرحى.

❁ ومعركة اليرموك من أشهر معارك المسلمين التى خلَّدها التاريخ، وسجَّل المسلمون فيها انتصارًا يفيض بالبركة، كما سجَّل كذلك دور المرأة المسلمة التى شاركت فيها مشاركةً فعلية مع المجاهدين. فقد ذُكر أنَّ أبطالَ المسلمين قاتلوا قتالًا شديدًا يومذاك، حتى قاتلت النِّساء من ورائهم أشدَّ القتال، وكُنَّ يشجعنهم، ولما احتدمتِ المعركةُ واستعرت نارُها جعل بعضُ رجال المسلمين يتراجع، ولكنَّ النِّساء المجاهدات كن لهم بالمرصاد، وكانت النِّساءُ تستقبل مَن انهزمَ ويضربنهم بالخشب والحجارة.

وذكر ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ دور النِّساء فى هذه المعركة الحاسمة فقال:

وقد قاتل نساءُ المسلمين فى هذا اليوم، وقتلوا خَلْقًا كثيرًا مِنَ الرُّوم، وكُنَّ يضربن مَن انهزم من المسلمين ويَقُلن: أين تذهبون وتدعوننا للعُلُوج، فإذا زجرنَهم لا يملكُ أحد نفسه حتى يرجعَ إلى القتال [٣].

❁ وعندما سمع جنود المسلمين هذا رجعوا إلى مواقفهم، وتبايعوا على الموت، وقاتلوا حتى كَتَبَ اللهُ لُهم النَّصرَ وشرَّدوا جموعَ الرُّوم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٧).

(٢) المغازى (٢/ ٦٨٥)، والإصابة (٤/ ٤٥٠).

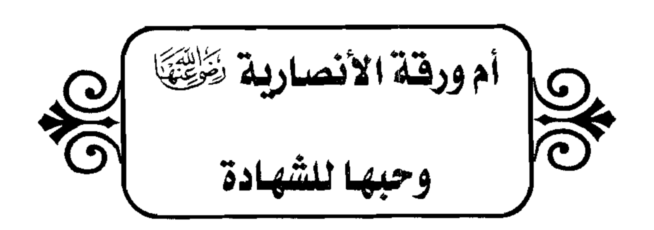
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٣)، ولمزيد من تفاصيل معركة اليرموك اقرأ تاريخ الطبرى (٢/ ٣٣٥) وما بعدها.

❁ أما بطلةُ النِّساء أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، فلم تكن أقلَّ شجاعةً وبسالةً من جنود المسلمين الذين جندلوا آلاف المشركين، فانغمرت في الصُّفوف وأردت عددًا من رجال الشِّرك،... ذكر هذا ابن حجر رحمه الله فقال:

أمُّ سلمةَ الأنصارية هي أسماءُ بنتُ يزيد بن السَّكن، شهدتِ اليرموك وقتلتْ يومئذٍ تسعةً من الرّوم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا [١][٢].

❁ ❁ ❁

(١) الإصابة (٤/ ٢٢٩)، وانظر كذلك مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٢٦٠) حيث أورد هذا الخبر وقال عنه: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وانظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٧).
(٢) نساء مبشرات بالجنة/ أ. أحمد خليل جمعة (ص ٣٠٨ - ٣١٢) بتصرف.



أم ورقة الأنصارية رضي الله عنها وحبها للشهادة

❁ كانت أمُّ ورقة رضي الله عنها من فواضل نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين. نشأت على حبِّ كتاب الله، وراحت تقرأُ آياتِه آناء الليل وأطراف النهار، حتى عُدَّت إحدى العابدات الفاضلات، فجمعت القرآن الكريم، وكانت تتدبر معانيه، وتتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مجيدةٌ للقرآن، اشتهرت بكثرة الصلاة، وحُسن العبادة.

وكان النبى الكريم ﷺ يزورها ويكرمها،... ذكر ابن حجر العسقلانى خبر عبادتها واهتمامها بالقرآن فقال: وكانت قد قرأتِ القرآن؛ فاستأذنت النبى ﷺ فى أن تتخذَ فى دارها مؤذنًا فأَذِنَ لها [1].

حبها للجهادِ والشهادة:

❁ ظلت أمُّ ورقة – رضوان الله عليها – تحافظ على شعائر الله، وعلى إقام الصَّلاة، وكانت تؤم النساء إلى أنْ نادى داعى الجهاد، ودعا رسول الله ﷺ المسلمين للخروج إلى بدر قائلًا: «**هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها**» فاستجاب ناس وثَقُل آخرون، حيث ظنوا أنَّ رسولَ الله ﷺ لمْ يلقَ حربًا، وظنوا كذلك أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يهتم بها، غير أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان ظهره**[2] **حاضرًا فليركب معنا**» ولم ينتظر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَن كان غائبًا عنه.

❁ ونُمى إلى أمِّ ورقة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ، خارج لاعتراض عِير قريش،

---

(١) الإصابة (٤/ ٤٨١).

(٢) «ظهره» أى ما يركبه.

فأسرعت وأتت رسول الله ﷺ تطلب أنْ يأذنَ لها الغزو،... ولنترك الحديث لأم ورقة نفسها لتحدثنا عن حبِّها ورغبتها فى الجهاد فتقول:

إنَّ النَّبى ﷺ لما غزا بدرًا قلت له: يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك أُمرِّض مرضاكم لعلَّ الله أن يرزقنى الشَّهادة، قال: «**قَرِّى فى بيتك، فإنَّ الله تعالى يرزقك الشهادة**»(١).

۞ وعادت الصَّحابيةُ العابدة أم ورقةَ إلى بيتها سامعة مطيعة أمر النبى الكريم ﷺ، فطاعة رسول الله واجبة.

عادت وقَرَّت فى بيتها ولزمت دارها بانتظار بشارة رسول الله ﷺ لها بالشهادة، وهذه الطاعة جعلتها أهلًا لزيارة الرسول الكريم، فقد كان النبى ﷺ إذا أراد زيارتها اصطحب ثلة من أصحابه الكرام، وقال لهم: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»(٢).

وانتقل الرسول الكريم إلى الرّفيق الأعلى وهو راضٍ عن أمّ ورقة، وتابعت حياة العبادة والتقوى فى عهد سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه على الصُّورة التى كانت عليها من قبل.

۞ وفى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتفقدها ويزورها اقتداء بالنبى الحبيب ﷺ ... وكانت أمُّ ورقة رضي الله عنها تملك غلامًا وجارية، وكانت وعدتهما بالعتق بعد موتها، فسوَّلت لهما نفساهما أن يقتلا أمَّ ورقة، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها وهربا، فلما أصبح سيدنا عمر رضي الله عنه قال:

والله ما سمعتُ قراءة خالتى أم ورقة البارحة.

فدخل الدّار فلم يرَ شيئًا، فدخل البيت فإذا هى ملفوفة فى قطيفة فى جانب

---

(١) سنن أبى داود (١/ ٩٧)، والسيرة الحلبية (٢/ ٣٧٥)، وكتاب «حجة الله على العالمين» ليوسف النبهانى (٢/ ٨٢).

(٢) عن أسد الغابة ترجمة رقم (٧١٠٨).

البيت فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر وقال عليَّ بهما، فأُتى بهما، فسألهما فأقرَّا أنهما قتلاها، فأمر بهما فصُلبا، فكانا أول مصلوبين بالمدينة، شرفها الله تعظيمًا وتكريمًا[١].

۞ عندها قال سيدنا عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»[٢][٣].

۞ ۞ ۞

(١) سنن أبى داود (١/ ٩٧)، والاستيعاب (٤/ ٤٨٢)، وطبقات ابن سعد (٨/ ٤٥٧).

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٣٨١)، والاستبصار ص (٣٥٩)، والحلية (٢/ ٦٣).

(٣) نساء مبشرات بالجنة (٢٩٢ – ٢٩٦) بتصرف.

رُفيدة بنت سعد الأسلمية رضي الله عنها

وقفت رفيدة (كعيبة) كما فى بعض الكتب ترقب جموع المؤمنين من الرجال وتفكر فيما يمكن أن تقوم به هذه المرأة المؤمنة فى مثل هذا اليوم.

ووراء جيش المسلمين خرجت ثلة من النساء يحملن الماء للمحاربين تتقدمهن كعيبة، ثم دارت رحى المعركة، وحمى وطيسها، وجُرح فيها بعض المسلمين، فأسرعت رُفيدة تنتقل بين صفوف المسلمين تسعف المصاب منهم وتُشعره بالعناية والعطف.

وقد كتب الله تعالى النصر لرسوله والمسلمين فى غزوة بدر، وعادوا إلى المدينة منتصرين ومعهم رفيدة ... وقد شاء الله أن تعرف كثيرًا من فن التمريض، فذاع صيتها، ونالت شهرة عظيمة جعلتها مقصد الراغبين والراغبات فى العلاج، فأنشأت أول عيادة للتمريض، وجعلت مقرها مسجد رسول الله ﷺ بخيمة كبيرة كانت تعالج فيها المسلمين والمسلمات. وكانت قد اكتسبت فن التمريض عن أبيها سعد الأسلمى، الذى كان يجيد فن التمريض.

أمية بنت قيس رضي الله عنها

ففى غزوة خيبر خرجت السيدة أمية – ويقال: (أميمة) بنت قيس الغفارية مع رسول الله ﷺ تداوى الجرحى، وتعين المسلمين.

تقول أمية بنت قيس رضي الله عنها «جئت رسول الله ﷺ فى نسوة من غِفار، فقلنا يا رسول الله، إنَّا نريد أن نخرج معك فى وجهك هذا – أى إلى خيبر – فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا.

فقال رسول الله ﷺ: **«على بركة الله»**[(١)].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢/ ٤٠٧)، وابن سعد فى الطبقات (٨/ ٢١٤)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٥/ ٢٢٣).

ليلى الغفارية رضي الله عنها

يقول عنها ابن الأثير: كانت تخرج مع رسول الله ﷺ في مغازيه، تداوى الجرحى وتقوم على المرضى.

وها هي تقول مُحدثة بذلك: أتيت رسول الله في نسوة من بني غِفار، فقلنا: يا رسول الله، أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خيبر - فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال ﷺ: «**على بركة الله**»[1].

قالت: وكنت جارية حديثة السن، فأردفني رسول الله ﷺ حقيبة رَحْلِه - أي مؤخرة الرَّحل - فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح، ونزلت فإذا دَمٌ مني على الرحل، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة - أي تجمعت مقبوضة - واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي، ورأى الدم قال: «**لعلك نفست؟**» قلت: نعم.

فقال رسول الله: «**فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحًا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك**»[2].

قالت ليلى: فلما فتح الله خيبر، وفتح لنا هذه الفيء، أخذ هذه القلادة فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا، وأوصيت أن تُدفَن معي، وكنت لا أتطهر من حيض إلا جعلت في طهوري ملحًا، وأوصيت به أن يجعل في غُسلي حين موتي.

---

(١) الطبراني في الكبير وابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٣٩٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٧٠١٤) جـ١٨/ ٤٤٣ بإسناد ضعيف لجهالة أمية بنت أبي الصلت، وذكره الألباني في ضعيف أبي داود برقم ٣١٣.

صاحبة الضفيرتين
وابنها الصوَّام القوَّام رَحِمَهُمَا اللَّهُ

۞ حكاية أبى قدامة مع المرأة التى ضفَّرت شعرها شِكالًا للفرس فى سبيل الله مشهورة، حكاها جماعة منهم أحمد بن الجوزى الدمشقى فى كتابه المسمى بـ«سوق العروس وأنس النفوس».

فحكى أنه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يقال له: أبو قدامة الشامى، وكان قد حبَّب الله إليه الجهاد فى سبيل الله تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا فى مسجد رسول الله ﷺ يتحدث مع أصحابه، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته فى الجهاد قال: نعم، إنى دخلت فى بعض السنين الرقة(1) أطلب جملًا أشتريه ليحمل سلاحى، فبينا أنا يومًا جالس، إذ دخلت علىَّ امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رُزقت من الشعر ما لم يُرزقه غيرى من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالًا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت فى بلاد الكفر وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإذا احتجت إليه وإلا فَادْفَعْه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعرى ويصيبه الغبار فى سبيل الله فأنا امرأة أرملة(2) كان لى زوج وعصبة(3) كلهم قُتلوا فى سبيل الله لو كان علىَّ جهاد لجاهدت... قال: وناولتنى الشكال.

---

(1) الرقة: بفتح أوله وثانيه، وتشديده، مدينة مشهورة على الفرات. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٥٨، ٥٩).

(2) يقال للمرأة التى لا زوج لها: أرملة، لافتقارها إلى من ينفق عليها، قال الزهرى: لا يقال لها: أرملة، إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة، فليست بأرملة. انظر: «المصباح» ص (٢٣٩).

(3) العصبة من الرجال: نحو العشرة، أو إلى الأربعين. انظر: «المصباح» ص (٤١٣).

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجى لما قُتل خلَّف لى غلامًا من أحسن الشباب، وقد تعلم القرآن والفروسية والرمى عن القوس، وهو قوّام بالليل صوّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب فى ضيعة خلَّفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله ﷻ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمنى ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: ألقه فى بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبى،قال: فطرحته فى رحلى وخرجت من الرقة ومعى أصحابى، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائى: يا أبا قدامة قف علىَّ قليلًا يرحمك الله، فوقفت، وقلت لأصحابى: تقدموا أنتم حتى أنظر مَن هذا، وإذا بالفارس قد دنا منى وعانقنى، وقال: الحمد لله الذى لم يحرمنى صحبتك ولم يردنى خائبًا، قلت: حبيبى أسفر لى عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت: حبيبى لك والد؟ قال: لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدى، لأنه استشهد فلعل الله أن يرزقنى الشهادة كما رزق أبى، قلت: حبيبى لك والدة؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها، واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد؛ لأن الجنة تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أما تعرفنى؟ قلت: لا، قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمى صاحبة الشكال، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، سألتك بالله لا تحرمنى الغزو معك فى سبيل الله، فإنى حافظ لكتاب الله، عارف بسنة رسول الله ﷺ ، عارف بالفروسية والرمى، وما خلفت ورائى أفرس منى، فلا تحقرنى لصغر سنى، وإن أمى قد أقسمت علىّ لا أرجع، وقالت: يا بنى إذا

لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك لله، واطلب مجاورة الله ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين فى الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فىّ، فإنه قد بلغنى أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتنى إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهى وسيدى ومولاى، هذا ولدى، وريحانة قلبى، وثمرة فؤادى سلمته إليك فقربه من أبيه.

قال: فلما سمعت كلام الغلام، بكيت بكاءً شديدًا أسفًا على حسنه، وجمال شبابه، ورحمة لقلب والدته، وعجبًا من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكى لصغر سنى، فإن الله يعذب من هو أصغر منى إذا عصاه، قلت: لم أبكِ لصغر سنك، ولكن أبكى لقلب والدتك، كيف تكون بعدك؟ قال: فسرنا ونزلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته، فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلًا، وصار كلما سار يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعامًا لإفطارنا، وكنا صيامًا فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينا هو نائم إذ تبسم فى نومه، فقلت لأصحابى: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام فى نومه؟ فلما استيقظ، قلت: حبيبى رأيتك الساعة تبتسم فى منامك ضاحكًا قال: رأيت رؤيا فأعجبتنى وأضحكتنى، قلت: ما هى؟ قال: رأيت كأنى فى روضة خضراء أنيقة، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصرًا من فضة شُرَفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا جوارى يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأيننى، قلن لى: مرحبًا بك، فأردت أن أمد يدى إلى إحداهن، فقالت: لا تعجل، ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية، قلن لى: تقدم يرحمك الله، فتقدمت أمامى، فإذا فى

أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت عليَّ بصري لذهب، وذهب عقلي، من حسن الغرفة وبهاء الجارية، قال: فلما رأتني الجارية، قالت: مرحبًا وأهلًا وسهلًا ياولي الله وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلًا لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا [١]، وإن المعاد بيني وبينك غدًا عند صلاة الظهر، فأبشر، قال أبو قدامة: فقلت له: حبيبي رأيت خيرًا وخيرًا يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي [٢]، وبالجنة أبشري: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٣] فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكُفْر - خذله الله- قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق جمعهم وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالًا وجندل أبطالًا، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب، فقال يا عم: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [٤]، أتريد أن أدخل النار؟.

فبينا هو يكلمني، إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقُتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذا القتلى لا يُحصون عددًا، فجعلت أجول

---

(١) خنا خنوًا: أفحش. «القاموس المحيط» (٤/ ٦٢٣)، الطبعة الثالثة، المطبعة المصرية.

(٢) هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي. «النهاية» (٢/ ٩٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (١٥).

بفرسى بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تُعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب فى دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لى عمى أبا قدامة، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس[1] الدواب، فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسى عليه فقبَّلت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه،وقلت: ياحبيبى لا تنس عمك أبا قدامة، اجعله فى شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا يُنسى، تمسح وجهى بثوبك؟ ثوبى أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التى وصفتها لك قائمة على رأسى، تنتظر خروج روحى، وتقول لى: عَجِّل فأنا مشتاقة إليك.

بالله يا عم إن ردك الله سالمًا، فتحمل ثيابى هذه المضمخة بالدم لوالدتى المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أنى لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ منى السلام عليها، وقل لها: إن الله قد قبل الهدية التى أهديتها، ولى يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتنى تسلم علىَّ، وإذا خرجت تكون آخر من يودعنى، وإنها ودعتنى عند مخرجى هذا، وقالت لى: بالله يا أخى لا تبطئ عنا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها منى السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: الله خليفتى عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ثم

---

(١) الدوس: الوطأ بالرجل - «القاموس المحيط» (٢/ ٢١٧) ط ٣.

خرجت روحه، فكفنّاه فى ثيابه، وواريناه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنا.

۞ **قال أبو قدامة**: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لى همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام فى حسنه وجماله، وهى قائمة بالباب، وكل من مر بها تقول: يا عم من أين جئت؟ فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخى؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها، فقالت لى: يا عم من أين جئت؟ قلت: من الغزو، قالت: أما رجع معكم أخى، ثم بكت وقالت: ما بالى أرى الناس يرجعون، وأخى لم يرجع، فغلبتنى العَبرة، ثم تجلدت خشية على الجارية.

ثم قلت لها: يا جارية قولى لصاحبة المنزل: كلمى أبا قدامة، فإنه على الباب، فسمعت المرأة كلامى، فخرجت إلىَّ وقد تغير لونها، فسلمت عليها، فردت السلام،وقالت: أمُبشرٌ أنت يا أبا قدامة أم مُعزٍّ؟، قلت: بيِّنى لى البشارة من التعزية رحمك الله، قالت: إن كان ولدى رجع سالمًا فأنت مُعزٍّ، وإن كان قُتل فى سبيل الله فأنت مبشر، فقلت: أبشرى فقد قبل الله هديتك، فبكت وقالت: قبلها؟ قلت: نعم، فقالت: الحمد لله الذى جعله ذخيرة لى يوم القيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟ قالت: هى التى كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إلىَّ، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتى عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرَّت على وجهها مغشيًّا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هى ميتة، فتعجبت من ذلك، ثم سلمت ثياب الغلام التى كانت معى لأمه، وودعتها، وانصرفت حزينًا على الغلام والجارية، ومتعجبًا من صبر أمهما[1].

۞ ۞ ۞

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس (١/ ٢٨٥- ٢٨٩).

وأخيرًا

۞ أختي الفاضلة:

إن الله تعالى ألقى بفريضة الجهاد على الرجال، وجعله عبئًا عليهم دون النساء وقد تمنَّى النساء قديمًا أن يكون لهن حظ مما ذهب به الرجال.

فقد روى أن أم سلمة زوج النبي ﷺ ومعها نسوة قالت: «ليت الله كتب علينا الجهاد، كما كتبه على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم، فنزل قوله تعالى[١]: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾[٢].

فمن كانت تريد الأجر فسبيله ما يسَّره الله لها دون توقف على جهاد أو غيره ... ولكن يجب أن يُراعَى أن تقوم المرأة بما يسَّره الله لها من وظائف الأنوثة.

كما ينبغي أن يظل الرجل قائمًا بما يسره الله تعالى له من وظائف الرجولة ..

روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: **«أبلغي مَن لقيت من النساء أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من تفعله»**[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٣، وأسباب النزول للواحدي ص ١٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية (٣٢).

(٣) رواه البزار وذكره السيوطي فى الدر المنثور (٢/ ١٥٣)، وأسد الغابة لابن الأثير بنحوه (٥/ ٢١٦)، والمرأة هى أسماء بنت يزيد الأنصارية.

❁ **أختي الفاضلة:**

إنَّ هـذا لا يعنى أن الإسلام يحول دون جهاد المرأة فى الحروب بأعمال التمريض، والإسعاف، وسقى الماء، ونحو ذلك مما كان يحدث فى عصر النبوة وكان رسول الله ﷺ يأذن به، وكذلك خلفاؤه ... غير أنه نظرًا للتفاوت الجسدي بين الرجل والمرأة .. وطبيعة أنوثتها من حملٍ ووضع ورضاعٍ ونحوه .. مما تعانيه المرأة من آلام فكان من الطبيعى أن يقوم الرجل على شئونها ورعايتها، لذلك ألقى الإسلام بفريضة الجهاد على الرجل دون المرأة.

فالله تعالى لم يفرض الجهاد عليها كما فرضه على الرجال .. وفى نفس الوقت لم يُحرِّمه عليها، ولم يمنعها منه .. إلا أن تكون هناك حاجة تستدعى وجودها وتستلزمه على حسب الحاجة والضرورة التى تستلزم ذلك.

❁ **أختي الفاضلة:**

إن الجهاد لم يُفرض على المرأة لأنها تلد الرجال الأبطال الذين يقومون بالجهاد، فهي مهيأة لإعدادهم للجهاد وللحياة سواء بسواء، وهى فى هذا الحقل أنفع وأقدر .. وأما الأجر والثواب فقد طمأن الله الرجال والنساء عليه، وحسب كل إنسان أن يحسن فيما وُكِّل إليه .

قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾[١][٢] .

❁ ❁ ❁

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩٥).

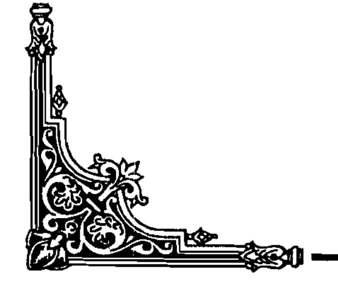
(٢) مواقف إيمانية للنساء/ الشيخ محمد بحيرى (ص ٨٣ – ٨٥) بتصرف.





مواقف إيمانية

في حسن الخاتمة



أسباب حسن الخاتمة

(١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

إن أمر العقيدة ليس أمرًا ثانويًّا حتى نؤجله أو نؤخره، بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله... فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم حتى تصحَّ عقيدتهم.

قال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقٌ والنارَ حقٍ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[(١)].

وفى حديث عتبان بن مالك: «**فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله**»[(٢)].

وقوله: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» قال الحافظ: معنى قوله: «**على ما كان من العمل**» أى من صلاح أو فساد؛ لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات.

۞ قال ﷺ: «**المسلم إذا سُئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[(٣)]**»[(٤)].

فيا أَمة الله! أقيمي التوحيد لله فى قلبك فإنك سوف تجنى ثمراته فى حياتك وعند موتك وفى قبرك ويوم حشرك وسيقودك التوحيد لله جل وعلا إلى جنات

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٢٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣) المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٩٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٧١) كتاب الجنة.

النعيم وإلى رضوان الله (سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ).

(٢) التقوى:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٢).

فالتقوى من أعظم الأسباب التى تقود المؤمن إلى حُسن الخاتمة.

فهى سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(٣).

وهى سبب لقبول الأعمال.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(٤).

وهى سبب للخروج من كل ضيق كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾(٥)، ولا شك أن العبد عند السكرات يكون فى ضيق وشدة فتكون التقوى سببًا لنجاته.

والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن.. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾(٦).

والتقوى سبب للنجاة من المهالك.. قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾(٧).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة البقرة:الآية: (١٧٩).

(٣) سورة الأنفال:الآية: (٢٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٢٧).

(٥) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

(٦) سورة الطلاق:الآية: (٤).

(٧) سورة مريم: الآيتان: (٧١، ٧٢).

وهى سبب لدخول الجنة.. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[(١)].

(٣) الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٣)].

۞ وفى صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! قل لى فى الإسلام قولًا، لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «**قل: آمنتُ بالله ثم استقم**»[(٤)].

فالاستقامة كلمةٌ جامعة، آخذةٌ بمجامع الدّين، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

۞ **قال أبو إسحاق السبيعى:** «لما احتُضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا علىَّ، فإنى لم أتنطَّف بخطيئة منذ أسلمت».

لله درُّه، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة، وحياتُه كلُّها طاعة.

«كان يصلِّى فى الصيف نصف النهار حتى تُكره الصلاة، ثم يصلِّى من الظهر إلى العصر».

---

(١) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٢) سورة فصلت: الآيات: (٣٠-٣٢).

(٣) سورة الأحقاف: الآية: (١٣، ١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٤) الإكثار من ذكر الموت:

فالإكثار من ذكر الموت يردع عن المعاصى ويُلَيِّن القلب القاسى. ومن أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

۞ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت**»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس**»[(٢)].

(٥) الصدق:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[(٣)].

قال ﷺ: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا**»[(٤)]، وتالله إن تلك المنزلة لا يوفق إليها إلا من أراد الله به خيرًا فى دينه ودنياه، وإلا لمن علم الله أنه سيموت على الإيمان والصدق.

وهذا مثل قول النبى ﷺ فى أهل بدر: «**لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٥)]. وبالفعل فقد ماتوا جميعًا على التوحيد.

۞ قال ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) والحاكم (٧/ ١٣٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٣٨٤) بمجموع طرقه.

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٩٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

على فراشه»[1].

وهكذا فإن العبد إذا صدق مع الله فإن الله يحفظ عليه إيمانه ويثبت قلبه على التوحيد ويرزقه حُسن الخاتمة.

(٦) حسن الظن بالله (جل وعلا):

وهذا من أعظم أسباب حُسن الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»**[2].

۞ وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»**[3].

۞ وقال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه»**[4].

۞ وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال له: **«كيف تجدك؟»**، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمّنه مما يخاف»**[5].

(٧) التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ١٢٦) وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٣٠٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله صحيح الجامع (١٩٠٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٥٠٤) كتاب التوحيد.

(٥) حسن: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥١).

(٦) سورة النور: الآية: (٣١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**[(٢)]»[(٣)].

وقال ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[(٤)].

فمن تاب ومات على تلك التوبة فقد رزقه الله حُسن الخاتمة؛ لأنه يُبعث تائبًا يوم القيامة من كل الذنوب.. كما قال ﷺ: «**من مات على شيء بعثه الله عليه**»[(٥)].

(٨) الدعاء:

وذلك بأن نتوجه إلى الله (ﷻ) بالدعاء ونبكي ونتذلل بين يديه سبحانه بأن يثبت قلوبنا على الإيمان وأن يرزقنا حُسن الخاتمة.

فها هو حبيبك ﷺ كان لا يفتر لسانه عن هذا الدعاء: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»[(٦)].

وها هو الحق ﷻ يعلمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[(٧)].

---

(١) سورة التحريم:الآية: (٨).

(٢) «لم يغرغر» أي: لم تبلغ روحه الحلقوم.

(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، وأحمد (٦١٢٥)، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٣٩٦٤)، والحاكم (٦/ ٣٣٧)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٢٨٣).

(٦) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) كتاب القدر، وأحمد (١١٦٩٧)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٧) سورة آل عمران: الآية: (٨).

فتوجهي إلى الله (ﷻ) بالدعاء فى ثلث الليل الأخير أن يرزقك حُسن الخاتمة وأن يكرمك بصحبة النبى ﷺ فى الجنة، وأن لا يحرمك من نعمة النظر إلى وجهه الكريم (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

(٩) قصر الأمل والتفكر فى حقارة الدنيا:

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١].

وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا**»[٢].

فالمؤمن يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأنه سينسى كل شقاء بغمسةٍ واحدة فى جنة الرحمن (جل وعلا)، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأى شيء من حطام الدنيا، بل يمسى ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقينًا أنه لا راحة إلا فى جنة العزيز الغفار.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه ففى «صحيح البخارى» عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما**[٣] **كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[٤].

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس:**

---

(١) سورة الحديد: الآية:(٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) مغبون فيهما: مخدوع وذو خسران فيهما.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»[١].

وقال عمر رضي الله عنه: التؤدة فى كل شىء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.

۞ فمن انشغل بآخرته عن دنياه كانت همته فى الطاعة عالية... وهذا من أعظم السُبل إلى حُسن الخاتمة.

(١٠) البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

وأخيرًا فإن من أسباب حُسن الخاتمة: الخوف من سوء الخاتمة والبُعد عن أسبابها «وهى مذكورة بالتفصيل فى كتابي (رحلة إلى الدار الآخرة).

۞ ۞ ۞

(١) صحيح: رواه الحاكم (٦/ ٣٢٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).



موت القانتات العابدات الراكعات الساجدات على حُسن الخاتمة

زينب بنت جحش رضي الله عنها

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا**».

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا.

قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق(١).

۞ وذكر الإمام النووى رحمه الله أنها دُفنت بالبقيع، وصلى عليها سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ونزل فى قبرها أسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها حمنة، فكلهم محارم لها رضي الله عنها (٢). وأختم تلك الترجمة بقول أُمِّنا عائشة رضي الله عنها.

حيث قالت: يرحم الله زينب، لقد نالت فى الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف، إن الله زوَّجها، ونطق به القرآن. وإن رسول الله قال لنا: «**أسرعكن بى لحوقًا أطولكن باعًا**»(٣). فبشرها بسرعة لحوقها به، وهى زوجته فى الجنة (٤).



فاطمة بنت رسول الله ﷺ

إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

إن سيرتها العطرة خير زاد لنسائنا وبناتنا حيث تجعل القلوب المؤمنة تتدفق

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٢٠) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) سير أعلام النبلاء/ للذهبى (٢/ ٢١٥).

بنور اليقين وتتصل بحبلٍ من الإيمان والتقوى. فهى بنت سيد الأولين والآخرين ﷺ وأمها سيدة نساء العالمين خديجة رضي الله عنها.

وحان وقت الرحيل

مرضت فاطمة مرضًا شديدًا ونامت على فراش الموت بعد تلك الرحلة الطويلة من الجراح والأفراح... وجلس أولادها ينظرون إليها فى حنان وإشفاق.

وفتحت فاطمة الزهراء عينين واهنتين، فرأت زوجها عليًا والهًا حزينًا، والحسن والحسين وفى أعينهما الدموع، بينما كانت ابنتاها زينب وأم كلثوم تكادان تذوبان من الأسى، فأرادت الزهراء أن تواسيهم جميعًا، إلا أن الكلمات رقدت على شفتيها، ولم تتكلم.

كان الموت يطلبها، وإنها لتترك الدنيا غير آسفة على فراقها، فما تنافست فى عزِّها وفخرها، وما بهرتها زينتها ونعيمها وزخرفها، إنها ستصبح ميتًا يُبكى، وستترك من ورائها دنيا لا خير فى شىءٍ من أزوادها إلا التقوى، نعم، فإن خير الزاد التقوى، وخير لباسٍ التقوى، وقد كان التقوى لباسها وزادها.

وفى يوم الثلاثاء، لثلاثٍ خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فاضت الروح المطمئنة، ورجعت إلى ربها راضية مرضية.

توفيت فاطمة الزهراء، فأجهش زوجها بالبكاء، وراح الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم يذرفون الدموع على أعظم أُمٍّ فى الوجود؛ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، وابنة سيدة نساء أهل الجنة.

واجتمع الناس فى المسجد النبوى، وقد نزل بقلوبهم حزن ثقيل، فقد جدد موت فاطمة الزهراء أحزانهم على فراق أبيها رسول الله، وقد توفيت بعده بستة أشهر... وصلى عليها زوجها علىّ، وعمه العباس بن عبد المطلب؛... وفى سكون الليل، خرجت الجنازة إلى البقيع إلى حيث تثوى زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن [١].

---

(١) نساء أهل البيت (ص:٦٠١-٦٠٣) بتصرف.

أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها

جلست أم حرام رضي الله عنها تتذكر قول النبي ﷺ لها حين قال: «**أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا - أي وجبت لهم الجنة -قالت أم حرام: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم**»[(١)].

وركبت أم حرام (البحر) مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فلما رجعوا قُربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها فماتت رضي الله عنها ودُفنت في جزيرة قبرص.. وقبرها في قبرص يُدعى بقبر المرأة الصالحة.

والعجيب أن قبرها يتبرك به أهل قبرص.... قال الإمام الذهبي: وبلغني أن قبرها تزوره الفرنج[(٢)].

۞ وذكر أبو الحسن ابن الأثير وغيره خبر تلك الغزوة فقالوا: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدُفنت فيها، وكان أمير المؤمنين أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة وذلك سنة سبع وعشرين[(٣)].

سمية بنت خباط (أم عمار) رضي الله عنها

إنها أول شهيدة في الإسلام.... وها هي قصة استشهادها:

كان أبو جهل الفاسق -الذي يغري بهم في رجال من قريش- إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنَّبه وخزَّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنُسفِّهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٩٢٤) كتاب الجهاد.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٧).

(٣) أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٠٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ٨٥).

وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه، وأغرى به - لعنه الله وقبَّحه(١).

❁ وظلت الصحابية الكريمة سمية رضي الله عنها تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبى جهل صبر الأبطال، فلم تصبأ، ولم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها الذى رفعها إلى مستوى الخالدات من النساء، بل الأوليات فى لائحة الصابرات(٢).

❁ وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطورًا من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة فى الإسلام. وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل -عليه من الله ما يستحقه- فطعنها فى موطن عفتها فقتلها(٣).

❁ قال مجاهد رحمه الله: أول شهيدة كانت فى أول الإسلام أم عمار سمية، طعنها أبو جهل بحربة فى قُبلها (٤).

❁ وكان استشهاد سمية رضي الله عنها فى السنة السابعة قبل الهجرة.



أم ورقة بنت الحارث رضي الله عنها

إنها الصحابية الجليلة التى بشرها النبى ﷺ بالشهادة.

فعن أم ورقة أن النبى ﷺ، لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله! ائذن لى فى الغزو معك، أُمرِّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقنى شهادة. قال: «**قرِّى فى بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة**»(٥). قال: فكانت تُسمَّى الشهيدة.

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٥٩).

(٢) نساء مبشرات بالجنة/ (ص:١٣٤).

(٣) أصحاب الرسول ﷺ للمصنف (١/ ٥٢٧).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٥٩).

(٥) حسن: رواه أبو داود (٥٩١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود (٥٥٢).

۞ وعادت تلكم العابدة الزاهدة التقية إلى بيتها -طاعةً لأمر رسول الله ﷺ... عادت تنتظر الشهادة التي بشرها بها رسول الله ﷺ.

وعلم الناس بتلك البشارة التي بشَّرها بها رسول الله ﷺ حتى كان الحبيب إذا أراد أن يزورها يصطحب معه ثُلة من أصحابه الكرام ويقول لهم: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

وحان وقت الرحيل

وتأتي اللحظة المناسبة التي قدر الله أن يرزقها فيها الشهادة. فلقد كانت (أم ورقة) تنتظر تلك اللحظة بكل شوقٍ ولهفة.

۞ وكانت (أم ورقة) ليس معها أحد في بيتها إلا غلام وجارية يخدمانها ويعيشان معها: جارية مملوكة وعبد مملوك ورثتهما عن أهلها... فلما أسلمت وعدتهما بالحرية والعتق بعد موتها فما كان منهما إلا أن تعجَّلا موتها.. ولكن كيف كان ذلك؟

۞ لقد كان فتاها وفتاتها، اللذان غذتهما بإحسانها وفضلها، وأغدقت عليهما من عطفها وحنانها وعظيم رعايتها، غير جديرين بما أسلفت لهما وقدمت إليهما، وانطبقت عليهما الحكمة المأثورة (اتق شر من أحسنت إليه) إذ عزَّ عليهما أن يريا مدة ولائهما لها تطول..، كما غرهما بمالها وغناها الغرور واستيقظ في نفسيهما غدر الشيطان وفجوره..

فدبرا ذات ليلة جريمة قتلها..، فماتت «شهيدة» الظلم والبغي والغدر تمامًا كما تنبأ لها رسول الله ﷺ.

وفرا هاربين!!.. ولكن إلى أين؟

فقد أمسكت بهما يد العدالة، وأُعيدا إلى المدينة، حيث لقيا جزاء ما جنت

أيديهما.

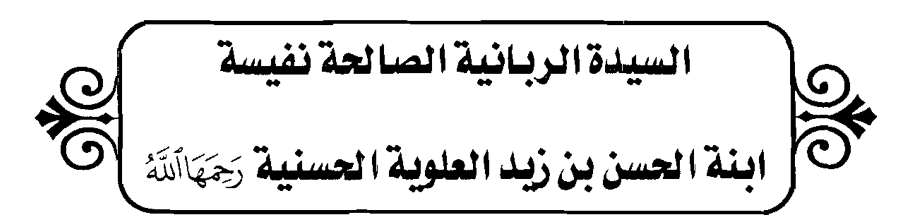
فقُتلا.. وصُلبا.. ليكونا عِبرة لمن يعتبر..، وعمَّ المدينة حزن شديد، ولم تبق عين إلا ودمعت على «أم ورقة».. ولم يبق قلب إلا وقد انفطر ألمًا على المؤمنة الفاضلة[١].

۞ ففي جزء من الحديث الذى رواه أبو داود عن قصة شهادتها:

قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبى أن تتخذ فى دارها مؤذنًا فأذِن لها، قال: وكانت دبرت غلامًا وجارية، فقاما إليها فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عمر فقام فى الناس فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما، فليجئ بهما، فأمر بهما فصُلبا، فكان أول مصلوب بالمدينة[٢].

۞ وهكذا رحلت العابدة الزاهدة عن دنيا الناس وفازت بالشهادة التى بشرها بها رسول الله ﷺ.



السيدة الربانية الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنية رَحِمَهَا ٱللَّهُ

كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله ﷻ، حتى قيل لها: «ترفَّقى بنفسك- لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟-، حجت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

---

(١) المبشرات بالجنة/ محمد على قطب (ص: ٨٧).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٩١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى صحيح سنن أبى داود (٥٥٢).

تُوفيت - رحمها الله تعالى- وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾»[1] [2].

معاذة العدوية رَحِمَهَا اللَّهُ

❁ كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذة السيدة عائشة إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسى، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

❁ وكانت تقول إذا غلبها النوم: يا نفس... الموت أمامك لو قد متِ طالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظُلمة القبور.

❁ وعن ثابت البُناني أن صلة بن أشيم زوج معاذة كان في مغزًى له ومعه ابن له، فقال: أي بني! تقدَّم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحبًا! إن كنتن جئتن لتهنئنني، فمرحبًا بكن وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

قالت أم الأسود بنت زيد العدوية - وكانت معاذة قد أرضعتها - قالت لي معاذة لما قُتل أبو الصهباء وقُتل ولدها: والله يا بُنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عَزَّ وَجَلَّ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢).

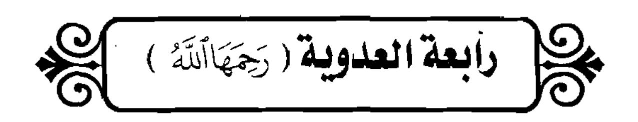
(٢) مرآة النساء - (ص: ٨٢).

بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة.

۞ قالت عفيرة العابدة: بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟

قالت: أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلتان خضروان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهًا فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضًا فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة[1].



جمهور أهل العلم على صلاحها وتقواها وعلو مكانها وكلٌّ يؤخذ من قوله ويُترك.

۞ قال محمد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة[2].

۞ وعن عبدة بنت أبى شوال وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة- قالت: كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢-٢٤).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٨).

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: ياعبدة! لا تؤذني بموتي أحدًا وكفنيني في جُبتي هذه - جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنَّاها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئًا قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبة التي كفنَّاك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزع عني وأُبدلت به هذا الذي ترينه عليَّ، وطُويت أكفاني وخُتم عليها ورُفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من كرامة الله ﷻ لأوليائه.

قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قالت: وبِمَ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها.

قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغمًا. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بَخٍ بَخٍ أُعطي والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فمريني بأمر أتقرب به إلى الله ﷻ: قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك[١].

❁ ❁ ❁

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٩، ٣٠).

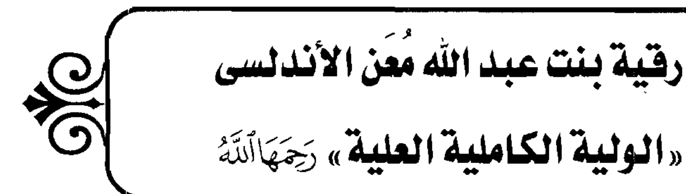




راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوى رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ «عن عثمان بن سودة الطفاوى، وكانت أُمه من العابدات، يقال لها راهبة، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذُخرى وذخيرتى، ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى»(١).

فرآها ذات ليلة فى منامه فقال لها: يا أماه! كيف أنت؟ قالت: أى بنى! إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.





رقية بنت عبد الله مُعَن الأندلسى «الولية الكاملية العلية» رَحِمَهَا ٱللَّهُ

۞ شقيقة الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسى.

«كانت آية من آيات الله فى رفع الهمة والزهد والحزم فى الطريق والجدِّ، فى غاية الإخمال والتقشف والإقلال».

وكان **أخوها يقول عنها**: إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم فى الدين والتمسك بحبله المتين.

وأثنى عليها أخوها بعد وفاتها وقال: كانت تخبرنى بأمور لا يجدها المنتصبون للمشيخة، وحكى عنها أنها قالت له: إنى أرى نورًا ينتشر فى محل سجودى كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بى. قال: فقلت لها:

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢).

نعم يُخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين: هكذا شأن الصِّدِّيقين يخافون وإن كانوا محققين.

۞ وكانت في المرض الذى تُوفيت فيه مسرورة بلقاء الله، جميلة الرجاء فيه، ولما قَرُبَت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأُخبرت بدخوله فصلَّت وماتت. وكانت وفاتها سنة سبع وثمانين وألف»[١].

عابدة تموت شوقا للقاء الله (جل وعلا)

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هى ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت[٢] ثم قالت: يا سيدى! بك تفرد المتفردون فى الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان[٣] فى البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفَّت الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدَّوار، والبحر الزخَّار، والقمر النوَّار، وكل شىء عندك بمقدار.

يا مُؤنس الأبرار فى خلواتهم ... يا خير من حطَّت به النُّزالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عنى. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبك حُبين حُب الوداد ... وحبًّا لأنك أهلٌ لذاكا

فأما الذى هو حب الوداد ... فحبٌّ شُغلتُ به عن سواكا

---

(١) «نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر الثانى» للشيخ محمد بن الطيب القادرى (٢/ ٢٢٠).

(٢) أى: بكت أشد البكاء.

(٣) أى: الحيتان.

وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحُجب حتى أراكا

فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا هى قد فارقت الدنيا(١).

عابدة تخر ميتة لما رأت الكعبة

۞ عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: دخل قوم حُجَّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربى؟ فيقولون: الساعة ترينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربى بيت ربى؛ حتى وضعت جبهتها على البيت. فوالله ما رفعت إلا ميتة(٢).

وجارية تتعلق بأستار الكعبة تدعو وتضرع وتبكى حتى ماتت

۞ عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: «ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة، تعلقت بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكى حتى ماتت»(٣).

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧٤، ٣٧٥).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤١٥).

(٣) «السير» (٤/ ٣٣٤)، وقال الذهبى: إسنادها صحيح.

ماتت فى ليلة الزفاف

هذه القصة هى كما قال ناشرها حقيقية وواقعية، وليست ضربًا من الخيال.. خططتها لكم كى يتعظ بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. كى يأخذ العاقل منها الفائدة، ويتعلم من صاحبتها العظة.. فصاحبة قصتنا هذه فتاة مسلمة صادقة مع الله تعالى..وإليك قصتها باختصارٍ..

حفل الزفاف.. الليلة موعد زفاف العروس.. كل الترتيبات اتُّخذت.. الكل كان مهتمًّا بها..

أمها وأخواتها وجميع أقاربها.. الجميع ينتظرون الكوافيرة، والتى ستأتى بعد صلاة العصر؛ لتجهيز العروس لحفل زفافها.. تأخرت الكوافيرة ومضى الوقت مسرعًا.. ثم وصلت وبدأت عملها.. حتى اقترب موعد أذان المغرب..

طلبت العروس من الكوافيرة أن تعجل فى عملها قبل أن يؤذن المغرب.. فهى لم تتعود منذ صغرها أن تؤخر الصلاة عن وقتها..

وتمضى اللحظات.. وفجأة انطلق صوت الحق قائلًا: الله أكبر.. الله أكبر.. إنه أذان المغرب.. والعروس بدت مرتبكة ومهمومة بل حزينة تريد أن تصلى.. فقالت للكوافيرة: أرجوك بسرعةٍ.. فوقت المغرب قصير، وكانت الكوافيرة ترد عليها وتقول: إننا نحتاج لبعض الوقت، اصبرى قليلًا وأنت الليلة عروس وماذا لو أنك تأخرت قليلًا.. ومضى الوقت وكاد وقت المغرب أن ينتهى.. والعروس تصر على الصلاة.. والجميع يحاول أن يثنيها عن الصلاة إلى أن تنتهى الكوافيرة من عملها.. قائلين لها: إذا توضأت ستهدمين كل ما عملناه منذ ساعاتٍ.. وكانت الفتاوى فى تأخير المغرب تأتيها من هنا وهناك، فتارة يقلن لها: اجمعى المغرب مع العشاء.. وتارة تيممى.. ولكن العروس المؤمنة،

أصرت فى هذه المرة على موقفها..

وعقدت العزم وتوكلت على الله وألقت بأقوالهم وفتاويهم خلف ظهرها.. فما عند الله خير وأبقى.

وقامت العروس المؤمنة بشموخ المسلم الصادق فتوضأت.. ثم فرشت سجادتها لتبدأ الصلاة.. وظهر عليها، وهى قائمة بين يدى الله من السعادة أضعاف ما كانت عليه من السعادة حين كانت تُجهَّز لتُزف إلى زوجها.. وارتسمت على هيئتها الراحة والطمأنينة..

الله أكبر.. نعم، الله أكبر من كل شىء.. ومن كل أمر.. وها هى العروس وصلت للركعة الثالثة عند التشهد الأخير من صلاتها.. والأهل يرمقونها بنظراتهم الغريبة، وينتظرون فراغها من الصلاة بلهفةٍ شديدةٍ.. كى تعود إلى ما كانت عليه..

وما إن سلمت عن يمينها، ثم سلمت عن يسارها حتى أسلمت روحها إلى بارئها.. ورحلت عن هذه الدنيا طائعة لربها عاصية لشيطانها.. نسأله تعالى أن تكون ممن زُفَّت إلى جنات الخلد فى دار النعيم المقيم التى لا يُكدَّر ساكنها ولا يشقى..

فى أعلى الجنة

قالت صديقتها والدمع فى عينيها، وغصة فى حلقها تدفعها حينًا وتغلبها أحيانًا أخرى.. لقد سكن حبها فى قلبى منذ أن رأيتها..

ابتسامتها العذبة.. كلماتها الرقيقة.. نور الإيمان الذى يشع من وجهها.. صفاؤها.. نقاؤها.. كل شىءٍ فيها جعلنى أتخذها الصديقة والحبيبة..

إليها أبث أحزانى فتعزينى.. أشكو لها ضعف إيمانى فتعظنى وتُذكرنى..

أتأملها كثيرًا وهى تردد آيات القرآن الكريم التى كانت تحفظها، فأشعر بنقصى وضعفى.. الكل يستمع إليها، والكل يحبها.. لقد كانت مشعل هداية للجميع.

أعرضت عن الدنيا.. لم تشغلها فتن هذا الزمان.. وكأنها من أهل الآخرة..

الموضات.. الصرعات.. الموديلات الحديثة.. لا تعنى لها شيئًا أبدًا..

بسيطة فى ملبسها.. فى مأكلها ومشربها.. حديثها ذكر الله وقراءة للقرآن.. وأمر بالمعروف.. أو نهى عن المنكر.. تأنس بحديثها النفوس..

وفجأة هجم عليها مرض خطير..وتمكن من جسدها.. وانتشر فى خلاياها..

صارحها الجميع.. إنه مرض السرطان.. وصدق رسول الله ﷺ يوم قال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة**»[1].

وكيف لا فإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط..

ألم يخبرنا نبينا ﷺ فقال: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»[2] اللهم إنى أعوذ بك من جَهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

وهكذا بدأت حالة صديقتى الحافظة لكتاب الله تسوء شيئًا فشيئًا.. لكن هذا الداء لم يصل إلى قلبها.. ولم يحطمه.. فظل قلبها قويًا بالإيمان.. صابرًا

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الزهد، وأحمد (١٤٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٣٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٠).

محتسبًا.. راضيًا بقضاء الله وقدره.. لم يتوقف لسانها عن ذكر الله.. وهى تردد آيات القرآن الكريم.. لتجد سلوانها وعزاءها فيها.. وكيف لا، وهو كلام رب العالمين..

وحانت اللحظة الحاسمة.. وجاءت سكرة الموت.. جاءت غُصصه.. وآلامه.. فصارت تردد بضع كلماتٍ لم يفهمها من كان حولها، لقد كانت تقول وهى تبتسم، وقد أشرق وجهها كأنه ورقة مصحفٍ.. لا.. أريد درجة أعلى.. لا.. أريد درجة أعلى..

تعجب أهلها من قولها.. فقالوا: إنها الحُمَّى.. إنها سكرات الموت.. لابد، وأنها تهذى.. ظلت صديقتى المؤمنة الصابرة تردد.. لا.. أريد درجة أعلى.. وأخيرًا ابتسمت ابتسامة عريضة.. وسكن بعدها كل شىءٍ فى جسدها.. لقد صعدت روحها إلى خالقها.. لقد ماتت بعد أن اختارت درجتها فى الجنة..

أسأل الله تعالى أن يجعلها من أصحاب الفردوس الأعلى..

لقد ماتت حافظة القرآن.. الداعية إلى الإيمان.. الحريصة على الصلاة.. المواظبة على الطاعات.. لم تُغرها الدنيا بشهواتها وملذاتها.. حفظها الله تعالى بحفظها للقرآن الكريم.. وبما فيه من أوامر ونواهٍ..

أيها الأحبة الكرام بين سماعى لهذه القصة وكتابتها ساعات قليلة.. وهى قصة من الواقع ذكرها الشيخ «على باقيس». فنسأله تعالى أن يرحم هذه الفتاة.. وأن يحسن ختامنا وختام المسلمين.. آمين.

❀ ❀ ❀



ومسك الختام أمي الحبيبة (١)
(رحمة الله عليها)

كانت أمي (رحمة الله عليها) عابدة زاهدة لا تطمع فى أى شىء من حطام الدنيا الفانية... كنت إذا رأيتها تذكرت قول الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾(٢) .. كانت تصلى قيام الليل على الرغم من شدة مرضها، وكانت تحب الخير لكل من حولها، وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله.

مات أبوها وهى فى بطن أمها، وماتت أمها بعد ولادتها بشهرٍ واحد فتجرعت غُصص اليُتم، وذاقت من العذاب ألوانًا، ولم يكن لها أخ أو أخت فعاشت كل أنواع الغربة.

وعلى الرغم من ذلك كان لسانها لا يفتر عن كلمة «الحمد لله...» وكانت تدعو دائمًا ألا تطول عليها السكرات، فلما جاء اليوم الموعود سمعت أذان العصر، فقامت لتتوضأ فما غسلت إلا كفها ووجهها، فقالت لها ابنة أختى: «يا ستى أنت ما توضأتى» فقالت لها أمى: «والله يا ابنتى ما تركونى حتى وضؤونى» فتعجبت ابنة أختى!! وقامت أمى لتصلى العصر وهى جالسة -لشدة مرضها- ثم لما أرادت أن تكبر مرة أخرى، قالت لها ابنة أختى: «يا ستى ليس هناك صلاة بعد العصر». فقالت لها أمى: «بل هناك صلوات كثيرة بس يا ريت الوقت يسمح» ودخلت فى الصلاة وجاءتها السكرات وماتت وهى تصلى وكنا نلقنها كلمة: «لا إله إلا الله» فكانت تقولها وظلت ترددها حتى ماتت.

---

(١) أى: أمى أنا (محمود المصرى).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

وإذا بالمفاجأة السعيدة: فعلى الرغم من كبر سنها إلا أن وجهها عاد ناصعًا وكأنها ابنة عشرين سنة، وإذا بالوجه تعلوه ابتسامة جميلة وكأنها ترى الجنة فى تلك اللحظة. وإذا بالبشائر العظيمة -التى لا أستطيع أن أذكرها- تخبر بها الأخت التى قامت بتغسيلها... وإذا بالصالحين يجمعهم الله على غير موعد ويمتلئ المسجد للصلاة عليها، وذهبنا إلى القبر ونزلت لأدفن حبيبتى - التى نزف قلبى بموتها الدماء بدل الدموع - وإذا برائحة جميلة تصدر من قبرها.

وتتوالى البشريات العظيمة، فيعلم العلماء والدعاة فى مصر بخبر موت أمى فيدعون لها فى صلاة الجمعة. فكان هؤلاء الأفاضل يدعون لها وآلاف البشر يؤمِّنون على دعائهم... فرأيتها فى المنام فى تلك الليلة وهى تقول: جزاك الله يا بنى خير الجزاء على كل الخير الذى وصلنى.

فأسأل الله أن يرحم أمى رحمة واسعة -وكل موتى المسلمين- وأن يجمعنى بها فى جنته ومستقر رحمته.

وأسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنى وإياكم حسن الخاتمة، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

وأُشهد الله ﷻ على أنى أحبكم جميعًا فى الله... فمن أحبنى، فليدعُ لأمى بالمغفرة والرحمة، وبأن يجعل الله قبرها روضة من رياض الجنة.

ما ينتفع به الميت بعد موته

س: هل هناك أشياء ينتفع بها الميت؟

ج: نعم.... هناك أشياء ينتفع بها الميت من عمل نفسه بل ومن عمل غيره .. منها:

١- دعاء المسلمين له:

إذا توفرت فيه شروط القبول وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة**»[(٢)].

٢- قضاء الدّين عنه من أى شخص وليًّا كان أو غيره:

وذلك لما تقدم من قضاء أبى قتادة لدَين الرجل الذى مات.

٣- قضاء ولى الميت الصوم عنه:

لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صوم، صام عنه وليه**»[(٣)] وهذا عام فى قضاء رمضان وقضاء صيام النذر، وهذا أصح أقوال العلماء.

٤- قضاء النذر عنه صومًا كان أو غيره:

فقد استفتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ فقال: إن أمى ماتت وعليها نذر؟ فقال: «**اقضه عنها**»[(٤)].

---

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٣٨) كتاب النذر.

٥- ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة:

فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما. قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[(١)] وقال النبى ﷺ: « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**»[(٢)].

٦- ما خلّفه بعده من آثار صالحة وصدقات جارية:

وذلك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾[(٣)].

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(٤)].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»[(٥)].

٧- الحج عن الميت:

وذلك بعد أن يحج الابن عن نفسه ثم يحج بعد ذلك عن أبيه إن لم يكن قد حج قبل ذلك.

---

(١) سورة النجم: الآية: (٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٢٨) كتاب البيوع، والترمذى (١٣٥٨) كتاب الأحكام، والنسائى (٤٤٤٩) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢١٣٧) كتاب التجارات، وأحمد (٢٣٥١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٠٨).

(٣) سورة يس: الآية: (١٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٢) فى المقدمة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

٨- الصدقة عن الميت:

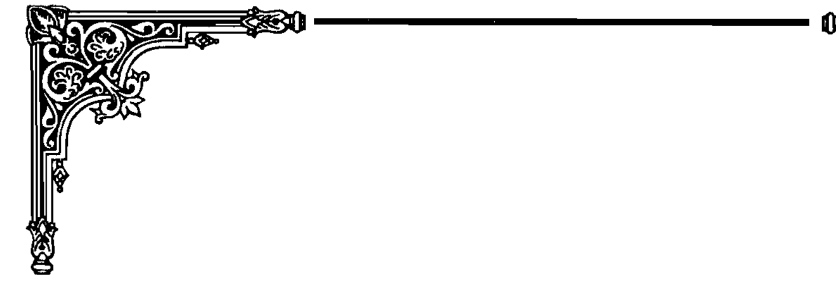
وقد ورد فى ذلك أحاديث منها عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا قال: إن أمى افتلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[١]. ومعنى: «**افتلتت**»: ماتت فجأة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبى ﷺ إن أبى مات وترك مالًا ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «**نعم**»[٢].

❀ ❀ ❀

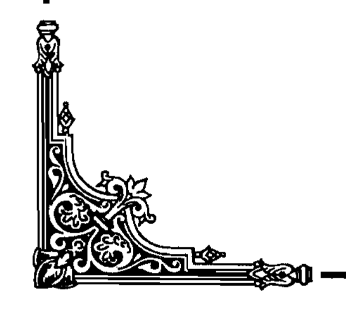
(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨٨) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة.

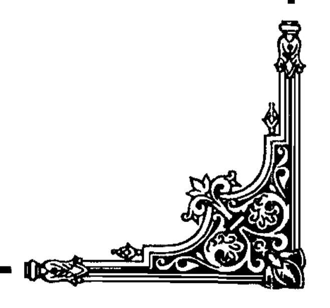
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣٠) كتاب الوصية.



نعيم الجنة

للنساء المؤمنات







النساء شقائق الرجال

لا شك أن المرأة المسلمة مُكلَّفة مثل الرجل.

فالمرأة تشترك مع الرجل فى التكاليف الإيمانية والجزاء الأُخروى.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾[2].

❁ ومن أجل ذلك فالواجب على كل مسلمة أن تسعى لفكاك رقبتها من النار وأن تحرص كل الحرص على الفوز بالجنة وبرضوان رب السماوات والأرض (جل وعلا).

قال ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خَمسها وصامت شهرها وحصَّنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئتِ**»[3].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

(٣) رواه ابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

كيف تنقذين نفسك من النار؟

اعلمى أختى المسلمة أن النجاة من النار لها أسباب متعددة منها:

١ - التوحيد الخالص:

ومعناه ألا تشركى بالله شيئًا .. ففى حديث معاذ بن جبل: «**أتدرى ما حق الله على العباد؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم .. فسار ساعة، ثم سألنى: «**أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله**»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله، إذا هم فعلوا ذلك أن يُدخلهم الجنة**»(١).

فتوحيد الله سبب نجاتك من النار ... يقول النبى المختار ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وابن أَمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أى أبواب الجنة الثمانية شاء**». وفى رواية: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»(٢)، قال الحافظ: معنى (على ما كان من العمل) أى من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة.

وفى حديث عتبان: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله**»(٣).

٢- اتباع منهج أهل السنة والجماعة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٥٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٣٠) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣) كتاب الإيمان.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٣١).

وقال ﷺ: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**».

قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى**» (١).

٣، ٤ - الوضوء والصلاة:

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا فدعا بلالًا: فقال: «**يا بلال، بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ إنى دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك** - أى صوتك - **أمامى؟**

فقال بلال: يا رسول الله، ما أذَّنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابنى حَدَثٌ قَط، إلا توضأت عنده.

فقال رسول الله ﷺ: «لهذا» (٢).

۞ قال ﷺ: «**من توضأ وضوئى هذا، ثم يصلى ركعتين، لا يُحدِّث نفسه فيهما بشىء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (٣).

٥ - الصيام:

سواء كان فرضًا كصوم رمضان لقوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**» (٤).

أو كان تطوعًا ولو يوم واحد لقوله ﷺ: «**من صام يومًا فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفًا**» (٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) رواه الترمذى (٣٦٨٩)، وأحمد فى مسنده (٢٢٩٣٦)، والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٨٩٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٣٤) كتاب الصوم، ومسلم (٢٢٦) كتاب الطهارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٥) رواه أحمد (٨٦٧٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٣٣٢).

وفى رواية للنسائى: «**من صام يومًا فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام**»[١].

٦ - قراءة كتاب الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[٢].

وعن أُبى أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأهله**»[٣].

٧ - الصدقة:

اعلمى أختى المسلمة أن الصدقة تنقذك من النار، ولو كانت بشق تمرة لقوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[٤].

٨ - التعوذ بالله من النار:

فاستجيرى بالله دومًا من عذاب النار، قال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ الْجَنَّةَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**»[٥].

٩، ١٠ - الحب في الله، والتناصح في الله:

أختاه...

اجعلى محبتك لأخواتك المسلمات خالصة لوجه الله لتفوزى بمحبة الرحمن والنعيم فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «**حُقت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت**

(١) رواه أحمد (١١٣٤٤) بإسناد صحيح.

(٢) سورة فاطر، الآية (٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أحمد فى مسنده، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١١٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧٥).

محبتي للمتواصلين فيَّ، وحُقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحُقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحُقت محبتيِّ للمتباذلين فيَّ،... المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[(١)].

١١ - البكاء من خشية الله:

قال ﷺ: «عينان لن تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[(٢)].

ولذلك كان من الأمور المنقذة من النار.

١٢- صلاة ركعات بالليل والناس نيام:

لقول النبي ﷺ: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[(٣)].

وعن أزهر - وكان من القوَّامين - أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، فقلت لها: من أنت؟

قالت: حوراء ... فقلت: زوجيني نفسك؟

قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني.

فقلت: وما مهرك؟

قالت: طول التهجد.

١٣ - القيام بأعمال البر كالتسبيح والذكر:

قال ﷺ: «إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ثلاث مائة وستين مفصلًا فمن كبَّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبَّح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس. أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني رحمه الله في التعليق الرغيب (٤/ ٤٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني رحمه الله في المشكاة (٣٨٢٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥٦٩).

والثلاثمائة السُّلامَى، فإنه يُمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[١].

١٤ - أن تكوني هينة لينة لأخواتك المسلمات:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بمن حَرُم عليه النار - أو بمن: تحرم عليه النار؟- تحرم على كل قريب هين لين سهل»[٢].

١٥ - قضاء حوائج المسلمين:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه،ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[٣][٤].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٠٧) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) مواقف إيمانية للنساء/ أ. محمد بحيرى (ص ٢٦٠ - ٢٦٤) بتصرف.

الأخت المسلمة أجمل من الحور العين

وعلى الرغم من كل ما ذُكر عن جمال الحور العين، إلا أن الأخت المؤمنة الصابرة على طاعة الله جل وعلا، وعلى طاعة زوجها المؤمن... يكون جمالها فى الجنة أفضل من جمال الحور العين سبعين ضعفًا؛ لأنها هى التى صلَّت وصامت وتحملت أعباء الدعوة وتكاليف الإيمان.

فإن كنت أيتها الأخت المؤمنة تريدين أن تكونى جميلة مثل فلانة (من الفنانات أو غيرهن) فاعلمى أنك ستكونين فى الجنة أجمل من أجمل حوراء فى جنة الرحمن جل وعلا، بشرط أن تصبرى حتى تلقى الله على الطاعة والإيمان... وأنت الآن والله ـ بحجابك وإيمانك وحيائك ـ أجمل من أجمل امرأة، فاصبرى يا أختاه حتى تلقى رسول الله ﷺ على الحوض وحتى تنظرى إلى وجه الله جل وعلا[1].

أين نساء الدنيا يوم القيامة بجوار الحور العين؟

والجواب: إن نساء المؤمنين فى الجنة لهن من كل أنواع النعيم واللذة مثل ما للرجال سواءً بسواء، بل من النساء مَن هن أعلى فى الدرجات من كثير من الرجال.

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقال جل شأنه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾[3].

---

(١) رحلة إلى الدار الآخرة/ للمصنف (ص: ٧٠١ - ٧٠٧) بتصرف.

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٣) سورة آل عمرن: الآية: (١٩٥).

فزوجات الدنيا زوجات فى الجنة معهن الحور العين، بل لزوجات الدنيا فضل على الزوجات من الحور العين بعبادتهن الله تعالى فى دار الدنيا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إن أزواج الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات، ما سمعها أحدٌ قَط، إن مما يغنين، نحن الخيرات الحسان، أزواج قومٍ كرام، ينظرن بِقُرَّة أعيان، وإن مما يغنين به؛ نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا تخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنَّه**»[1].

قالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتُن، ونحن الصائمات وما صُمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن... قالت عائشة: فغلبنهن[2].

والله تعالى يقول على لسان الملائكة فى دعائهم للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

قال الإمام الفخر الرازى فِى تفسيره [جـ١٩ ص٣٦] فى قوله تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾، قال: «المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورًا وبهجة، فإذا بشَّر الله تعالى المكلَّف بأنه إذا دخل الجنة فإنه يحضُر معه آباؤه وأزواجه وأولاده؛ فلا شك أن يعظم سرور المكلف بذلك وتقوى بهجته به، قال: وقوله: ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾، ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة، لعل الأولى من مات عنها أو ماتت عنه،... وما روى عن سودة أنه لما هَمَّ الرسول

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/ ٣٥)، وفى الأوسط (١٤٩٥). قال الهيثمى (١٠/ ٤١٩): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٦١).

(٢) تفسير القرطبى (ج ١٧ صـ ١٨٧).

(٣) سورة غافر: الآية: (٨).

ﷺ بطلاقها قالت: دعنى يا رسول الله أُحشر فى زمرة نسائك؛ كالدليل على ما ذكرناه». اهـ.

قلت: وعليه فزوجة الدنيا زوجة الآخرة مع الحوريات.

وروى ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبى بكر لما ضربها زوجها الزبير ابن العوام فشكت إلى أبيها فقال لها: أى بُنية؛ اصبرى فإن الزبير رجل صالح، ولعله أن يكون زوجك فى الجنة[1].

ويدل عليه أيضًا حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها عجوز فقال: «مَن هذه؟» فقالت: إحدى خالاتى، قال: **«أما إنه لا يدخل الجنة عجوز»**، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله، فقال النبى ﷺ: « ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾، **خلقًا آخر يُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غُرلًا، وأول ما يُكسَى من الخلائق إبراهيم خليل الله**»، ثم قرأ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾»[2][3].

وروى ابن أبى حاتم عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها فقيل له: **«راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة وهى مِن أزواجك ونسائك فى الجنة»**[4].

وعن ابن عباس قال: قلنا يا رسول الله، أنُفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نُفضى إليهن فى الدنيا؟ قال: **«إى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء»**[5].

۞ إذن مما تقدم يتبين أن نساء أهل الدنيا فى الجنة أفضل من الحور العين بعبادتهن لله عز وجل.

---

(١) تفسير القرطبى (ج ٥ ص١٧٢).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٣٥).

(٣) رواه الطبرى (١٧/ ٨٠)، والبيهقى فى (البعث والنشور ٣٤٣)، وهو حديث حسن انظر غاية المرام (٣٨٢).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ١٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (٢٠٧٧).

(٥) صحيح: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١/ ١٦٩) والضياء فى «صفة الجنة» (٢/ ٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٦٧).

❁ وأن الله تعالى يجمع للمكلف فى الجنة زوجاته مَن صلح منهن، بشرط أن تكون ماتت عنه وهو لها بزوج، أو مات عنها وهى زوجة له.

❁ وأنها إن تزوجت فى الدنيا بأكثر من زوج فهى للأخير منهم على أصح القولين.

❁ كما أن الرجل «الزوج» فى الجنة يُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة وهذه القوة يشاركه فى الاستمتاع بها زوجاته، فكلما كان الرجل قويًّا فذلك له ولزوجته وقد أعدهما الله تعالى وهيأهما لتحمُّل ذلك بل والتلذذ به غاية اللذة وكمالها.

قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفس محمدٍ بيده إن أحدهم ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة....**»[(١)].

فلتهنأ زوجة الدنيا من المسلمات، فلها مثل ما للرجال فى الجنات، فكما تعددت لزوجها الشهوات والزوجات، تعددت لها فى زوجها القُدرات، فقدرته كما قال النبى ﷺ: «**.... ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»[(٢)].

ولكن ثمة توجيه إلى أختنا الزوجة الدنيوية.

نقول: أحسنى إلى زوجك صحبةً وعِشرةً ولا تؤذيه فتلحقك دعوةٌ عليك من شريكتك فيه من الحوريات.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو دخيلٌ عندك يوشك أن يفارقك إلينا**»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٦٧)، والنسائى (١١٤٧٨) فى الكبرى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم فى «صفة الجنة» (١/ ١٦٩) والضياء فى «صفة الجنة» (٢/ ٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٦٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٤) كتاب الرضاع، وابن ماجه (٢٠١٤) كتاب النكاح، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٧٣).

موقف من ماتت بكراً ولم تتزوج

ومقصود الحديث هنا المرأة التى ماتت وليس لها زوج قبل موتها.

وهذا يشمل البكر التى لم تتزوج أصلًا وكذلك التى تزوجت وطُلقت إلى أن ماتت.

فكما ماتت هؤلاء النسوة من دون أزواج، فقد مات من الرجال من لم يتزوج أو تزوج وطلق وظل بلا زوجة حتى مات، فالله تعالى يزوج الجميع فى الجنة، فليس فى الجنة أعزب لا من الرجال ولا من النساء لقوله ﷺ كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «.... **ولكل امرئ منهم زوجتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب**»(١).

هل الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟

وقد يسأل سائل ويقول: هل الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟

والجواب: إن مثل هذا السؤال قد طُرح فى عهد الصحابة فتخاصم الرجال والنساء فى هذه المسألة.

ففى صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر فى الجنة؟ وفى رواية: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال فى الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة، فاحتج أبو هريرة على أن النساء فى الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة أعزب**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

والحديث واضح الدلالة على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «**رأيتكن أكثر أهل النار**». والجواب أنه لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يَكُنَّ أقل ساكنى الجنة كما يقول ابن حجر العسقلانى [١]، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة، وبذلك يَكُنَّ أكثر من الرجال وجودًا فى الخلق. ويمكن أن يقال: إن حديث أبى هريرة يدل على أن نوع النساء فى الجنة أكثر سواءً كن من نساء الدنيا أو من الحور العين.

والسؤال هو: أيهما أكثر فى الجنة: رجال أهل الدنيا أم نساؤها؟ وقد وفق القرطبى بين النصين بأن النساء يَكُنَّ أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كُن أكثر أهل الجنة [٢].

۞ ونحن نعلم أن من علامات الساعة الصغرى كثرة النساء وقلة الرجال.

قال ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**» [٣].

قال العلماء فى تفسير الحديث ما معناه: أن ذلك يكون بسبب كثرة الفتن والحروب، فيُقتل الرجال ويكثر عدد النساء، وقيل: إنه يكون لكثرة الفتوح فتكثر السبايا، وقيل: إن الله يقدِّر فى آخر الزمان أن يقل عدد المواليد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث والله أعلم.

فإذا دخل النار رجلٌ واحدٌ ودخل معه ثلاثة من النساء لصار النساء أكثر أهل النار ... وإذا دخل سبعة وأربعون امرأة الجنة ودخل رجلٌ واحد لصار النساء أكثر أهل الجنة ... والله أعلم.

---

(١) فتح البارى: (٦/ ٣٢٥).

(٢) راجع التذكرة للقرطبى: ص٤٧٥ .

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨١) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٧١) كتاب العلم.



زوجة المؤمن فى الدنيا زوجته فى الآخرة إذا كانت مؤمنة

فإن المؤمن إذا أنعم الله عليه بدخول الجنة فإن كانت زوجته صالحة فإنها تكون زوجته فى الجنة أيضًا.

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾[1]. وهم فى الجنات مُنعَّمون مع الأزواج، يتكئون فى ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[2] ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾[3].

المرأة لآخر أزواجها

فإذا كانت المرأة مؤمنة وستدخل الجنة... وكانت فى الحياة الدنيا قد تزوجت أكثر من مرة وكل أزواجها من أهل الإيمان والتوحيد فإنها تكون فى الجنة لآخر أزواجها.

وقد ورد ذلك عن بعض أصحاب النبى ﷺ.

عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه أم الدرداء، فأبت أن تتزوجه، وقالت: سمعت أن أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «**المرأة فى آخر أزواجها، أو قال: لآخر أزواجها**»[4].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٣).

(٢) سورة يس: الآية: (٥٦).

(٣) سورة الزخرف: الآية: (٧٠).

(٤) صحيح: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٤/ ٢٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٠٤).

۞ وورد أيضًا أن حذيفة قال لزوجته: «إن شئتِ أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا».

۞ بل ورد أيضًا «أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: يا بُنية اصبري، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة».

۞ ولذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن يتزوجن من بعده لأنهن أمهات المؤمنين ولأنهن أزواج النبي ﷺ في الآخرة.

۞ ۞ ۞

نساء مبشرات بالجنة [١]

وهناك عدد من النساء بشَّرهن النبى ﷺ بأنهن من أهل الجنة.

وكان من بينهن:

۞ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

۞ للطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها منزلة عظيمة فى حياة المصطفى ﷺ، وقد ظلت مكانتها سامية عند رسول الله ﷺ طوال حياته.... ثبت فى الصحيحين أنها خيرُ نساء زمانها على الإطلاق، وقد بشَّرها ﷺ بالجنة مرارًا.

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ وعنده خديجة فقال: «**إن الله يُقرئ خديجة السلام**» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: «**يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّى، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نَصَب**»[٣].

۞ فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا أزواج النبى ﷺ اجتمعنا عنده، لم يغادر منهن واحدة، فجاءت فاطمة تمشى ما تُخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فلما رآها،

(١) هذا العنصر بتصرف من كتاب (نساء مبشرات بالجنة) أ. خليل جمعة، كتاب (صحابيات حول الرسول ﷺ) للمصنف.

(٢) رواه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٥٤) بإسنادٍ حسن.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

رحَّب بها، قال: «**مرحبًا بابنتي**». ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره. ثم سارَّها، فبكت؛ ثم سارَّها الثانية، فضحكت. فلما قام، قلت لها: خصَّك رسول الله ﷺ بالسر وأنت تبكين، عزمت عليك بما لي عليك من حق، لما أخبرتني مِمَّ ضحكتِ؟ ومِمَّ بكيت؟ قالت: ما كنت لأُفشي سر رسول الله ﷺ. فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، في المرة الأولى حدثني «**أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام في هذه السنة مرتين، وأني لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري؛ فنعم السلف لك أنا**» فبكيت فلما رأى جزعي، قال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» قالت: فضحكت»[1].

۞ وعن عائشة، أنها قالت لفاطمة: أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺ، فبكيت، ثم أكببت عليه فضحكت؟ قالت: أخبرني أنه ميت من وجعه، فبكيت، ثم أخبرني أنني أسرع أهله به لحوقًا، وقال: «**أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران**» (فضحكت)[2].

۞ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها:

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتك في المنام ثلاث ليالٍ، جاء بك المَلَك في سَرقة من حرير**[3]**، فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه. فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمضه**»[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٢٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سنده حسن وذكره المتقي في «كنز العمال» (١٣/ ٦٧٥)، ونسبه لابن أبي شيبة، والزيادة منه.

(٣) السرقة بفتح السين والراء والقاف: هي القطعة، وفي مطبوعة دمشق «خرقة» وهي عند ابن حبان كما في «الفتح» (٩/ ١٥٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة.

وعن ابن أبى مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبى ﷺ فقال: «**هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة**»(١).

۞ أم سُليم (الرميصاء بنت ملحان) رضي الله عنها:

ويا لها من لحظة يعجز القلم عن وصفها عندما تأتى البشارة بالجنة من فم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.. فلقد رآها النبى ﷺ فى الجنة - فى ليلة الإسراء والمعراج.

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**أُريتُ الجنة فرأيت امرأة أبى طلحة ثم سمعت خشخشة أمامى فإذا بلال**»(٢).

وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «**دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغُميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك**»(٣).

۞ المرأة التى كانت تُصرع:

عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أُريكَ امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع وإنى أتكشف فادعُ الله تعالى لى، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**». فقالت: أصبر، فقالت: إنى أتكشف فادعُ الله أن لا أتكشف، فدعا لها(٤).

۞ المرأة التى أعطت التمرة لابنتيها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جائتنى مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٨٠) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٥٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٦) كتاب البر والصلة والآداب.

فاستطعمتها ابنتاها فشقَّت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ، فقال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**»[١].

۞ المرأة المحسنة إلى جيرانها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله فلانة تصلى المكتوبات وتتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها، قال: «**هى فى الجنة**»[٢].

۞ فاطمة بنت أسد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

۞ الصحابية الجليلة فاطمة بنت أسد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا واحدة من النساء اللواتى سارعن إلى نصرة الرسول والإسلام بكل ما تقدر عليه، وقد أسدت صنيعًا طيبًا إلى رسول الله، ووقفت وقفة مباركة منذ فجر الإسلام إلى أن لقيت ربها فى المدينة المنورة.

ورسول الله ﷺ، وهو الكريم الرحيم لا يضيع الإحسان، ولا ينكر الجميل مع أحد صَنَع معه معروفًا أو جميلًا، فكيف بفاطمة بنت أسد التى كانت تقوم مقام أمه، وهاجرت إلى الله ورسوله[٣]، ولم تتوقف عن العطاء يومًا واحدًا، ولذلك ذكرها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالفضل والخير عندما توفيت.

فعن سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمى، كنتِ بعد أمى تجوعين وتُشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيبًا**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) رواه أحمد وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى صحيح الترغيب (٢٥٦٠).

الأثوار: جمع ثَور وهى القطعة من الأقط.

الأقط: شىء يتخذ من مخيض اللبن الغنمى.

(٣) النجوم الزاهرة (١/ ١١٩).

وتطعمينى؛ تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة»[١].

۞ وقد نالت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها البشارة بالجنة، ولنترك سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما يقصُّ علينا نبأ هذه البشارة العظيمة فيقول:

لما ماتت فاطمة أم عليّ ألبسها النبى ﷺ قميصه، واضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا! فقال:

«إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ بى منها، إنما ألبستُها قميصى لتُكسَى من حُلل الجنة واضطجعت معها ليُهوَّن عليها»[٢].

۞ أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها:

ولنترك الآن حديث البشارة ترويه لنا صاحبة البشارة نفسها أم حرام رضي الله عنها، فقد ذكر عُمير بن الأسود العنسى أنه أتى سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو بساحل حِمْص وهو فى بناء له ومعه امرأته أم حرام، قال عُمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا»** - أى: وجبت لهم الجنة - قالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: **«أنتِ فيهم»**[٣].

۞ وتحققت أمنية المجاهدة أم حرام بالاستشهاد أثناء غزو البحر، إذ صُرِعَت عن دابتها حينما خرجت من البحر حيث رمتها بغلة لها فماتت رضي الله عنها.

۞ أم عمارة رضي الله عنها:

۞ أما عن بشارتها العظمى، فقد نالت ذلك فى يوم أُحد مع أهل بيتها، حيث

---

(١) أخرجه الطبرانى (٢٤/ ٣٥١)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ١٢١)، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٦٧)، قال الهيثمى (٩/ ٢٥٧) : فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٢٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٢) كتاب الإمارة.

قال لهم النبى الكريم ﷺ وهم حوله عند اشتداد المعركة: «**رحمكم الله أهل البيت**» فقالت له أم عمارة رضي الله عنها: ادعُ الله أن نرافقك فى الجنة، فقال ﷺ: «**اللهم اجعلهم رُفقائى فى الجنة**» فقالت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا[١].

۞ وقد حظيت نسيبة من قبل أُحد ببشارتها بالجنة - عند العقبة - فهى عقبية، كما حظيت بعد أُحد ببشارة عُظمى وشهادة إلهية مُوقَّعة من رب العالمين بالرضوان وذلك فى بيعة الرضوان... وفى حُنين كانت من المئة الصابرة الذين تكفَّل الله بأرزاقهم وأرزاق عيالهم فى الجنة.

۞ أم أيمن رضي الله عنها:

إنها أم أيمن حاضنة النبى ﷺ... وكان النبى ﷺ يقول لها: يا أم أيمن أنت أمى بعد أمى.

۞ وها هو ﷺ يبشرها بأنها من أهل الجنة.

۞ روى خبر البشارة هذه فُضيل بن مرزوق عن سفيان بن عقبة قال: كانت أم أيمن تَلْطُف - تكرم وتبرّ - النبى ﷺ وتقوم عليه فقال: «**من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**»[٢].

قال: فتزوجها زيد بن حارثة، وزيد رضي الله عنه أحد سادات الصحابة وحِبُّ رسول الله ومولاه، وأحد السابقين إلى الإسلام، فلما سمع هذا الحديث من النبى الكريم سارع فتزوجها، فولدت له أسامة - الحِبُّ ابن الحِبِّ - وما أدراك ما الحِبُّ ابن الحِبِّ! رضى الله عنهم أجمعين.

۞ هذه أم أيمن بركة، وحسبُها من البركة ما نالت من رسول الله من الإكرام والتكريم، وحسبها من هذا الجزاء الأوفى ما نالت من الله جزاء هو الجنة إن شاء الله.

---

(١) كتاب المغازي (١/ ٢٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨١).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد (٨/ ٢٢٤)، وضعفه العلامة الألبانى فى الضعيفة (٢٢٦٠).

۞ الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

۞ الصحابية الكريمة الرُّبيعُ بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إحدى الصحابيات المباركات اللاتى سارعن إلى الإيمان بالله، وهى إحدى السابقات إلى ميدان الفضائل والمكارم، وكانت ممن شارك فى البيعة تحت الشجرة.

فحظيت ببشارة رسول الله ﷺ بالجنة.

روى سيدنا جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»(١).

۞ وفى صحيح الإمام مسلم إشارة أخرى تبشر بالجنة البدريين والشجريين... فعن جابر بن عبد الله أن عبدًا لحاطب بن أبى بلتعة جاء يشكوه إلى رسول الله ﷺ ويقول: ليدخلنَّ حاطبٌ النار، فقال له الرسول ﷺ: «**كذبت لا يدخلها من شهد بدرًا والحديبية**»(٢).

۞ سمية بنت خباط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

۞ تُعد سمية بنت خباط رضوان الله عليها فى طليعة المؤمنات الصادقات السابقات إلى الإسلام، ومن المسارعات إلى الوفاء بعهد الله، والصدق على ما عاهدت الله عليه، فنالت السبق وفازت بالبشارة العظمى - الجنة - ونعمت البشرى، وإليك نص حديث البشارة، فعن سالم بن أبى الجعد عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٥٣) كتاب السنة، والترمذى (٣٨٦٠) كتاب المناقب، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٧٦٨٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ١٤١)، قال الهيثمى (٩/ ٢٩٣): رجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم ابن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. والحاكم (٣/ ٤٣٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن عساكر (٤٣/ ٣٧١).

۞ كبشة بنت رافع رضي الله عنها:

وهى أم سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن لموته.

۞ هذه الصحابية الفاضلة الطيبة، واحدة من كرائم النساء اللواتى ضربن أروع آيات الصبر والتوكل فى تاريخ النساء، وكانت مع هذا كله تحرص كل الحرص على مرضاة الله ومرضاة رسوله، وتُؤْثِر محبة رسول الله على كل غالٍ ونفيس من مالٍ وولد، وهل هناك غاية أسمى من رضاء الله ورضاء رسوله عنها؟! لذلك نالت البشرى بالجنة لقاء هذه الصفات.

۞ وقد نالت أم سعد بشارة الرسول الكريم بالجنة فى غزوة أحد، فقد جاءت تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه، وسعد بن معاذ رضي الله عنه آخذٌ بعنان فرسه، فقال له سعد: يا رسول الله، أمى، فقال رسول الله ﷺ: «**مرحبًا بها**» فوقف لها، فدنت، فعزَّاها بابنها عمرو بن معاذ ثم قال:«**يا أم سعد أبشرى وبشِّرى أهليهم أن قتلاهم قد ترافقوا فى الجنة جميعًا وقد شفعوا فى أهليهم**»[(١)].

قالت: رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: يا رسول الله، ادعُ لمن خلّفوا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا**»[(٢)].

۞ وهكذا نالت أم سعد رضي الله عنها البشارة بالجنة، وشملت هذه البشارة أيضًا أمهات وأخوات وزوجات الشهداء الذين قُتلوا فى سبيل الله ببركة دعائه ﷺ.

۞ زينب بنت جحش رضي الله عنها:

۞ عاشت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها حياة بعيدة عن الزخارف الدنيوية، فقد آثرت الحياة الآخرة، وجعلت الدنيا مزرعة للآخرة، وعرفت أن هذه الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، فانصرفت إلى حياة العبادة والتبتُّل

---

(١) كانوا اثنى عشر شهيدًا، وكلهم من بنى عبد الأشهل، انظر أسماءهم فى المغازى (٢/ ٣٠١) والدرر (ص١٦٨) وتاريخ الإسلام للذهبى (٢/ ٢٠١).

(٢) المغازى (٢/ ٣١٥، ٣١٦)، والسيرة الحلبية (٢/ ٥٤٥، ٥٤٦).

وخاصة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

۞ وأم المؤمنين زينب رضي الله عنها قد حظيت ببشارة رسول الله بالجنة، وأنها ستكون أول زوجاته موتًا بعده، ففى الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا**»[1]. قالت: فكُنَّ يتطاولن أيتهن أطول يدًا... قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

۞ مرة أخرى تروى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشارة زينب أم المؤمنين بالجنة وتذكر مناقبها وفضلها فتقول: يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت فى هذه الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف، إن الله عز وجل زوَّجها نبيه ﷺ فى الدنيا ونطق به القرآن، إن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله: «**أسرعكن لحوقًا بى أطولكن باعًا**»، فبشَّرها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به عليه السلام وهى زوجته فى الجنة[2].

۞ الفريعة بنت مالك رضي الله عنها:

۞ والفُريعة رضي الله عنها من الفئة المجاهدة من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة بالحديبية فى السنة السادسة من الهجرة، عندما صَدَّ المشركون المؤمنين عن دخول مكة المكرمة، وكل من حضر هذه البيعة يُعدُّ من أهل الجنة - إن شاء الله - لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[3].

۞ وقد بشَّر النبى ﷺ الفُريعة ومَن حضر البيعة بالجنة.

فعن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ من الذين بايعوا تحتها**».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٢٠) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٥).

(٣) سورة الفتح: الآية: (١٨).

قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها.

فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[1].

فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾»[2][3].

۞ أم المنذر سلمى بنت قيس رضي الله عنها:

۞ الصحابية الكريمة أم المنذر - رضوان الله عليها - من المؤمنات اللاتى سارعن إلى الإيمان بالله تعالى، وتصديق رسوله ﷺ؛ فجعل الله لهن الخيرات، وهى منافع الدنيا والآخرة، وأثبت لهن الفلاح والفوز يوم القيامة، وأعدَّ لهن جنات تجرى من تحتها الأنهار.

۞ وأم المنذر رضي الله عنها واحدة من النساء اللائى حظين بالبشارة العظمى - الجنة -، وقد فازت بهذه البشارة عندما أعلنت بيعتها للمرة الثانية مع الرسول ﷺ؛ ولذلك سُميت مبايعة البيعتين، وقد شهدنا معها البيعة الأولى،... أما البيعة الثانية فكانت تحت الشجرة فى بيعة الرضوان فى السنة السادسة من الهجرة، حينما احتجز المشركون بمكة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال النبى ﷺ وقتذاك: «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا الصحابة إلى البيعة التى أمره الله بها، وسارع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إلى البيعة، كما سارعت أم المنذر فى ثُلةٍ من الصحابيات يبايعن على الموت، فقبل الله البيعة المباركة، ورضى عن المبايعين، وامتدحهم فقال جلَّ شأنه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[4].

---

(١) سورة مريم: الآية: (٧١).

(٢) سورة مريم: الآية: (٧٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) سورة الفتح: الآية: (١٨).

۞ ففى هذه الآية الكريمة بيان بأن المؤمنين المبايعين تحت الشجرة بيعة الرضوان، نالوا مرضاة الله وفازوا بالجنة عرَّفها لهم.

۞ وأجمعت المصادر أن أم المنذر رضي الله عنها كانت من المبايعات بيعة الرضوان[١]، وقد بشَّر رسول الله ﷺ أم المنذر ومن معها بالجنة فقال: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[٢].

۞ وهكذا حظيت الصحابية المعطاء أم المنذر بشرفِ الجهاد، ونالت بصدقها البشارة بالجنة... ويا لها من بشارة!!.

۞ أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها:

۞ الصحابية الكريمة أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها نموذج رائع للنساء فى عصرها وفى كل عصر، فقد كانت ابنة بارة بوالديها، وأمًا عظيمة خلَّفت الأبطال والأعلام، وأختًا مثالية، وزوجًا كريمة، فقد ذُكر أن زوجها الزبير كان شديدًا عليها فقال لها أبو بكر:

يا بُنية اصبرى فإن المرأة إذا كان لها زوجٌ صالحٌ، ثم مات عنها فلم تتزوج بعده؛ جمع الله بينهما فى الجنة.

أضِف إلى ذلك كله أنها أوقفت حياتها لخدمة الرسول الكريم ﷺ، وجاهدت فى سبيل الله حق جهاده، فنالت بهذه الشمائل الكريمة البشارة بالجنة منذ فجر حياتها، وإليك نَصّ البشارة كما ورد فى عددٍ من المصادر الموثوقة،... ففى قصة الهجرة جادت أسماء بنطاقها ونفسها من أجل تأمين السعادة والطعام لرسول الله ﷺ، فقال لها النبى الكريم ﷺ: «**إن لك بهما نطاقين فى الجنة**»[٣].

۞ وعن أسماء رضي الله عنها قالت: «صنعت سفرة للنبى ﷺ وأبى بكر حين أرادا

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٣٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤١٦٤) كتاب المغازى.

(٣) الاستيعاب (٤/ ٢٢٩) والإصابة (٤/ ٢٢٤).

المدينة، فقلت لأبى: ما أجد شيئًا أربطه إلا نطاقى، قال: فشُقِّيه، فقلت، فسُميت: ذات النطاقين»[١].

قال الزبير بن بكار فى هذه القصة: قال لها رسول الله ﷺ: «**أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة**» فقيل لها: ذات النطاقين[٢].

۞ أم ورقة الأنصارية رضي الله عنها:

۞ كانت أم ورقة رضي الله عنها من فواضل نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين. نشأت على حب كتاب الله، وراحت تقرأ آياته آناء الليل وأطراف النهار، حتى غدت إحدى العابدات الفاضلات، فجمعت القرآن الكريم، وكانت تتدبر معانيه، وتُتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مُجيدة للقرآن، اشتهرت بكثرة الصلاة، وحُسن العبادة.

وكان النبى الكريم ﷺ يزورها ويكرمها،... ذكر ابن حجر العسقلانى خبر عبادتها واهتمامها بالقرآن فقال: وكانت قد قرأتِ القرآن؛ فاستأذنت النبى ﷺ فى أن تتخذ فى دارها مؤذنًا فأذِن لها[٣].

۞ ونُمى إلى أم ورقة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، خارج لاعتراض عير قريش، فأسرعت وأتت رسول الله ﷺ تطلب أن يأذن لها فى الغزو.

۞ ولنترك الحديث لأم ورقة نفسها لتحدثنا عن حبها ورغبتها فى الجهاد فتقول: إن النبى ﷺ لما غزا بدرًا قلت له: يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك أُمرِّض مَرضاكم لعل الله أن يرزقنى الشهادة، قال: «**قَرِّى فى بيتك؛ فإن الله تعالى يرزقك الشهادة**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٩٠٧) كتاب المناقب.

(٢) الفتح (٧/ ٢٨٧).

(٣) الإصابة (٤/ ٤٨١).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥٩١) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٦٠٥).

عادت وقرَّت فى بيتها ولزمت دارها بانتظار بشارة رسول الله ﷺ لها بالشهادة، وهذه الطاعة جعلتها أهلًا لزيارة الرسول الكريم، فقد كان النبى ﷺ إذا أراد زيارتها اصطحب ثُلة من أصحابه الكرام، وقال لهم: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»[١].

وانتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى وهو راضٍ عن أم ورقة، وتابعت حياة العبادة والتقوى فى عهد سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه على الصورة التى كانت عليها من قبل.

۞ وفى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتفقدها ويزورها، اقتداءً بالنبى الحبيب ﷺ، وكانت أم ورقة رضي الله عنها تملك غلامًا وجارية، وكانت وعدتهما بالعتق بعد موتها، فسوَّلت لهما نفسهما أن يقتلا أم ورقة، وذات ليلة قاما إليها فغمَّياها وقتلاها وهربا، فلما أصبح سيدنا عمر رضي الله عنه قال:

والله ما سمعتُ قراءة خالتى أم ورقة البارحة.

فدخل الدار فلم يرَ شيئًا، فدخل البيت فإذا هى ملفوفة فى قطيفة فى جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر وقال: علىَّ بهما، فأتى بهما، فسألهما فأقرَّا أنهما قتلاها، فأمر بهما فصُلبا، فكانا أول مصلوبين بالمدينة، شرَّفها الله تعظيمًا وتكريمًا[٢].

۞ عندها قال سيدنا عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»[٣].

۞ أسماء بنت يزيد رضي الله عنها:

۞ أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها من فصيلة أهل الإيمان الذين أثبت الله رضاه عنهم، وإثبات رضاء الله عنهم دليل على أنهم أهلٌ لهذا الرضا الذى يهدى

---

(١) عن أسد الغابة ترجمة رقم (٧٦١٨).

(٢) سنن أبى داود (١/ ٩٧)، والاستيعاب (٤/ ٤٨٢)، وطبقات ابن سعد (٨/ ٤٥٧).

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقى (٦/ ٣٨١)، والاستبصار ص(٣٥٩)، والحلية (٢/ ٦٣).

إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

۞ وأسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جمعت من الفضائل والمكارم ما جعلها من النساء اللائى خصَّهن رسول الله ﷺ بالفضل، وشهد لهن بالجنة فى أكثر من مقام، وذلك لسابقتهن فى الإسلام، وصبرهن وجهادهن وإعلائهن كلمة الله.

وقد حظيت أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببشارة رسول الله ﷺ بالجنة أكثر من مرة، ففى غزوة أُحد ذكر رسول الله ﷺ أن شهداء بنى عبد الأشهل ومنهم والد أسماء قد ترافقوا فى الجنة جميعًا، وقد شفعوا فى أهليهم[١].

۞ وفى الحُديبية كانت أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أصحاب الشجرة، ومن حضر البيعة المباركة - بيعة الرضوان - وبايعت يومئذ، فنالت مع مجموعة المبايعين والمبايعات مرضاة الله، وحظيت ببشارة الرسول الكريم ﷺ بالجنة عندما قال: «**لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»[٢].

۞ أم هشام بنت حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

۞ أم هشام بنت حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واحدة من النساء ذوات الفضل اللاتى حظين بشرف الصُحبة لرسول الله ﷺ، وقد تركت هذه الصحابية الكريمة لمسات مباركة فى تاريخ الإسلام،... وفى واحدة من هذه اللمسات نالت البشارة بالجنة مع من بايع بيعة الرضوان، ناهيك بأنها إحدى السابقات من النساء إلى اعتناق الإسلام والإيمان برسول الله ﷺ، والسكن بجواره فى المدينة المنورة.

۞ وقد حظى «الشجريون» ببشارة نبى الله ﷺ بالجنة ومنهم أم هشام بنت حارثة،... ولنترك سيدنا جابر بن عبد الله يروى لنا نبأ البشارة العطرة حيثُ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»[٣].

---

(١) عن المغازى (١/ ٣١٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٦٠) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٧٦٨٠).

(٣) التخريج السابق.

۞ وفى حديث آخر يرويه سيدنا جابر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة، إلا صاحب الجمل الأحمر**»[(١)]، وأخرج الترمذى هذا الحديث بلفظ: «**ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر**»[(٢)].

۞ وحدَّث سيدنا جابر رضي الله عنه بعد ما كفَّ بصره فقال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «**أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنتُ أُبصرُ اليوم لأريتكم مكان الشجرة**».

۞ حفصة بنت عمر رضي الله عنها:

۞ أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ممن سبقت لها الحسنى، وهى واحدة من النساء اللاتى عرفن معانى العبادة الحقيقية، فكانت موصولة القلب بالله دائمًا، كثيرة الذكر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاستقرت أسبابُ الرضا فى نفسها، وعزفت عن حطام الدنيا لعلمها بأن السعادة فى الدارين إنما هى لأهل الإيمان، وخاصة أهل الطاعة والاستقامة.

۞ وقد اجتمعت فى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها صفات جعلتها من أهل الجنة، فنالت البشارة بها، فقد ورد أن النبى الكريم ﷺ طلَّق حفصة رضي الله عنها فانكسر قلبها وأظلمت الدنيا كلها فى عينيها وهى لا تصدق أن زوجها وحبيبها ونبيها ﷺ قد طلقها... وإذا بالأمين جبريل عليه السلام ينزل بأمرٍ من الملك جل جلاله يشق السبع الطباق ليأمر الحبيب ﷺ بأن يراجعها ويردَّها مرة أخرى.

فقد جاء فى الحديث أن النبى ﷺ، طلق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: «**إنها صوَّامة، قوَّامة، وهى زوجتك فى الجنة**»[(٣)].

---

(١) جامع الأصول (١٠/ ١١٣)، والحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى؛ وصاحب الجمل الأحمر هو الجد بن قيس كان منافقًا يطلب جمله.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٥/ ١٥٧).

(٣) صحيح: أخرجه ابن سعد (٨/ ٨٤)، والطبرانى (١٨/ ٣٦٥) قال الهيثمى (٩/ ٢٤٥): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٠٠٧).

سيدات نساء أهل الجنة

السيد الحق هو الذى يُثنى عليه ربه ويشهد له، والسيدة الفاضلة هى التى يرضى عنها ربها، ويتقبلها بقبولٍ حسن، وأفضل النساء هن اللواتى يَحُزن جنات النعيم، ونساء أهل الجنة يتفاضلن، وسيدات نساء أهل الجنة: خديجة، وفاطمة، ومريم وآسية.

عن ابن عباس قال: خَطَّ رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة أخطط، ثم قال: «**تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(١).

ومريم وخديجة أفضل الأربع، ففى صحيح البخارى عن على ابن أبى طالب عن النبى ﷺ قال: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»(٢).

وهؤلاء الأربع نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات.

فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها فى قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾(٣).

وخديجة الصدِّيقة التى آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد، وثبَّتته، وواسته بنفسها ومالها، وقد بشَّرها ربها فى حياتها بقصرٍ فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نَصَب،... فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١٦)، والطبرانى (١١/ ٣٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٣٩)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٩٤)، وأبو يعلى (٥/ ١١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٥٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة التحريم: الآية: (١٢).

طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّى، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»(١).

وآسية امرأة فرعون هان عليها مُلك الدنيا ونعيمها، فكفرت بفرعون وألوهيته، فعذَّبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة التقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية(٣).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة التحريم: الآية: (١١).

(٣) الجنة والنار (ص: ٢٠٢ - ٢٠٤) بتصرف.

دعوة مستجابة

❁ **أختي الفاضلة:**

أضع بين يديك هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربي ﷻ أن ينفع به المسلمات في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبي وأمي.

فما كان في هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركن به وأنساه.

فمن استفادت فائدة من هذا الكتيب فلا تبخل عليَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عني وَعَنكن، وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

❁ روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»[1].

❁ جزى الله خيرًا كل من قرأت هذا الكتاب وتعلمت منه شيئًا وعلَّمته لمن حولها.

❁ كما أنصح أخواتي بقراءة هذا الكتاب على المسلمات في المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

❁ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



فهرس الموضوعات

مواقف إيمانية في الوفاء

مواقف إيمانية في الصبر

مواقف إيمانية في مراقبة الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في التوكل على الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في صناعة الرجال

مواقف إيمانية في الحياء

مواقف إيمانية في الخوف من الله والبكاء من خشيته (جل وعلا)

مواقف إيمانية في محبة الرسول ﷺ وطاعته

مواقف إيمانية في طلب العلم

مواقف إيمانية في الدعوة إلى الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في الطاعة والعبادة

مواقف إيمانية مع الذاكرات الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في حفظ اللسان

مواقف إيمانية في الورع والبعد عن الحرام

مواقف إيمانية في التوبة إلى الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في الدخول إلى الإسلام

مواقف إيمانية في الثبات على دين الله

مواقف إيمانية في خدمة دين الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في الجود والكرم والإيثار

مواقف إيمانية في البسمة وإدخال السرور على الآخرين

مواقف إيمانية في الحياة الزوجية

مواقف إيمانية من كرامات النساء

مواقف إيمانية في التضحية والجهاد في سبيل الله (جل وعلا)

مواقف إيمانية في حسن الخاتمة

نعيم الجنة للنساء المؤمنات

من إصداراتنا





